مكتبة الاشتراكية العلمية

لينين

التعليم الشعبي

مكتبة الاشتراكية العلمية

التعليم الشعبي

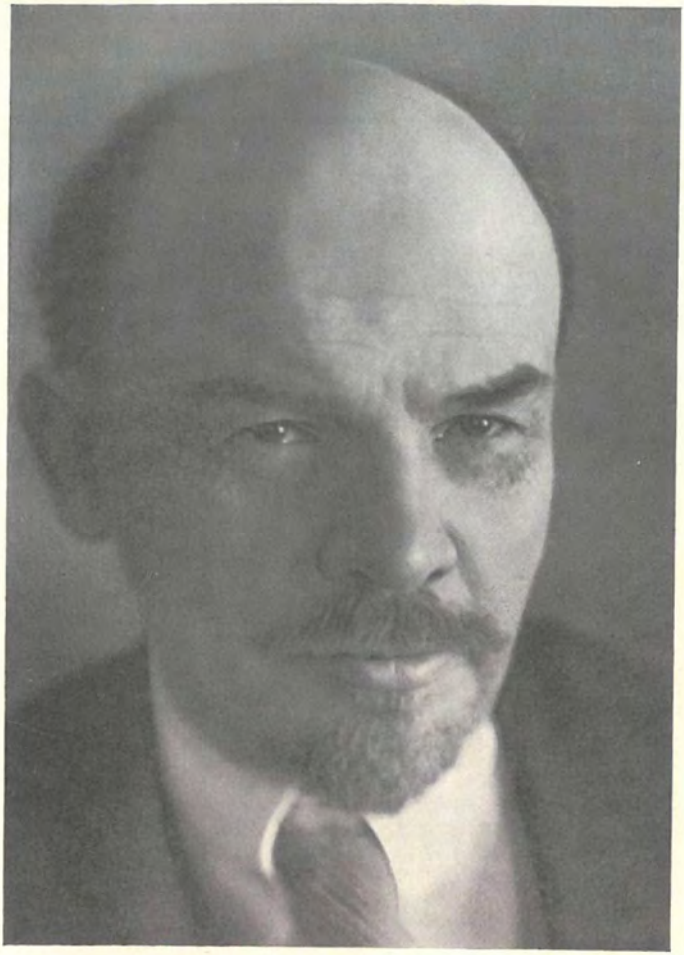

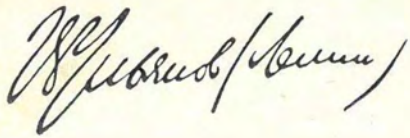

يا عمال العالم ، اتحدوا !

لينين

التعليم الشعبي

دار التقدم
موسكو

ترجمة الياس شاهين

من الدار

تمت ترجمة المؤلفات الواردة فى هذه المجموعة نقلا عن الطبعة الروسية الخامسة الكاملة الجموعة نقلا عن الطبعة الروسية الخامسة الكاملة لمؤلفات لينين ، والتى اعدها معهد الماركسية-اللينينية لدى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى .

© الترجمة الى اللغة العربية . دار التقدم ، ١٩٧٤

طبع فى الاتحاد السوفييتى

Л1 10102—521 / 014(01)—74 469—74

انطلاقا من افكار لينين وتوجيهاته ارسى الحزب الشيوعى السوفييتى الاسس الفكرية للنظام السوفييتى للتعليم ومبادئ تنظيمه . وحتى قبل ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى بزمن طويل ، ناضل الحزب بدأب وانسجام ، تحت قيادة لينين ، فى سبيل تسليح البروليتاريا بالمعارف وتربيتها سياسيا . وقد رأى الحزب فى ذلك شرطا لا غنى عنه لاعداد البروليتاريا للاستيلاء على السلطة وتحويل المجتمع البرجوازى الى مجتمع اشتراكى ينفتح فيه امام جماهير الشعب الطريق الرحب الى الثقافة والتعليم .

لقد اولى لينين قضية تثقيف الشعب اهمية من الدرجة الاولى . ودرس مسائل التعليم والتربية بالارتباط مع المهام السياسية العامة التى تواجهها الطبقة العاملة فى هذه او تلك من مراحل التطور الاجتماعى . وفى ظل القيصرية ، ربط لينين حل هذه المسائل بمهام تكوين الوعى الطبقى الطليعى لدى البروليتاريا .

وقد حمل لينين البروليتاريا الروسية على ادراك الفكرة القائلة انه يستحيل احداث تغيير جذرى فى التعليم الشعبى بدون النضال الثورى ضد الحكم المطلق ، بدون اسقاط حكم الملاكين العقاريين والبرجوازية .

وتوضيحا وتطويرا لمذهب ماركس وانجلس بصدد طابع التربية الطبقى فى المجتمع الطبقى ، بيّن لينين ان الحكم المطلق الروسى يقطع الطريق الى المعارف قصدا وعمدا امام جماهير الشعب . ففى مقالته «بم يفكر وزراؤنا ؟» (١٨٩٥) ، كتب يقول : «ان الوزير ينظر الى العمال كما الى البارود ، والى المعرفة والتعليم كما الى الشرارة ؛ والوزير واثق من انه اذا وقعت الشرارة فى البارود ، فان الانفجار سيتجه فى المقام الاول صوب الحكومة» . (راجع هذا الكتاب ، ص ١٩) .

وسلّط لينين نقدا ماحقا على محاولات طمس الكنه الطبقى للتعليم والتربية فى المجتمع الطبقى . ففى مقالته «درر هوس الشعبيين بالمشاريع» (عام ١٨٩٧) ، فضح الجوهر الرجعى الطوبوى لمشروع اصلاح المدرسة الثانوية الذى كان يقترح انشاء ١٥ــ٢٠ الف مدرسة ثانوية للذكور والاناث من اجل الفلاحين المعدمين فى روسيا تكون فى آن واحد روابط انتاجية اصيلة . وبموجب هذا المشروع ، كان ينبغى على التلامذة ان يتعلموا شتاء فى المدرسة حسب منهاجها التعليمى ، وان يشتغلوا صيفا فى الزراعة لأجل تسديد نفقات تعليمهم .

وكان المقصود من تنظيم المدارس الزراعية ان يشمل التعليم الثانوى اولاد الفلاحين ، الامر الذى كان من شأنه ان يؤدى الى قيام مدرسة ثانوية رسمية من طراز عام فى روسيا آنذاك .

ولقد أثبت لينين كل طوبوية هذا «المشروع» وعجزه ، وعدم فهم الليبراليين للواقع الروسى ، وفضح طابعه الاقطاعى .

وفى مقالة «اضواء على مسألة سياسة وزارة التعليم» (عام ١٩١٣) ، أبان لينين ، بصورة مقنعة جدا ، الجوهر الطبقى لسياسة الحكومة القيصرية فى ميدان التعليم ؛ واورد معطيات احصائية رسمية تصف وضع التعليم الشعبى . وبما ان اربعة

اخماس جيل الشباب فى روسيا كان محكوما عليهم بالامية وان نسبة المتعلمين بين السكان الراشدين كانت ٢٧٪ فقط ، فقد خلص لينين الى القول : «ولم يبق اى بلد متوحش جماهير شعبه **مسلوبة** الى هذا الحد على صعيد التعليم والنور والمعرفة ، لم يبق فى اوروبا اى بلد كهذا سوى روسيا» . (راجع هذا الكتاب ، ص ٣٣) .

وقد بيّن لينين ان الحكم المطلق عدو لدود لتطور الشعوب الثقافى ؛ فان هذا الحكم يتخذ جميع الاجراءات لكبت تطلعات الكادحين الى التعليم ، ويدخل مع الكنيسة فى حلف مضرّ جدا بالتعليم ، وينتهج سياسة استعمارية حيال الشعوب غير الروسية ويحرمها من امكانية انشاء مدرسة باللغة القومية .

وفى جميع مراحل تطور الحركة الثورية ، عارض لينين قطعا محاولات الانتهازيين والمحرفين من كل شاكلة وطراز طمس الطابع الطبقى للتعليم والثقافة والمدرسة فى المجتمع الطبقى . وفى هذا المجال تتسم بواسع الدلالة «ملاحظات انتقادية حول المسألة القومية» (١٩١٣) حيث ينتقد لينين نظرية الاستقلال الذاتى الثقافى القومى الفادحة الخطأ التى ظهرت فى اوساط الاشتراكية ـ الديموقراطية النمساوية وتلقفها المناشفة فى روسيا . وفى سياق الرد على موضوعة انصار هذه النظرية الزاعمة انه توجد فى المجتمع الرأسمالى ثقافة قومية واحدة ، كتب لينين يقول : «ان **كل** ثقافة قومية تحتوى **عناصر** ، وان غير متطورة ، من ثقافة ديموقراطية واشتراكية ، لأنه يوجد فى **كل** امة جمهور كادح مستثمر ، تولّد ظروفه الحياتية بالضرورة افكاراً ديموقراطية واشتراكية . ولكنه توجد ايضا فى **كل** امة ثقافة برجوازية (غالبا ما تكون اكليريكية ومغرقة فى الرجعية) ، لا تبدو بشكل «عناصر» وحسب ، بل ايضا بشكل **ثقافة سائدة**» (لينين .

المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٤ ، ص ١٢٠ــ١٢١) . ان لينين يحذر البروليتاريا ، بتعاليمه حول وجود ثقافتين فى كل ثقافة قومية ، من خطر التعصب القومى البرجوازى الذى يتجلى ، فيما يتجلى ، فى تربية الجيل الناشئ بروح الانكماش القومى والنفور من الشعوب الاخرى .

ان ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى قد قضت على امتيازات المالكين فى ميدان التعليم وجعلت جميع منجزات العلم والثقافة والفن فى منال الجماهير الشعبية كليا .

كان لينين يعتبر الثورة الاجتماعية مقدمة لا غنى عنها للثورة الثقافية . وقد سلط انتقادا ماحقا على مزاعم مختلف الاصلاحيين القائلة انه لا يمكن ان يتحقق الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية الا بالطريق السلمى ، الامر الذى يجب ان تبلغ من اجله القوى المنتجة والثقافة درجة معينة من التطور فى ظل المجتمع البرجوازى . وكتب فى ملاحظاته «حول ثورتنا» بصدد مذكرات المنشفى ن . سوخانوف الذى كان يتبنى وجهة النظر هذه يقول : «اذا كان ينبغى ، فى سبيل انشاء الاشتراكية ، بلوغ مستوى معيّن من الثقافة (مع العلم انه ما من احد يستطيع ان يقول بدقة ما هو هذا «المستوى» المعين «من الثقافة» ، لأنه يختلف فى كل من دول اوروبا الغربية) ، فلماذا لا يمكن لنا ان نبدأ اولا بالظفر ، عن طريق الثورة ، بالشروط المسبقة لهذا المستوى المعين ، لكى نتحرك **فيما بعد** للحاق بالشعوب الاخرى ، مستندين الى حكم العمال والفلاحين والى النظام السوفييتى» («حول ثورتنا») .

ان حجر الزاوية فى مذهب لينين بصدد الثورة الثقافية هو الموضوعة القائلة انّه ينبغى وضع الثقافة فى منال اوسع جماهير الشعب التى كانت القيصرية تبقيها فى ظلمات الجهل والامية ، وذلك

لكى تصبح هذه الجماهير بناءة نشيطة للمجتمع الاشتراكى وخالقة لقيم ثقافية جديدة . وفى كانون الثانى (يناير) ١٩١٨ قال لينين فى سياق كلامه امام مؤتمر السوفييتات الثالث لعامة روسيا : «فيما مضى ، كان كل العقل البشرى ، كل نبوغه ، لا يبدع الا لمنح البعض جميع خيرات التكنيك والثقافة ، وحرمان الآخرين من الضرورى الضرورى ــ من التعليم والتطور . اما من الآن وصاعدا ، فان جميع معجزات التكنيك وجميع مكاسب الثقافه ستصبح ملك الشعب بأسره ؛ ومن الآن وصاعدا ، لن يصبح العقل البشرى والنبوغ البشرى وسيلة للعنف ، وسيلة للاستثمار» . وقد رأى لينين فى مشاركة الجماهير الشعبية نفسها فى النشاط الثورى شرطا ضروريا لتكوين الوعى الطليعى ، الاشتراكى عندها .

وقد اشار لينين الى ان تحقيق الثورة الثقافية ليس عمل يوم واحد ، بل عملية مديدة ، طويلة النفس . ومهمتها الحيوية الملحة ، محو الامية بين السكان الراشدين ، وتطبيق التعليم العام الالزامى للاولاد فى السن المدرسية ، ورفع المستوى الثقافى للسكان الكادحين من ابناء جميع القوميات ، وانشاء فئة من المثقفين الشعبيين حقا .

وقد اعتبر لينين المدرسة أهم حلقة فى عملية تحقيق الثورة الثقافية . فقد كان ينبغى تحويل المدرسة من اداة للسيادة الطبقية للبرجوازية الى اداة لتدمير هذه السيادة . وفى الكلمة التى القاها فى المؤتمر الاول لعامة روسيا فى شؤون التعليم فى آب (اغسطس) ١٩١٨ ، قال : «. . . ان عملنا فى الميدان المدرسى هو ذلك النضال نفسه من اجل اسقاط البرجوازية ؛ ونحن نعلن على المكشوف ان القول بمدرسة فى معزل عن الحياة ، فى معزل عن السياسة ، انما هو كذب ونفاق .» (راجع هذا الكتاب ، ص ٧١) وعارض لينين المدرسة البرجوازية الطبقية بمدرسة العمل

الالزامية العامة الواحدة الديموقراطية حقا وفعلا التى ستنشئها البروليتاريا بعد ان تطيح بالحكم المطلق .

وفى معرض انتقاد المدرسة القديمة ، قال لينين اننا بحاجة الى تحويلها تحويلا جذريا «لأجل بلوغ التعليم الشيوعى الحقيقى» . وندد لينين قطعا بالحشو الآلى السائد فى المدرسة القديمة ، واشار الى ضرورة انماء وتحسين ذاكرة كل طالب «بعلم جميع الوقائع التى لا يمكن للمرء بدون معرفتها ان يكون اليوم انسانا مثقفا» (راجع هذا الكتاب ، ص ١٠١) . وعلى المدرسة ، برأيه ، ان توفر لتلامذتها تعليما عاما واسعا ، تتربى بموجبه شبيبة على مستوى رفيع من التعليم والثقافة والمبدئية الفكرية ، وقادرة على الاستفادة ، لأجل بناء الشيوعية ، من المعارف التى كدستها البشرية .

وعلى الدوام اشار لينين فى كتاباته واقواله الى انه يجب على المدرسة ان تكون وثيقة الارتباط بالحياة ، بالبناء الاشتراكى ، ان تهيئ مناضلين نشطاء من اجل انتصار النظام الاجتماعى الجديد .

وقد اوضح لينين فى الخطاب الذى القاه فى المؤتمر الثالث لاتحاد الشبيبة الشيوعى لعامة روسيا ، قائلا : «ولن نتمكن من بلوغ ما نرمى اليه ، وهو ان تؤدى جهود الجيل الجديد الى انشاء مجتمع لا يشبه المجتمع القديم ، اى الى انشاء المجتمع الشيوعى ، الا بتحويل تعليم الشباب وتنظيمه وتربيته تحويلا جذريا» (راجع هذا الكتاب ، ص ٩٦) .

وفى العشرينيات الرهيبة ، عندما كانت معارك الحرب الاهلية لا تزال حامية الوطيس ، وكان الخراب يسود البلاد ، قال لينين للشباب بايجاز وبساطة ناظرا الى المستقبل البعيد : «... المهمة ... يمكن تحديدها بكلمة واحدة ، ـ تعلم» . (راجع

هذا الكتاب ، ص ٩٥) . وتطويرا لفكرته بصدد ما يجب تعلمه وكيف ، طرح بوضوح ما بعده وضوح المهمة : يجب تعلم بناء الشيوعية ، والجمع بين التعليم وبين العمل اليومى فى جميع الميادين واستيعاب المعارف العلمية . «فلا يمكن للمرء ان يصبح شيوعيا الا بعدما يغنى ذاكرته بمعرفة جميع الثروات الفكرية التى ابدعتها الانسانية» (ص ١٠١) .

منذ الايام الاولى من استيلاء البروليتاريا على السلطة ، اتخذ حزب البلاشفة تدابير فعالة لوضع النظام الجديد للتعليم الشعبى . فانشئت مفوضية الشعب للتعليم ، وعلى رأسها قادة حزبيون بارزون ، من رفاق لينين فى الفكر والكفاح ، منهم لوناتشارسكى وكروبسكايا وبوكروفسكى . وبمبادرة من لينين ، وباشرافه ، وضعت اولى المراسيم المتعلقة بالمدرسة . ففى ٥ حزيران (يونيو) ١٩١٨ اصدر مجلس مفوضى الشعب مرسوما «بصدد وضع المؤسسات والمعاهد التعليمية والدراسية من جميع المصالح تحت اشراف مفوضية الشعب للتعليم» ؛ وقد ارسى هذا المرسوم بداية بناء نظام الدولة للتعليم الشعبى .

كان محو الامية مهمة حيوية ملحة من مهام السلطة السوفييتية . ففى ٢٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٩ ، صدر بتوقيع لينين مرسوم مجلس مفوضى الشعب «بصدد محو الامية بين سكان جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفييتية» لأجل تمكين سكان الجمهورية من الاشتراك عن معرفة ووعى فى حياة البلد السياسية ؛ ولهذا الغرض ، الزم المرسوم جميع المواطنين ممن تتراوح اعمارهم بين الثامنة والخمسين من العمر ، ولا يعرفون القراءة والكتابة ، بان يتعلموا مبادئ القراءة والكتابة بلغتهم القومية او باللغة الروسية ، حسب رغبتهم . وقد اقتضى اداء مهمة محو الامية تماما بذل جهود كبيرة جدا . ذلك ان روسيا

ما قبل الثورة كانت تشغل احدى المراتب الاخيرة فى اوروبا من حيث مستوى التعليم . وعشية ثورة اكتوبر الاشتراكية ، كان اربعة اخماس الاولاد فى السن المدرسية لا يرتادون المدرسة . وكانت الاغلبية الساحقة ممن يتعلمون لا تحصل على العلـــم الا بحجم برنامج الصفوف الابتدائية ؛ وكان معظم الراشديـــن لا يعرفون القراءة والكتابة .

ويستفاد من احصاء السكان فى روسيا القيصرية عام ١٨٩٧ ، ان نسبة المتعلمين بين الذكور ممن تتراوح اعمارهم بين التاسعة والتاسعة والاربعين كانت ٢٨,٤٪ ، وبين الاناث ١٦,٦٪ . وكانت الامية التامة تقريبا سائدة بين القوميات والاقوام والجماعات العرقية القاطنة فى روسيا ، وعددها اكثر من ١٠٠ . مثلا . ان نسبة المتعلمين بين السكان فى طاجيكستان ممن تتراوح اعمارهم بين التاسعة والخمسين كانت تبلغ ٢,٣٪ فقط ؛ وفى قرغيزيا ٣,١٪ . وكانت نسبـــة المتعلمات بين النساء ضئيلة جدا . بل ان عددا كبيرا من اقوام الشمال الاقصى وآسيا الوسطى وبعض من المناطـــق الاخرى فى روسيا القيصرية كانت لا تملـــك كتابـــة . ومن جراء الخراب الاقتصادى الناجم عن التدخل المسلح الاجنبى والحرب الاهلية ، كان يتفاقم التخلف الاقتصادى والثقافى ، والفقر المدقع الموروثان عن روسيا القيصرية .

وفى مدى حياة جيل واحد من البشر ، تحققت فى الاتحـــاد السوفييتى ثورة ثقافية لا سابق لها من حيث السعة والعمق ، وتمت قفزة هائلة من الامية الشاملة الى ذرى التعليم العصرى . واليوم يشمل التعليم بجميع وجوهه ودرجاته اكثر من ٨٠ مليون شخص . وهناك ١٨٤ الف مدرسة للتعليـــم العام ، و٤٢٦٠ مدرسة للتعليم الثانوى المختص ، و٨١١ جامعة ومعهدا ، و٥٤٧٦ مدرسة للتعليم المهنى التكنيكى والتعليم المهنى المختص . وعمليا

تساوت جميع القوميات القاطنة فى الاتحاد السوفييتى من حيث مستوى التعليم . كذلك يرتفع بلا انقطاع المستوى التعليمى لسكان البلاد السوفييتية العاملين فى الاقتصاد الوطنى . ففى عام ١٩٣٩ ، كان بكل الف نسمة ١٢٣ شخصا من ذوى التحصيل العالى الكامل وغير الكامل ، والتحصيل الثانوى الكامل وغير الكامل ؛ اما فى عام ١٩٧٢ ، فقد ارتفعت النسبة الى ٦٩٧ . ومن حيث ابعاد التعليم ومستواه ، شغلت بلادنا بثبات ورسوخ احدى المراتب الاولى فى العالم .

وحتى فى اوائل عهد السلطة السوفييتية ، طرح لينين مسالة تعويد الجيل الناشىء على العمل الشعبى العام ، على بناء الاشتراكية ، وذلك لحرصه الشديد على ان لا يقوم الاولاد فى بلادنا بعمل فوق طاقتهم ، وعلى ان تتوفر للاحداث العاملين شروط وظروف تيسر نمو قواهم الجسدية والفكرية .

وقد اوضح لينين فى الكلمة التى القاها فى الاجتماع الثالث لعامة روسيا لرؤساء الاقسام للتعليم غير المدرسى لدى مصالح التعليم الشعبى فى المحافظات (شباط ـ فبراير ـ ١٩٢٠) : « فمن النواقص الجذرية فى نظام التعليم والتثقيف فى المجتمع الرأسمالى ، انه كان مفصولا عن مهمة تنظيم العمل الاساسية لأنه كان ينبغى للرأسمالى ان يدرب ويروض العمال لكى يكون تحت تصرفه عمال مستكينون ومروضون . ولم تكن ثمة صلة فى المجتمع الرأسمالى بين مهام تنظيم العمل الشعبى الفعلية وبين التعليم » . (راجع هذا الكتاب . ص ٩٠) . فعلى المدرسة فى الدولة الاشتراكية ، ان تقضى على هذا النقص الجذرى ؛ عليها ان تكون وثيقة الارتباط بالحياة ، بقضايا شعبها . ولهذا علق لينين اهمية كبيرة على تعليم الشبيبة البوليتكنيكى اى الاطلاع العملى على الصناعة والزراعة ولاسيما الكهربة . وفى عام ١٩٢٠ ، حين كان يجرى وضع خطة

الدولة لكهربة البلاد بأسرها ، شدد لينين على فكرة الترويج الواسع للكهربة ، علما بان على المدرسة ايضا ان تضطلع بدور فعال فى هذا المجال .

وقد وضع لينين امر تسليح الجيل الناشئ بالمفاهيم الاساسية حول الكهربة وتطبيقها فى الصناعة ، فى المقام الاول كذلك فى نظام التعليم البوليتكنيكى الذى عرضه فى ملاحظاته بصدد موضوعات نايجدا قسطنطينوفنا كروبسكايا .

وفى هذه الملاحظات بسط لينين جملة من الموضوعات ذات الاهمية المبدئية بصدد مضمون التعليم البوليتكنيكى وسبل تطبيقه فى ظروف ذلك الزمن . وكتب يقول انه من الضرورى ان يحصل التلميذ على تعليم عام واسع ، وان يكون شيوعيا ، وان يملك افقا بوليتكنيكيا . واورد فى عداد الاجراءات الاولية زيارة التلامذة لاقرب المحطات الكهربائية ، والاستماع فيها الى مقرر من المحاضرات المرفقة بعرض التجارب ، والقيام بجملة من الاعمال التطبيقية فى ميدان الكهربة ، والقيام برحلات الى السوفخوزات والمصانع ، وتنظيم متاحف صغيرة فى شؤون التعليم البوليتكنيكى ، وتنظيم قطارات وبواخر خاصة لهذا الغرض ، والخ . . ولأجل تطبيق التعليم البوليتكنيكى ، اقترح لينين اشراك جميع المهندسين ، والمهندسين الزراعيين ، وكذلك جميع من يتخرجون من كليات الفيزياء والرياضيات فى الجامعات . وعلى هذا النحو ، كان يحسب ان يتم فى السنوات القريبة انشاء ملاكات (كوادر) من الاختصاصيين ذوى التحصيل البوليتكنيكى ، مدعوة الى انهاض الصناعة والزراعة الى مستوى تكنيكى ارقى يتناسب مع مقتضيات الاشتراكية .

ان نظام التعليم المدرسى لم يتخل يوما خلال اكثر من ٥٠ سنة من تاريخه عن مبدأ البوليتكنيكية اللينينى . ولا يزال الى

الآن الاساس فى تحديد السبل والوسائل لتكوين الجيل الفتى .

ان المدرسة السوفييتية ، اذ تعطى تلامذتها اصول المعارف والمهارات البوليتكنيكية ، انما تهيئهم لاداء وظيفة الانسان الاجتماعية الاساسية فى المجتمع ، عنينا بها العمل . ولكن الانسان يحتاج الى معارف علمية معينة لأجل القيام بهذا العمل او ذاك . ومن المستحيل اعطاء التلميذ معارف متساوية فى جميع العلوم . ولكن الناس يواجهون فى كثير من فروع الانتاج عناصر انتاج واحدة بالنسبة للوضع الملموس . وهذه العناصر هى القوانين العامة للطبيعة والتكنيك ، وقوانين علاقات الانتاج التنظيمية والاقتصادية ، والقوانين السيبيرنيتيكية لادارة العمليات التكنولوجية . ان المهارات الانتاجية المكتسبة بصورة مستقلة على اساس هذه المعارف ، هى مهارات بوليتكنيكية . وهكذا لا تنعزل معارف التعليم العام والمعارف البوليتكنيكية بعضها عن بعض بصورة قاطعة بصفتها معارف مختلفة مبدئيا ، بل تندمج الثانية فى الاولى اندماجا عضويا .

ولكن الحاضر يتقدم من التعليم بمقتضيات جديدة . فلأجل تأمين تطور الانتاج الاجتماعى بوتائر رفيعة ، وضمان التقدم العلمى والتكنيكى بلا انقطاع ، وتطبيق التنظيم العلمى للعمل ، وزيادة انتاجية العمل اكثر فاكثر ، ينبغى اناس ذوو اعداد واسع مكين ، وقادرون على تحصيل المعارف تلقائيا وعلى الاستفادة منها عمليا .

وانطلاقا من كل هذا ، وضع الحزب الشيوعى السوفييتى فى مؤتمره الرابع والعشرين امام نظام التعليم مهمة انجاز الانتقال فى سنوات الخطة الخمسية (١٩٧١ـ١٩٧٥) الى التعليم الثانوى العام الالزامى .

فى عام ١٩٧٣ ، بلغ عدد المتخرجين من مؤسسات التعليم

الثانوى (عشر سنوات) حوالى ٣,٨ ملايين ، اى حوالى ٧٦٪ من عدد التلامذة الذين بدأوا يترددون على المدرسة منـــذ ١٠ــ١١ سنة .

ومن حيث شمول الشبيبة بالتعليم الثانوى ، تشغل المدرسة السوفييتية احدى المراتب الاولى فى العالم . وقد بيّن السبيـــل الذى اجتازته المدرسة السوفييتية ان امكانياتها غير محدودة . لأن المبادئ الاساسية للتنظيم الاشتراكى للتعليم الشعبـــى التى تؤمن لجميع المواطنين فرصا متكافئة فى هذا الميدان من الحياة الروحية ظلت هى هى بصرف النظر عن النماذج الجديدة مـــن المدارس التى انشئت فى هذه المرحلة او تلك من تطور المجتمع السوفييتى .

وفى الوقت الحاضر ، تقوم بلادنا فى ميدان بناء الشيوعيـــة بمهام كبيرة جدا من حيث ابعادها واهميتها . وفى هذه الاحوال ، يتعاظم كثيرا دور المدرسة الاجتماعى والاقتصادى فى اعداد اناس قادرين بفضل خصالهم الفكرية والاخلاقية ودرجة تحصيلهـــم وتمرسهم فى العمل ، على انجاز قضية الآباء والاجداد بنجاح .

كالينين

كتب وزير الداخلية دورنوفو رسالة الى النائب العام الاعلى للسنودس المقدس (٢) بوبيدونوستسيف . كتبت الرسالة فى ١٨ آذار (مارس) ١٨٩٥ تحت الرقم ٢٦٠٣ ، ووردت فيها الكتابة التالية : «سرى تماما» . وهذا يعنى ان الوزير اراد ان تبقى الرسالة سرية للغاية . ولكنه تواجد اناس لا يشاطرون السيد الوزير آراءه فى انه لا ينبغى للمواطنين الروس ان يعرفوا نوايا الحكومة ، واذا هذه الرسالة تنتشر الآن فى كل مكان فى نسخ مخطوطة .

فعّم كتب السيد دورنوفو الى السيد بوبيدونوستسيف ؟

كتب له عن مدارس الاحد (٣) . وقد جاء فى الرسالة : «المعلومات الواردة فى خلال السنوات الاخيرة تدل على ان اشخاصا مشبوهين من الناحية السياسية ، وكذلك قسما ذات اتجاه معين من الشباب الذين يتعلمون ، يسعون ، على مثال الحال فى الستينيات ، للانتساب الى مدارس الاحد بصفة معلمين ومحاضرين وقيمى مكتبات والخ . . ان هذا السعى الدائب ، الذى لا يبرره حتى البحث عن وسيلة للعيش ، لأن الواجبات فى هذه المدارس تؤدى مجانا ، يثبت ان الظاهرة المذكورة اعلاه تشكل احدى وسائل النضال الذى تخوضه العناصر المعادية للحكومة ،

على الصعيد العلنى (الشرعى) ضد نظام الدولة والنظام الاجتماعى القائم فى روسيا» .

هكذا يحاكم السيد الوزير ! بين المتعلمين ، يوجد افراد يريدون ان يشاطروا العمال معارفهم ، يريدون ان يعود التعليم بالنفع ، لا عليهم فقط ، بل ايضا على الشعب ، ــ واذا الوزير يقرر فى الحال انه توجد هنا «عناصر معادية للحكومة» ، اى انه هناك متآمرون يحرضون الناس على ارتياد مدارس الاحد . أوليس من الممكن ، يا ترى ، ان تظهر ، بدون اى تحريض ، عند بعض المتعلمين ، الرغبة فى تعليم الآخرين ؟ ولكن الوزير يكدره كون معلمى مدارس الاحد لا يتقاضون راتبا . فقد اعتاد ان يرى ان الجواسيس والموظفين الذين يخدمونه لا يخدمونه الا لقاء رواتب ، وانهم يخدمون من يدفع اكثر من النقود ، فى حين انه يرى هنا فجاة اناسا يشتغلون ويخدمون ويعلمون ، وكل هذا . . . مجانا . هذا يثير الشك ! ــ هكذا يظن الوزير ، فيرسل الجواسيس لتقصى حقيقة الامر . ثم جاء فى الرسالة قولها : «من المعلومات التالية» (التى تلقاها من الجواسيس الذين يتبرر وجودهم بقبضهم الرواتب) «يثبت انه لا يتسرب الى قوام المعلمين اشخاص من ذوى الاتجاه الضار وحسب ، بل انه لا يندر ايضا ان تكون المدارس نفسها تحت الاشراف غير العلنى لحلقة كاملة من اشخاص مشبوهين لا ينتسبون البتة الى هيئة المستخدمين الرسمية ، ومع ذلك يلقون المحاضرات فى الامسيات ويعلمون التلامذة بدعوة من المعلمين والمعلمات المعينين من قبلهم بالذات . . . ان النظام الذى يجيز القاء المحاضرات من قبل اشخاص ثالثين ، يفسح فى المجال الرحب لأجل تسرب افراد من الوسط الثورى مباشرة الى عداد المحاضرين» .

اذن ، اذا اراد «اشخاص ثالثون» لم يحبذهم ولم يتفحصهم

الكهنة والجواسيس ان يعلموا العمال ، فـــان هذا يعني الثورة السافرة ! ان الوزير ينظر الى العمال كمـــا الى البارود ، والى المعرفة والتعليم كما الى الشرارة ؛ والوزير واثق من انـــه اذا وقعت الشرارة في البارود ، فان الانفجار سيتجه في المقام الاول صوب الحكومة .

ونحن لا يسعنا امتناعا عن متعة الاشارة الى اننـــا في هذه الحالة النادرة موافقون كليا وبلا قيد ولا شرط على آراء صاحب السعادة .

ثم يورد الوزير في الرسالـــــة «البراهين» على صحـــــة «معلوماتـ»ـه . فما اجود هذه البراهين !

اولا ، «رسالة معلم في احدى مدارس الاحد لا يزال اسمه الى الآن غير معروف» . هذه الرسالة عثروا عليها أثناء التفتيش . وقد تناولت الرسالة برنامج دروس التاريخ ، وفكرة استعباد وتحرير المراتب الاجتماعيـــــة ، واشارت الى فتنتي رازيـــن وبوغاتشوف .

يجب الظن ان هذين الاسمين الاخيرين هما اللذان اخافا الوزير الطيب كل هذا الخوف ، فتراءت له في الحال ، على الارجـــح ، المذراة * .

البرهان الثاني :

«يوجد في وزارة الداخلية برنامج ، تم الحصول عليه بطريق سري ، لالقاء المحاضرات العلنية في احدى مدارس الاحد بموسكـــو مضمونه هو التالي : «اصل المجتمع . المجتمع البدائي . تطور التنظيم الاجتماعي . الدولة ولأي غرض تلزم . النظام . الحرية . العدالة .

* المقصود هنا خشبة ذات اطراف حديدية كالاصابع تذرى بهـــا الحنطة ، كان الفلاحون الروس يستعملونها كسلاح في انتفاضاتهم ضد الملاكين العقاريين . **الناشر** .

اشكال نظام الدولة . الملكية المطلقة والدستورية . العمل ـ اساس الرفاهية العامة . الفائدة والثروة . الانتاج والتبادل والرأسمال . كيف تتوزع الثروة . السعى وراء المصلحة الشخصية . الملكية وضرورتها . تحرير الفلاحين مع منحهم الارض . الريع والربح والاجرة . على ما تتوقف الاجرة وانواعها . التوفير » .

ان المحاضرات بموجب هذا البرنامج الذى لا يصلح البتة للمدرسة الشعبية تؤمن للمحاضر الامكانية التامة لاطلاع المستمعين ، تدريجيا ، على نظريات كارل ماركس وانجلس وما الى ذلك ، فى حين انه سيكون من المشكوك فيه ان يكون بمقدور الشخص الذى سيحضر هذه المحاضرات بناء على امر من رئاسة الابرشية انيلحظ فيها معالم الدعاية الاشتراكية ـ الديموقراطية » .

يجب الظن ان السيد الوزير يخاف شديد الخوف من « نظريات ماركس وانجلس » اذا كان يلحظ « معالمـ »ـها حتى فى برنامج كهذا لا يبدو فيه وان اثر لها . فماذا وجد فيه الوزير من الامور « التى لا تصلح » ؟ على الارجح ، مسألة اشكال نظام الدولة والدستور .

فخذ ، ايها السيد الوزير ، اى كتاب مدرسى فى الجغرافية ، فانك تجد فيه هذه المسائل ! ألا يجوز للعامل الراشد ، يا ترى ، ان يعرف ما يعلّمونه للاولاد ؟

ولكن السيد الوزير لا يأمل فى رجال المصلحة الابرشية : « اغلب الظن انهم لن يفهموا ما يتناوله الكلام » .

وتنتهى الرسالة بتعداد المعلمين « المشبوهين » فى مدرسة الاحد الكنسية ـ الابرشية ، التابعة لفبركة جمعية مانيفاكتورة بروخوروف فى موسكو ، ومدرسة الاحد فى مدينة يليتس وفى المدرسة المفترضة فى مدينة تفليس . ان السيد دورتوفو ينصح

السيد بوبيدونوستسيف بان يعكف على «التحقق الدقيق من الاشخاص المسموح لهم بالتعليم فى المدارس» . والآن ، حين يقرأ المرء قائمة اسماء المعلمين ، يتملكه ذهول كبير : ابدا ودائما طالب سابق ، ثم طالب سابق ، ثم طالبة سابقة . ان السيد الوزير يتمنى لو كان المعلمون ضباط صف سابقين .

وبرعب شديد يقول السيد الوزير ان المدرسة فى مدينة يليتس «تقع ما وراء نهر سوسنا حيث يعيش على الاغلب شعب بسيط» (يا للويل !) «وعامل وحيث يوجد مشغل للسكة الحديدية» .

يجب ابقاء المدارس ابعد ما يكون عن «الشعب البسيط والعامل» .

ايها العمال ! انتم ترون كيف يخاف وزراؤنا خوفا مميتا من الجمع بين المعرفة والشعب العامل ! فبيّنوا للجميع انه ما من قوة بوسعها ان تنتزع من العمال وعيهم ! العمال بدون المعرفة عاجزون ، ومع المعرفة قوة !

كتب فى تشرين الثانى ــ كانون الاول (نوفمبر ــ ديسمبر) ، او فى موعد لا يعدو ٨ (٢٠) كانون الاول ١٨٩٥
من اجل جريدة «رابوتشييه ديلو» .

المجلد ٢ ،
ص ص ٧٥ ــ ٨٠

قد يتساءل القارئ : ما هذه المقارنة الغريبة ؟ كيف يمكن ان يوضع جنبا الى جنب احد العروق واحدى الامم ؟

المقارنة ممكنة . فان الزنوج تحرروا من العبودية بعد الجميع ولا يزالون الى الآن يعانون من اثقل آثار العبودية — حتى فى البلدان المتقدمة ، لأن الرأسمالية لا يمكنها ان «تتسع» لاى تحرير غير التحرير الحقوقى ، تاهيك عن انها تبتر هذا الاخير ايضا بجميع الوسائل .

وعن الروس يقول التاريخ انهم تحرروا «تقريبا» من العبودية **الاقطاعية** فى عام ١٨٦١ (٤) . وفى الوقت نفسه تقريبا ، اى بعد الحرب الاهلية ضد مالكى العبيد الاميركيين ، تحرر الزنوج فى اميركا الشمالية من العبودية .

ان تحرير العبيد الاميركيين جرى بسبيل اقل «اصلاحية» من تحرير العبيد الروس .

ولهذا بقى على الروس الآن ، بعد مرور نصف قرن ، من آثار العبودية **اكثر بكثير** مما بقى على الزنوج . وحتى قد يكون من الاصح لو تحدثنا ، لا عن الآثار وحسب ، بل وعن المؤسسات ... ولكننا نكتفى فى هذه العجالة ببرهان صغير واحد على ما قيل : مسالة التعليم . معروف ان الامية هى احد آثار العبودية . ولا

يمكن ان تكون اغلبية السكان متعلمة فى بلاد يضطهدها الباشاوات والبوريشكيفيتشيون ومن اليهم .

ـ **الاميون** فى روسيا **٧٣٪** ، ناهيك عن الاطفال ممن لم يبلغوا التاسعة من العمر .

الاميون بين الزنوج فى الولايات المتحدة الاميركية الشمالية (عام ١٩٠٠) **٤٤,٥٪** .

ان هذه النسبة العالية جدا من الاميين هى وصمة عار على جبين البلاد المتمدنة ، الطليعية ، على جبين الجمهورية الاميركية الشمالية . ومعلوم لكل امرئ ، فضلا عن ذلك ، ان وضع الزنوج فى اميركا لا يليق **على العموم** ببلاد متمدنة : فان الرأسمالية **لا تستطيع** ان تؤمن التحرير **التام** ولا حتى المساواة التامة .

ومما له دلالته ان نسبة الاميين بين البيض فى اميركا تبلغ ٦٪ فقط . ولكن اذا قسمنا اميركا الى مناطق استعبادية سابقة («روسيا» الاميركية) والى مناطق غير استعبادية (ليست روسيا الاميركية) ، فاننا نحصل على نسبة الاميين **بين البيض** : ١١ـ ١٢٪ فى المناطق الاولى ، ٤ـ٦٪ فى المناطق الثانية !

ان نسبة الاميين **بين البيض** فى المناطق الاستعبادية السابقة **ارفع ١٠٠٪** . وآثار العبودية لا تقع على الزنوج وحدهم !

العار على اميركا لوضع الزنوج ! . .

كتب فى اواخر كانون الثانى (يناير) ـ اوائل شباط (فبراير) ١٩١٣

المجلد ٢٢ ، ص ص ٣٤٥ ـ ٣٤٦

عدم التطابق المتعاظم

ملاحظات صحفى

(مقتطف)

١٠

ان الصيغ التى وضعتها مختلف الاحزاب فى الدوما بصدد الانتقال والتى تتعلق بتوضيحات كاسو هى صيغ طريفة جدا . فهى تعطينا مادة دقيقة لأجل التحليل السياسى اكدها رسميا نواب مختلف الاحزاب . ان التحليل بالذات هو الذى ينقص هذه المادة اكثر ما ينقصها فى المعتاد . فهو يضيع فى اخبار الصحافة اليومية او فى خضم محاضر الدوما (٥) المختزلة . والحال ، يجدر كثيرا التوقف عنده لأجل توضيح الطبيعة الحقيقية لمختلف الاحزاب .

تعلن المقالة الافتتاحية التى نشرتها «الريتش» (٦) فى اليوم التالى بعد قبول صيغة عدم الثقة : «وعليه نال المجتمع الروسى من دوما الدولة ما كان يحق له الأمل فيه» (العدد ٣٧ ، ٧ شباط ــ فبراير) . ومن هنا ينجم كأنما ينبغى «للمجتمع» ان يعرف فقط ما اذا كان الدوما يثق بالسيد كاسو ام لا ، وليس اكثر !

هذا غير صحيح . ينبغى ان يعرف الشعب والديموقراطية **دوافع** عدم الثقة لأجل **فهم** اسباب ظاهرة معترف بانها غير طبيعية فى السياسة ، ولأجل معرفة ايجاد **مخرج** الى الوضع الطبيعى . ان اتحاد الكاديت (٧) والاكتوبريين (٨) والاشتراكيين ــ

الديموقراطيين حول مجرد تعبير «لا نثق» يعطى القليل القليل فى هذه المسائل البالغة الخطورة . اليكم صيغة انتقال الاكتوبريين :

«ان دوما الدولة . . . : ١ ــ يرى ان كل اجتذاب لتلامذة المدرسة الثانوية الى النضال السياسى يعود بعواقب وخيمة على التطور الروحى للقوى الفتية فى روسيا ويعود بالضرر على مجرى الحياة الاجتماعية العادى ؛ ٢ ــ يرى ضرورة اتخاذ التدابير الاحترازية فى حال اطلاع السلطات فى حينه على الظاهرات غير المرغوب فيها فى المدرسة الثانوية ، وليس الانتظار حتى تتخذ الظاهرات طابعا غير عادى * ؛ ــ يعارض قطعا فى ان تطبق ضد التلامذة تلك التدابير البوليسية التى طبقت ١٠ــ١٢ــ١٩١٢ بدون علم المسؤولين عن التعليم ، عوضا عن التأثير التربوى الطبيعى ؛ ٤ ــ يعتبر من المخالف لمبادئ التربية التباطؤ الذى يقرر به مصير التلامذة المبعدين عن مؤسسات التعليم ؛ وبانتظار تسوية هذه الحالة على الفور بروح العطف على التلامذة ، ــ ينتقل الى الشؤون التالية» .

ما هى الافكار السياسية فى هذه الصيغة ؟

السياسة فى المدرسة ضارة . التلامذة مذنبون . ولكن المعلمين هم الذين يجب عليهم ان يعاقبوهم ، لا رجال البوليس . نحن غير راضين على الحكومة بسبب قلة «العطف» وبسبب التباطؤ .

هذه افكار معادية للديموقراطية . هذه معارضة ليبيرالية : ليبق نظام السلطة القديمة ، ولكن يجب تطبيقه بمزيد من النعومة . اضرب ، ولكن باعتدال وبدون اعلان .

---

* هذا النص قدّم فى جلسة ٢٥ كانون الثانى (يناير) . وفى جلسة اول شباط (فبراير) ، جرى تعديل الفقرة الثانية على النحو التالى : «بعد ان لمس لمناسبة هذه الحالة المعنية الموقف الشكلى واللامبالى السائد فى المدرسة الثانوية حيال التلامذة ، وانعزال هيئة التعليم عن العائلة ، يرى من الضرورى اقرار نظرة عطف عامة الى الجيل الناشىء» .

انظروا الى صيغة انتقال التقدميين (٩) :

«... يرى الدوما : ١ــ ان وزارة التعليم الشعبى التى اطلعت على ما جرى فى مؤسسات التعليم الثانوى فى سانت ــ بطرسبورغ فى الآونة الاخيرة ، قد وقفت موقف عدم اكتراث من واجباتها ولم تصن المدرسة الثانوية من غارات البوليس عليها ؛ ٢ ــ ان الاساليب التى لجأ اليها رجال البوليس والتى لم تلق احتجاجا من جانب وزارة التعليم وتلخصت فى تفتيش المدارس وفى اعتقال التلامذة وابقائهم فى المخفر رهن التوقيف ، وفى اساليب غير جائزة للتحقيق ، لا يمكن تبريرها باى صورة من الصور ، خصوصا وان الامر تناول فى هذه الحالة اعادة النظام فى المدرسة الثانوية لا صيانة امن الدولة ؛ ٣ ــ ان كل نظام تدابير وزارة التعليم ، الموجه الى عزل المدرسة عن العائلة ، يخلق ، بالشكلية العديمة الشفقة التى تخنق تطور الجيل الفتى اخلاقيا وفكريا ، ظروفا ملائمة لبروز ظاهرات غير طبيعية فى الحياة المدرسية . ان الدوما يعتبر توضيحات وزير التعليم غير مرضية ، وينتقل الى الشؤون التالية» .

هذه الصيغة قدمت فى ٣٠ كانون الثانى (يناير) ؛ وآنذاك بالذات اعلن التقدميون انهم سيصوتون مع الاكتوبريين اذا اضافوا عدم الثقة . وقد رأينا اعلاه نتائج هذه المساومة .

على اى اساس **امكن** اجراء هذه المساومة ؟ على اساس التراضى فى الامور الرئيسية .

ان التقدميين يعتبرون هم ايضا السياسة فى المدرسة امرا غير طبيعى ، ويطالبون هم ايضا «باعادة النظام» (الاقطاعى) . وعندهم هم ايضا معارضة فى حالة الاضافة ، معارضة لا لنظام السلطة القديمة ، بل لتطبيقها ــ «بعدم اكتراث ، بعدم شفقة» وما الى ذلك . فى الستينيات وافق بيروغوف على انه يجب الضرب بالقضيب ، ولكنه طالب بان يضربوا **بدون** عدم اكتراث ، **بدون** عدم شفقة . ان التقدميين لا يعارضون فى «اعادة النظام» من

قبل العناصر الاجتماعية الحالية ، ولكنهم ينصحونها بان تفعل ذلك « بمزيد من العطف » . فاى تقدم عندنا فى نصف قرن !

صيغة انتقال الكاديت :

« ان الدوما ، بعد استماعه الى توضيحات وزير التعليم وبعد اعتباره ١ ــ ان هذه التوضيحات تخلط كليا بين وجهة النظر التربوية ووجهة النظر البوليسية ؛ ٢ ــ ان هذه التوضيحات تنكر كليا تلك الاسس العادية التى يمكن ان تقوم عليها علاقات ودية من التعاون بين المدرسة والعائلة ؛ ٣ ــ ان سياسة الوزارة ، التى استثارت عميق الاستياء فى اوساط التلامذة والامتعاض المشروع فى المجتمع ، تسهم هى ذاتها فى خلق جو ييسر انجذاب الشبيبة المتعلمة الى معاطاة السياسة قبل الاوان ، وتخلق بنفسها بالتالى ظروفا كان عليها ان تدرأ نشوءها ؛ ٤ ــ ان معاملة التلامذة معاملة المجرمين تشوه حياة اكثر افراد الجيل الناشئ موهبة ، وتنتزع من صفوفه ضحايا عديدة وتشكل خطرا يتهدد مستقبل روسيا ، ــ يعتبر توضيحات الوزير غير مرضية وينتقل الى الشؤون التالية » .

وهنا **ايضا** يشجبون ، بشكل انعم بكثير ومغلف بالجمل ، الانجذاب « قبل الاوان » الى السياسة . وهذه وجهة نظر معادية للديموقراطية . ان الاكتوبريين والكاديت على السواء لا يشجبون التدابير البوليسية الا لأنهم يطالبون عوضا عنها **بالدرء** . يجب على النظام ان يدرأ انعقاد الاجتماعات ، لا ان يفرقها . وواضح ان النظام نفسه يجمّل قليلا وحسب من جراء هذا الاصلاح ، ولكنه لا يتغير . يقول الكاديت : نحن لسنا راضين على سياسة الوزارة ؛ ولكنه ينجم عندهم ، بطريقة اكتوبرية صرف ، انه **يمكن تمنى** تغيير هذه السياسة بدون اى شىء اعمق بكثير .

ان الكاديت يعربون عن معارضتهم للحكومة بلهجة احدّ بكثير من لهجة الاكتوبريين ؛ ووراء هذه الحدة فى الكلام ، لا ترى العناصر غير المتطورة سياسيا تماثلا تاما فى **طرح المسألة**

بصورة ليبيرالية ، معادية للديموقراطية ، عند الكاديت وعند الاكتوبريين .

يجب على الدوما ان يعلم الشعب السياسة جديا . ومن يتعلم السياسة من الكاديت ، يفسد وعيه ولا يطوره .

اما ان الاكتوبريين والتقدميين والكاديت قد تساوموا وتصافقوا على صيغة مشتركة ، فان هذا ليس صدفة ، بل نتيجة لتضامنهم الفكرى والسياسى من حيث الاساس . وليس ثمة ما هو احقر من سياسة الكاديت : فلأجل اعتبار التوضيحات غير مرضية ، يوافقون على شجب السياسة فى المدارس على المكشوف . ولكن الكاديت وافقوا على هذا لأنهم هم انفسهم يشجبون الانجذاب «قل الاوان» .

صيغة كتلة العمل (١٠) :

«بما : ١ ــ ان العنف الفظ الذى استعمل فى ٩ ــ ١٢ ــ ١٩١٢ بحق الشبيبة المتعلمة فى المدرسة الثانوية ، والذى اذهل المجتمع باشراك مصلحة الأمن بصورة مخزية فى قضية المراقبة التربوية على تلامذة المدرسة الثانوية ، لم يلق فى توضيحات وزير التعليم السيد كاسو غير التحبيذ التام وغير التهكم الشامت على الرأى العام ؛ ٢ ــ ان نظام التحرى والامن الذى هو نتيجة لكل سياسة الوزارة المتحدة وسياسة وزير التعليم كاسو على الاخص ، يؤدى الى التحطيم التام ويهدد فى المستقبل بهزات شديدة بالنسبة للجيل الناشىء ، ــ فان دوما الدولة يطالب باعادة قبول جميع المصروفين فى ٩ كانون الاول على الفور ، وباستقالة وزير التعليم كاسو على الفور لاعتباره توضيحاته غير مرضية ، وينتقل الى الشؤون التالية» .

ان هذه الصيغة هى على وجه التدقيق صيغة ليبيرالية صرف ، ولكنها تخلو مما يجب ان يقوله الديموقراطى **خلافا** لليبيرالى . فان الليبيرالى قد يعتبر من الخزى والعار اشراك رجال الامن فى المراقبة التربوية ، ولكنه يجب على الديموقراطى ان يقول (ويجب

عليه ان يعلّم الشعب) انه لا يحق **لاى** «مراقبة» ان تعتدى على حرية تنظيم الحلقات والاحاديث حول السياسة . والليبرالى قد يشجب «كل سياسة الوزارة المتحدة» ، ولكنه يجب على الديموقراطى فى روسيا ان يوضح انه توجد بعض الظروف العامة التى تضطر بحكمها اى وزارة اخرى كانت الى انتهاج السياسة ذاتها من حيث جوهر الامر .

ان ديموقراطية صيغة كتلة العمل تتجلى **فقط** فى لهجتها ، فى مزاج واضعيها . ان المزاج هو ، بلا ريب ، بادرة سياسية . ولكنه لا ضير فى المطالبة بفكرة عميقة من صيغة الانتقال ، وليس فقط بمزاج «يرفع المعنويات» .

صيغة انتقال الاشتراكيين ــ الديموقراطيين :

«ان دوما الدولة ــ بعد ان استمع الى توضيحات وزير التعليم ورأى فيها ١ ــ العزم على النضال ضد طموح الشبيبة المتعلمة الطبيعى والسار الى توسيع افقها الفكرى عن طريق التحصيل الذاتى والى المعاشرة الرفاقية ؛ ٢ ــ تبرير نظام الشكلية البيروقراطية والتجسس والتحرى البوليسى ، المغروس فى المدرسة العليا والثانوية والابتدائية ، والذى يشوه الشباب فكريا واخلاقيا ، ويخنق بلا رحمة كل بصيص من استقلال الفكر واستقلال الطبع ، ويتسبب بوباء الانتحار بين التلامذة ، ــ يعتبر هذه التوضيحات غير مرضية . وبما ان دوما الدولة يرى فى الوقت نفسه ــ١ــ ان سيادة وجهة النظرالبوليسيةفى ميدان التعليم الشعبى ترتبط ارتباطا لا انفصام لعراه بسيادة بوليس الأمن على الحياة الروسية كلها ، وبقمع مبادرة المواطنين المنظمة بجميع صورها ، وبانعدام حقوقهم ، ــ ٢ ــ وان تحويل نظام الدولة ونظام ادارة الدولة تحويلا جذريا هو وحده القادر على تحرير المواطنين من القيود البوليسية ، وتحرير المدرسة ايضا منها ، ــ فانه ينتقل الى الشؤون التالية» .

من المشكوك فيه ان يكون من الممكن اعتبار هذه الصيغة ايضا خالية من كل عيب . فلا بدّ من ان نتمنى لها عرضا اكثر

بساطة واكثر اسهابا ، لا بدّ ان نأسف لكونها لا تشير الى شرعية معاطاة السياسة ، والخ . ، وهلمجرا .

ولكن انتقادنا **لجميع الصيغ** لا يقصد البتة تفاصيل التحرير ، بل يقصد بوجه الحصر **افكار** واضعيها **السياسية الاساسية** . فقد كان على الديموقراطى ان يقـــول الشيء الرئيسى : الحلقـــات والاحاديث **طبيعية وسارة** . وهنا الجوهر . وكل شجب للانجذاب الى السياسة ، وان «قبل الاوان» ، انما هو نفاق وظلامية . كان على الديموقراطى ان يرفع المسألة **من** مستوى «الوزارة المتحدة» **الى** مستوى نظام الدولـــة . كان على الديموقراطى ان يشير الى «الصلة التى لا انفصام لعراها» ، اولا ، مع «سيـــادة بوليس الأمن» ، وثانيا ، مع سيادة طبقة الملاكين العقاريين الكبار من الطراز الاقطاعى فى الحياة الاقتصادية .

كتب فى ٦ ــ ٩ (١٩ ــ ٢٢) شباط (فبراير) ١٩١٣

المجلد ٢٢ ، ص‌ص ٣٨٣ــ٣٨٨

اضواء على مسألة سياسة وزارة التعليم الشعبى (١١)

(اضافة الى مسألة التعليم الشعبى)

ان وزارتنـــا « للتعليم » ـ واعذرونى على التعبير ـ الشعبى ، تتبجح خارق التبجح لكون نفقاتها تتنامى ببالغ السرعة . ففى مذكرة توضيحية وضعها رئيس الوزراء ووزير المالية لكشف عام ١٩١٣ نجد مجموعة من المعطيات عن ميزانيـــة وزارة التعليم الشعبى المزعوم فى سنوات ما بعد الثورة . فمن ٤٦ مليون روبل فى عام ١٩٠٧ ، ارتفعت هذه الميزانية حتى ١٣٧ مليون روبل فى عام ١٩١٣ . الزيادة هائلة : الى حوالى ثلاثة امثال فى خلال نحو ستة اعوام فقط !

ولكن عبثا ينسى اصحابنـــا المداحون الحكوميون « للنظم » البوليسية او **«لانعدام النظم»** البوليسى فى روسيـــا ان الارقام الصغيرة الى حد الاضحاك تنمو دائما بسرعة **«هائلة»** عند حساب نموها بالنسبة المئوية . فاذا اعطيت شحاذا يملك ثلاثة كوبيكات قطعة نقدية من خمسة كوبيكات ، فان زيادة « ملكيته » ستكون فى الحال هائلة : ١٦٧٪ على وجه الضبط !

أولم يكن يجدر بالوزارة ان تورد **معطيات اخرى** ، لو انها لم تكن تستهدف **تعتيم** الوعى الشعبى **وطمس** بؤس اوضاع التعليم الشعبى فى روسيا ؟ أولم يكن يجدر بها على وجه الضبط ان تورد معطيات لا تقارن بين قطعتنا الحالية من خمسة كوبيكات وبين

قطعتنا السابقة من ثلاثة كوبيكات ، بل تقارن بين ما نملكه وبين ما هو **ضروري** لدولة متمدنـــة ؟ ان كل من لا يريد ان يخدع نفسه ويخدع الشعب ، انمـــا يتعين عليه ان يعترف بان الوزارة كانت **ملزمة** بايراد مثل هذه المعطيـــات ، ــ وبان الوزارة لعدم ايرادها **مثل هذه** المعطيات ، لم تقم بواجبها . فعوضا عن **توضيح** حاجات دولتنـــا للشعب ولممثلي الشعب ، **تطمس** الوزارة هذه الحاجات ، بانهماكها في لعب بيروقراطي غبي بالارقام ، في الترديد البيروقراطي الممل لارقام قديمة لا توضح شيئا .

ويقينا اني لا اجد تحت تصرفي وان جزءا من مائة جزء من تلك الوسائل وتلك المصادر التي تملكهـــا الوزارة للاطلاع على شؤون التعليم الشعبي . ولكني حاولت مع ذلك ان اجد سبيلا ولو الى **بعض** المصادر . واني اتجرأ على التأكيد اني سأتمكن من ان اورد لكم معطيات رسمية ، **لا جدال فيها** ، **توضح** فعلا اوضاع «تعتيم» نا الشعبي البيروقراطي .

اني آخذ الصحيفة الرسمية ، الحكوميـــة ، «ايجيغودنيك روسيي» («حولية روسيا») لعام ١٩١٠ ، ــ التي تصدرها وزارة الداخلية (سانت ــ بطرسبورغ . عام ١٩١١) .

اقرأ في الصفحـــة ٢١١ منهـــا ان **كل** عدد التلامـــذة في الامبراطورية الروسية ، بما فيها المدارس الابتدائية والثانويـــة والعليا على السواء ومؤسسات التعليم على اختلاف انواعها مأخوذة معا ، قد بلغ ٦٢٠٠١٧٢ شخصا في عام ١٩٠٤ ، و٧٠٩٥٣٥١ شخصا في عام ١٩٠٨ . الزيادة جلية للعيان . فان عام **١٩٠٥** ، عام استيقاظ الجماهير الشعبية العظيم في روسيا ، عام النضال الشعبي العظيم من اجل الحرية تحت قيادة البروليتاريا ، هذا العام **اجبر** حتى مصلحتنا الحكومية على التحرك من مكانها .

ولكن انظروا الى اي **فقر مدقع** حكم علينا به ، بفضـــل بقاء

الطغمة البيروقراطية ، بفضل كليـــة سلطان الاقطاعيين ـ الملاكين العقاريين ، **حتى** فى حال اسرع ما يكون من التقدم «على صعيد المصالح الحكومية» .

والصحيفة نفسها «حولية روسيا» تحسب فى المكان نفسه انه كان يوجد فى روسيا بكل ١٠٠٠ نسمة ٤٦,٧ تلميذا فى عام ١٩٠٨ (فى عام ١٩٠٤ كان هنـــاك ٤٤,٣ تلميذا بكل ١٠٠٠ نسمة) .

علام يدل هذا الرقم الذى تكاسلت وزارة التعليم فى ابلاغـــه للدوما من مطبوعات وزارة الداخلية ؟ علام تدل هذه النسبة **اقل من ٥٠ تلميذا** بكل ١٠٠٠ نسمة ؟

انها تدل ، ايها السادة المدافعون عن التعتيم الشعبى من قبل الحكومة ، على تأخر وتوحش روسيا **بصورة لا تصدق** ، بفضل كلية سلطان الاقطاعيين ـ الملاكين العقاريين فى دولتنا . ان عدد الاطفال والاحداث فى السن المدرسية يبلغ فى روسيـــا اكثر من ٢٠٪ من مجمل عدد السكان اى اكثر من **الخمس** . وهذا الرقم لم يكن من العسير ان يعرفه **حتى** السيدان كاسو وكوكوفتســـوف بواسطة موظفى دائرتيهما .

اذن ، الاطفال فى السن المدرسيـــة ٢٢٪ ؛ اما التلامذة ، فـ٤,٧٪ اى **اقل بحوالى خمس مرات** ! وهذا يعنى ان زهاء **اربعة اخماس** الاطفـــال والاحداث فى روسيـــا **محرومون** من التعليم العام !!

ولم يبق اى بلد متوحش جماهير شعبه **مسلوبة** الى هذا الحد على صعيد التعليم والنور والمعرفـــة ، لم يبق فى اوروبا اى بلد كهذا سوى روسيا . وتوحش الجماهير الشعبية هذا ، ولاسيمـــا منها الفلاحون ، ليس من باب الصدفة ، بل امر **محتم** تحت نير الملاكين العقاريين الذيـــن استولوا على عشرات وعشرات ملايين

الديسياتينات من الارض ، واستولوا كذلك على سلطة الدولة سواء في الدوما ام في مجلس الدولة (١٢) ، وليس فقط في هاتين المؤسستين **الدنيتين** نسبيا ...

ان اربعة اخماس جيل الشباب يحكم عليهم نظام الدولة الاقطاعي في روسيا بالامية . والامية في روسيا يناسبها هذا التبليد للشعب من قبل سلطة الملاكين العقاريين . والصحيفة الحكومية نفسها «حولية روسيا» تحسب (في الصفحة ٨٨) ان نسبة المتعلمين في روسيا تبلغ ٢١٪ فقط من السكان ، وانها تبلغ ، بعد حسم الاطفال ممن **لم** يبلغوا السن المدرسية (من عداد السكان) ، اي الاطفال الذين لم يبلغوا التاسعة من العمر ٢٧٪ فقط .

اما في البلدان المتمدنة ، فلا وجود البتة للاميين ، كما في السويد والدانمارك ، او ان نسبة الاميين ١ـ٢٪ فقط ، كما في سويسرا والمانيا . وحتى النمسا ـ المجر المتخلفة قد ضمنت لسكانها السلافيين ظروف حياة اوفر ثقافة **بما لا يقاس** مما في روسيا الاقطاعية . فان نسبة الاميين في النمسا ٣٩٪ ، وفي المجر ٥٠٪ . ولذا يجدر بشوفينيينا واليمينيين والقوميين المتعصبين والاكتوبريين ، ان **يمعنوا الفكر** في هذه الارقام ، اذا كانوا لم يضعوا نصب عيونهم كهدف من اهداف «الدولة» ان يتناسوا هم انفسهم عادة التفكير وان يحملوا الشعب على تناسي عادة التفكير . ولكن اذا كانوا قد تناسوا هم انفسهم هذه العادة ، فان الشعب في روسيا **يتعلم** اكثر فاكثر التفكير ـ والتفكير في الطبقة التي تحكم بسيادتها في الدولة على الفلاحين الروس بالفقر المادي والفقر الروحي .

ان اميركا **ليست** في مصف البلدان الطليعية من حيث عدد لمتعلمين . فان نسبة الاميين بين سكانها تبلغ ١١٪ تقريبا ، ونسبة

الاميين بين الزنوج ٤٤٪ . ولكن اوضاع الزنوج الاميركيين فيما يتعلق «بالتعليم الشعبى» احسن مع ذلك **باكثر من مرة** من اوضاع الفلاحين الروس . ومهما كان الزنوج الاميركيون مسحوقين، لما فيه خزى الجمهورية الاميركية ، فانهم مع ذلك اسعد من الفلاحين الروس ،ـ وهم اسعد لأن الشعب قضى منذ نصف قرن بالضبط على مالكى العبيد الاميركيين ، وسحق هذه الافعى ، وكنّس كليا من على وجه الارض العبودية ونظام الدولة العبودى، والامتيازات السياسية العبودية فى اميركا .

ان السادة كاسو وكوكوفتسوف وماكلاكوف واضرابهم سيعلمون الشعب الروسى ايضا الاقتداء بالمثال الاميركى .

فى اميركا ، كان عدد التلامذة **١٧ مليونا** فى عام ١٩٠٨ ،اى **١٩٢ تلميذا بكل الف نسمة من السكان** ، اى ما يوازى **اكثر من اربعة امثال** ما هو عليه فى روسيا . ومنذ ثلاثة واربعين عاما ، فى عام ١٨٧٠ ، اى عندما **بدأت** اميركا للتو تبنى حياتها الحرة ، بعد **تطهير** البلاد من الجواميس مالكى العبيد ،ـ منذ ثلاثة واربعين عاما ، كان فى اميركا ٦٨٧١٥٢٢ تلميذا ، اى اكثر مما فى روسيا فى عام ١٩٠٤ ، **وزهاء** ما فى روسيا فى عام ١٩٠٨ . ولكن حتى آنذاك ، فى عام ١٨٧٠ كان فى اميركا بكل ١٠٠٠ نسمة من السكان ١٧٨ (**مائة وثمانية وسبعون**) تلميذا اى ما يوازى تقريبا اربعة امثال ما فى روسيا **المعاصرة** .

اليكم ، ايها السادة ، برهانا جديدا على انه **لا يزال** يتعين على روسيا ان تظفر لنفسها ، بنضال عنيد ثورى يخوضه الشعب ، **بتلك الحرية** التى ظفر بها الاميركيون منذ نصف قرن .

ان ميزانية وزارة التعتيم الشعبى فى روسيا محددة فى عام ١٩١٣ بـ١٣٦,٧ مليون روبل . وهذا ما يبلغ بكل نسمة من السكان (١٧٠ مليون نسمة فى عام ١٩١٣) ٨٠ كوبيكا فقط .

وحتى اذا اخذنا رقم «مبلغ نفقات الخزينة الاجمالى على التعليم» الذى يعطيه السيد وزير المالية على الصفحة ١٠٩ من مذكرته التوضيحية للكشف ، واعنى به رقم ٢٠٤,٩ ملايين روبل ، فاننا لا نحصل مع ذلك الا على روبل واحد و٢٠ كوبيكا بكل فرد من السكان . وفى بلجيكا وبريطانيا والمانيا ، يبلغ مجمل النفقات على التعليم الشعبى ٢ــ٣ روبلات وحتى ٣ روبلات و٥٠ كوبيكا بكل فرد من السكان . وفى اميركا بلغت النفقات على التعليم الشعبى ٤٢٦ مليون دولار فى عام ١٩١٠ اى ٨٥٢ مليون روبل ، اى ٩ روبلات و٢٤ كوبيكا بكل فرد من السكان . ومنذ ٤٣ سنة ، اى فى ١٨٧٠ ، انفقت الجمهورية الاميركية على التعليم الشعبى ١٢٦ مليون روبل فى السنة ، اى **٣ روبلات و٣٠ كوبيكا** بكل فرد من السكان .

وطبعا ، يعترض علينا الكتبة الحكوميون والخدم الحكوميون قائلين ان روسيا فقيرة وانها لا تملك المال . اجل ، اجل ، ان روسيا ليست فقيرة وحسب ، بل ومعدمة حين يتناول الكلام التعليم الشعبى . ولكن روسيا «غنية» جدا بالنفقات على الدولة الاقطاعية التى يديرها الملاكون العقاريون ، بالنفقات على البوليس ، على الجيش ، على بدلات الايجار ، على رواتب الواحد منها عشرة آلاف روبل للملاكين العقاريين الذين ترقوا فى الخدمة حتى الرتب «الرفيعة» ، على سياسة المغامرات والنهب بالأمس فى كوريا او على نهر يالو ، واليوم فى منغوليا وارمينيا التركية . ان روسيا ستبقى **دائما** فقيرة ومعدمة فيما يتعلق بالنفقات على التعليم الشعبى ، **طالما** لم يستنر الشعب الى حد ان يخلع عن كاهله نير الاقطاعيين ــ الملاكين العقاريين .

ان روسيا فقيرة حين يتناول الكلام رواتب المعلمين الشعبيين . يدفعون لهم قروشا تافهة . المعلمون الشعبيون يجوعون ويبردون

فى بيوت حقيرة غير مدفأة وغير صالحة تقريبا للسكن . المعلمون الشعبيون يعيشون مع الماشية التى يسوقها الفلاحون فى الشتاء الى بيوتهم . المعلمون الشعبيون يلاحقهم اى اوريادنيك (١٣) ، او اى من رجال المائة السود (١٤) فى الريف ، او اى خفير او مخبر متطوع ، ناهيك عن اعمال العنت والملاحقة من جانب الرؤساء . ان روسيا فقيرة لكى تدفع لشغيلة التعليم الشعبى الشرفاء ، ولكن روسيا غنية جدا لكى تغدق الملايين وعشرات الملايين على النبلاء الطفيليين ، وعلى المغامرات الحربية ، وعلى الهبات لاصحاب مصائع السكر ولملوك البترول ومن لف لفهم .

واليكم ، ايها السادة ، رقما آخر واخيراً من الحياة الاميركية ، يبين للشعوب التى يضطهدها الاقطاعيون الروس وحكومتهم **كيف** يعيش شعب استطاع ان يظفر بالحرية عن طريق الحرب الثورية . ففى عام ١٨٧٠ كان فى اميركا ٢٠٠٥١٥ معلما بلغت رواتبهم ٣٧,٨ مليون دولار ، اى ١٨٩ دولارا او **٣٧٧ روبلا** فى السنة بالمتوسط بكل معلم . كان ذلك منذ **اربعين سنة** ! اما الآن ، ففى اميركا **٥٢٣٢١٠ معلمين** ، ورواتبهم تبلغ ٢٥٣,٩ مليون دولار اى ٤٨٣ دولارا او **٩٦٦ روبلا** فى السنة بكل معلم . وفى روسيا ، حتى فى ظل مستوى قواها المنتجة الحالى ، من الممكن تماما فى الوقت الحاضر تأمين راتب ليس اقل كفاية لجيش المعلمين الشعبيين الذين يساعدون الشعب على النهوض من حمأة الامية والجهل والضيم ، ــ لو . . . لو احيل كل نظام الدولة فى روسيا ، من اسفله الى اعلاه ، الى نظام على قدر من الديموقراطية كالنظام الاميركى .

إمّا الفقر المدقع والتوحش فى ظل كلية سلطان الاقطاعيين ــ الملاكين العقاريين ، فى ظل نظم او قباحات الثالث من حزيران

(يوتيو) (١٥) ــ وإما الحرية والمدنية فى ظل **المهارة والعزم** على الظفر بالحرية ؛ ذلك هو **الدرس** الجلىّ الذى تلقيه ميزانية وزارة التعليم الشعبى على المواطنين الروس .

ولكنى لم اتناول حتى الآن غير جانب واحد تقريبا من المسألة ، هو الجانب المادى او حتى المالى . ولكن ما يعانيه التلامذة والمعلمون فى روسيا من ضيم روحى ومذلة وانسحاق وانعدام حقوق ادعى الى ما لا قياس له للأسف او بالاصح ، ادعى الى الاشمئزاز . فان كل نشاط وزارة التعليم فى هذا الميدان انتهاك تام لحقوق المواطنين ، اهانة للشعب . التحرى البوليسى ، التعسف البوليسى ، **العراقيل** البوليسية امام تعليم الشعب على العموم والعمال على الخصوص ، **التدمير** البوليسى لما يفعله الشعب نفسه من اجل تعلمه ، ــ فى هذا يقوم **كل** نشاط الوزارة التى سيصادق على ميزانيتها السادة الملاكون العقاريون ، ابتداء من اليمينيين حتى الاكتوبريين ضمنا .

ولكى **اثبت** لكم ، ايها السادة اعضاء الدوما الرابع ، صحة اقوالى ، ادعو شاهدا لا يسعكم **حتى** انتم ، ايها السادة الملاكون العقاريون ، ان تعترضوا عليه . هذا الشاهد هو عضو دوما الدولة الثالث والرابع الاكتوبرى السيد **كلوجف** ، عضو مجلس الوصاية فى مدرستى البنات الثانويتين الثانية والثالثة فى سامارا ، وعضو اللجنة المدرسية لدى دوما مدينة سامارا ، وعضو لجنة التفتيش فى زيمستفو محافظة سامارا ، والمفتش السابق للمدارس الشعبية . ولقد عددت (بالاستناد الى الدليل الرسمى للدوما الثالث) القاب ورتب هذا الاكتوبرى ، لكى **اثبت** لكم ان الحكومة **نفسها** والملاكين العقاريين **انفسهم** فى زيمستفو الملاكين العقاريين قد وضعوا السيد كلوجف فى مكان بارز جدا فى ميدان «عمل» («عمل» رجال التحرى والجلادين) وزارتنا للتبليد الشعبى .

واذا كان احد قد امضى كل مدة خدمته كموظف مخلص كليا للحكومة ـ كموظف طائع للقانون وخائف من الرب ـ ، فهو ، بالطبع ، السيد كلوجف . واذا كان احد قد حظى بثقة السادة النبلاء والملاكين العقاريين بخدمته الامينة فى الملحقـــات ، فى الاقاليم ، فهو ، بالطبع ، السيد كلوجف .

فاليكم بعض مقتطفات من خطاب هذا الشاهد الامين للغاية (من وجهة النظر الاقطاعية) فى الدوما **الثالث** حول ميزانية وزارة التعليم .

ان زيمستفو سامارا ـ كمـــا قال السيد كلوجف فى الدوما الثالث ـ اقر **بالاجماع** اقتراح السيد كلوجف بطلب تحويل بعض المدارس الريفية من صفين الى مدارس من اربعة صفوف . ولى امر التعليم فى الدائرة ـ كما يفيد طائع القانون والخائف من الرب السيد كلوجف ـ **يرفض** . لماذا ؟ التوضيح الرسمى : «**نظرا لقلة عدد الاولاد فى السن المدرسية**» .

واذا السيد كلوجف يجرى المقارنة التالية : **عندنا** (يقول هذا عن روسيا التى يخنقها الملاكون العقاريون) ، عندنا **لا توجد اى** مدرسة من اربعة صفوف لـ ٦٠٠٠ نسمة فى قرى سامارا . وفى مدينة سردوبول (فنلنده) توجد **اربع** مدارس ثانوية (واعلى من ثانوية) لـ ٢٨٠٠ نسمة .

تلك هى المقارنـــة التى اجراها السيد الاكتوبرى والجزيل الاحترام بيريدوتوف * ... عفوا ، زل لسانى ... الجزيل الاحترام السيد كلوجف فى الدوما الثالث . فكروا فى هذه المقارنة ، ايها السادة الذين تمثلون ، ان لم يكن الشعب ، فالملاكين العقاريين على الاقل ! من طلب فتح المدارس ؟ هل اليســـاريون ؟ هل

* بيريدونوف ـ نموذج المعلم الجاسوس والغبى فى رواية سولوغوب «العفريت الصغير» .

الفلاحون ؟ هل العمال ؟ نجنـــا ، يا رب !! طلب **بالاجماع** زيمستفو سامارا اى **الملاكون العقاريون** فى سامارا ، بمن فيهم اشدهم اغراقا فى الرجعية . اما الحكومة ، فانها ، بشخص ولىّ الامر ، ترفض بذريعة «**قلة**» عدد الاطفال فى السن المدرسية !! حسنا ، ألم اكن على كامل الحق عندما قلت ان الحكومة **تعرقل** التعليم الشعبى فى روسيا ؟ ـ ان الحكومـــة اكبر عدو للتعليم الشعبى فى روسيا ؟

واذا كنا نرى فى فنلنده الثقافة والمدنية والحرية والتعليم والنساء المتعلمات وهكذا دواليك ، فذلك **لسبب واحد وحيد** هو انه **لا توجد** فى فنلنده «مصيبة اجتماعية» مثل حكومة روسيا . والآن يريدون ان يفرضوا هذه المصيبة على فنلنده ايضـا وان يجعلوا فنلنده ايضا بلدا عبوديا . ولكنكم لن تفلحوا فى هذا ، ايها السادة !! وبمحاولاتكم لغرس العبودية السياسيـــة بالعنف فى فنلنده ، لن تفعلوا غير ان تعجلوا استيقاظ شعوب روسيا من العبودية السياسية !

وانى اورد افادة اخرى من الشاهد الاكتوبرى السيد كلوجف . فقد تساءل السيـــد كلوجف فى خطابـــه : «كيف يستأجـــر المعلمون ؟» واعطى بنفسه الجواب التالى عن سؤاله :

«اوصى المرحوم بوبوف ، وهو من رجالات ســامـــارا ، برأسمـــال لانشاء مدرسة للمعلمات» . ولكن من التى عينوها ، برأيكم ، رئيســـة للمدرسة ؟ اليكم ما كتبه منفذ وصية المرحوم بوبوف : «وفى مكان الرئيسة عيّنت **ارملة جنرال فى الحرس** سمعـــت للمرة الاولى ، حسب اعترافهـــا بالذات ، بوجود مؤسسة تعليمية مسماة بمدرسة المعلمات» !!

لا تظنوا ، ايها السادة ، انى اخذت هذا الواقع من مجموعة خرافات دميان بدنى ، من تلك الخرافـــة التى غرّموا بسببهـــا «بروسفيشينيه» ، وزجوا برئيس تحريرها فى السجن . كلا . ان هذا الواقع مأخوذ من خطاب الاكتوبرى كلوجف ، الذى يخشى

فقط (بوصفه رجلا يخاف من الرب ويخاف من البوليس) **ان يفكر** فى معنى هذا الواقع . لأن هذا الواقع يثبت مرة اخرى بما لا يقبل الجدل انه لا يوجد فى روسيا عدو لتعليم الشعب اشد شراسة وتصلبا من الحكومة الروسية . اما السادة الذين يتبرعون بالرساميل من اجل التعليم الشعبى ، فيجب عليهم ان يفهموا انهم يبددون النقود عبثا ، وشرا من العبث . وهم ، اذ يرغبون فى التبرع من اجل التعليم الشعبى ، يقدمون النقود **بالفعل لجنرالات الحرس ولاراملهم** . وهؤلاء المتبرعون ، اذا كانوا لا يريدون تبديد اموالهم ، يتعين عليهم ان يفهموا انه يجب عليهم ان يتبرعوا بها فى صالح الاشتراكيين ـ الديموقراطيين الذين هم **وحدهم** دون غيرهم يستطيعون ان يؤمنوا للشعب بهذه النقود التعليم **الحقيقى** ، المستقل فعلا عن «جنرالات الحرس» ... وعن السادة الجبناء والطائعين للقانون امثال كلوجف .

واليكم مقطعا آخر من خطاب آلسيد كلوجف نفسه :

«عبثا كانت رغبتنا فى دوما الدولة (الدوما الثالث) فى الافساح فى المجال امام تلامذة المدارس الثانوية الدينية الى مؤسسات التعليم العالى . فان الوزارة لم تجد من الممكن الاستجابة لرغبتنا» . «ثم ان الحكومة تقطع الطريق الى التعليم العالى ، لا امام تلامذة المدارس الثانوية الدينية وحسب ، بل ايضا امام اولاد مرتبة الفلاحين ومرتبة البرجوازيين الصغار على العموم . هذه ليست جملة جميلة ـ صاح الموظف الاكتوبرى من وزارة التعليم ـ بل الحقيقة . فمن اصل ١١٩٠٠٠ شخص يتعلمون فى المدارس الثانوية ، يبلغ عدد الفلاحين ١٨٠٠٠ فقط . وفى جميع مؤسسات التعليم التابعة لوزارة التعليم ، تبلغ نسبة الفلاحين ١٥٪ فقط . ومن اصل ٢٠٥٠٠ تلميذ فى المدارس الثانوية الدينية ، يبلغ عدد الفلاحين ١٣٠٠ فقط . وفى المدارس العسكرية وما ماثلها من المؤسسات لا يقبلون الفلاحين ابدا» (هذه الفقرات من خطاب كلوجف وردت ، مثلا ، فى مقالة ك . دوبروسردوف فى العدد ٦ من «نيفسكايا زفيزدا» ـ «نجمة النيفا» ـ (١٦) لعام ١٩١٢ بتاريخ ٢٢ ايار ـ مايو ـ ١٩١٢) .

هكذا تكلم فى الدوما الثالث السيـــد كلوجف . وافادات هذا الشاهد لن يدحضها السادة الحكام فى الدوما الرابع ايضا . والحال ان الشاهد ، **رغم** ارادته **وخلافا** لرغبته ، يؤكد كليـــا التقييم **الثورى** للوضع الراهن فى روسيا على العموم وفى التعليم الشعبى على الخصوص . لأنه ، بالفعل ، ماذا تستحق حكومة **تقطع الطريق** الى التعليم امام البرجوازيين الصغار والفلاحين ، على حد قول واحد من موظفى الحكومـــة البارزين ومن رجالات حزب الاكتوبريين الحكومى ؟

ففكروا ، أيها السادة ، فيما تستحقه حكومة كهذه من وجهة نظر هؤلاء البرجوازيين الصغار والفلاحين !

ولا تنسوا ان البرجوازيين الصغار والفلاحين فى روسيا يشكلون ٨٨ بالمئة من السكان اى نحو **تسعة اعشار** الشعب . والحال ان النبلاء يشكلون **واحدا ونصفا بالمئـــة** فقط من السكان . ولكن الحكومة تأخذ النقود من تسعـــة اعشار الشعب لأجل المدارس ومؤسسات التعليم على اختلاف انواعها وتعلم النبلاء **بهذه النقود ، قاطعة الطريق** امام البرجوازيين الصغار والفلاحين !! اوليس من الواضح ما تستحقه حكومة النبلاء هذه ؟ ــ هذه الحكومـــة التى تضطهد تسعة اعشار السكان لأجل حماية امتيازات **جزء مئوى** من السكان ؟؟

واخيرا ، أليكم المقطع الاخير من خطاب شـــاهدى الموظف الاكتوبرى فى وزارة التعليم ، وعضـــو الدوما الثالث (والرابع) السيد كلوجف :

«فى خمس سنوات ١٩٠٦ ــ ١٩١٠ ، ــ كما يقول السيد كلوجف ــ صرف من الخدمة فى دائرة قازان من مدراء مؤسسات التعليم الثانوى والمدارس الشعبية ــ ٢١ ، ومن مفتشى المدارس الشعبية ــ ٣٢ ، ومـــن معلمى مدارس المدن ١٠٥٤ ونقل من هؤلاء واولئك ٨٧٠ . فكروا ــ صاح

السيد كلوجف ـ كيف يمكن لمعلمنا ان ينـــام مرتاح البـــال ؟ اذا نام فى استراخان ، فهو ليس واثقا بانه لن يستيقظ فى فياتكا . افهموا هذه الحالة النفسية ، حالة المعلم المطارد كالارنب ! » .

وهذه الصيحة ليست صيحة معلم « يسارى » ما ، بل صيحة اكتوبرى . وهذه المعطيات اوردها موظف مخلص كليا للحكومة . انه شاهد**كم انتم** ، ايها السادة اليمينيون ، القوميون والاكتوبريون ! ! وشاهد « كم انتم » هذا مضطر للاعتراف بتعسف الحكومـــة فى معاملة المعلمين تعسفـــا فى منتهى التهور والوقاحـــة والاثارة للاشمئزاز ! ! ان شاهد**كم انتم** ، ايها السادة الحكام فى الدومـــا الرابع ومجلس الدولة ، مضطر للاعتراف بواقع ان المعلمين فى روسيا «**مطاردون**» كالارانب من قبل الحكومة الروسية ! !

واعتمادا على هذا الواقع ، وهو واحد من آلاف وآلاف الوقائع المماثلة فى الحياة الروسيـــة ، نســـأل الشعب الروسى وجميع الشعوب القاطنة فى روسيا : هل نحن بحاجة الى حكومـــة لأجل حمايـــة امتيازات النبلاء ولأجل «**مطاردة**» المعلمين الشعبيين ؟ ألا تستحق هذه الحكومة ان **يطرد**ها الشعب ؟

اجل ، المعلمون الشعبيون الروس مطاردون كالارآنب ! اجل ، تسعة اعشار سكان روسيا تقطع الحكومـــة امامهم الطريق الى التعليم . اجل ، ان وزارتنـــا للتعليم الشعبى هى وزارة التحرى البوليسى ، والتهكم على الشباب ، والسخر من تطلع الشعب الى المعرفة . ولكن الفلاحين الروس ولاسيما العمال الروس ، ايهـــا السادة اعضاء الدوما الرابع ، ليســـوا جميعهم ، وابعد من ان يكونوا جميعهم مثل **الارانب** . وقد استطاعت الطبقة العاملة ان تثبت هذا فى عام ١٩٠٥ (١٧) ، وستستطيع ان تثبته مرة اخرى وتثبت بقدر اكبر بكثير من قوة الاقناع ، بقدر اكبر بكثير من

التأثير ، بقدر اكبر بكثير من الجدّ ، اهليتها للنضال الثورى من اجل الحرية الحقيقية ومن اجل التعليم **الحقيقى ، الشعبى** ، وليس التعليم على طريقة كاسو والنبلاء !

كتب فى ٢٧ نيسان (ابريل) (١٠ ايار ـ مايو) ١٩١٣

المجلد ٢٣ ، ص‌ص ١٢٥ ـ ١٣٥

ان سياسة الحكومة مشبعـــة كلها بروح التعصب القومى . والقوميـــة «السائدة» اى الروسيـــة يحاولون منحهـــا شتى الامتيازات ، ـ رغم ان الروس فى روسيـــا **اقلية** ، اى بالضبط ٤٣٪ فقط .

وجميع القوميات الباقية القاطنـــة فى روسيا يحاولون ان يبتزوا اكثر فاكثر من حقوقها ، ان يعزلوها بعضها عن بعض ، ان يؤججوا نيران العداوة بينها .

واكثر مظاهر التعصب القومى المعاصر تطرفا ، انما هو مشروع قومية المدرسة اليهودية . وقد خطر هذا المشروع فى بال ولىّ امر التعليم فى دائرة اوديسا وقوبل فى وزارة «التعليم» بالتحبيذ . ففيم يقوم هذا المشروع ؟

فى انهم يريدون جمع اليهود فى مؤسسات تعليمية (ثانوية) يهودية **خاصة** . اما مؤسسات التعليم الباقيـــة ، الخاصـــة والحكومية ، فانهم يريدون ان يغلقوا كليا ابوابها امام اليهود . واكمالا لهذا المشروع «العبقرى» ، يرتأى الحد من عدد التلامذة فى المدارس الثانوية اليهودية «بالمعدل المئوى» الشهير !

فى جميع البلدان الاوروبيـــة لم تقم مثل هذه الاجراءات والقوانين ضـــد اليهود الا فى عهد القرون الوسطى القاتم ، عهد

محاكم التفتيش ، وحرق الهراطقة وما شابه من هذه الروائع . وفى اوروبا ، نال اليهود من زمان المساواة التامة فى الحقوق وهم يندمجون اكثر فاكثر فى الشعب الذى يعيشون فى وسطه .

اما اضرّ ما فى سياستنا على العموم ، وفى المشروع المعروض على الخصوص ، ــ علاوة على اضطهاد اليهود وظلمهم ، ــ فهو السعى الى تأجيج نيران التعصب القومى ، وعزل القوميات فى الدولة بعضها عن بعض ، وتعزيز عزلة كل منها ، وفصل مدارسها بعضها عن بعض .

ولكن مصالح الطبقة العاملة ــ مثل مصالح الحرية السياسية على العموم ــ تتطلب ، بالعكس ، اكمل المساواة فى الحقوق بين جميع القوميات بلا استثناء فى الدولة المعنية ، وازالة جميع الحواجز على اختلافها بين القوميات ، وتوحيد ابناء جميع القوميات على اختلافها فى مدارس واحدة ، والخ .. فقط بنبذ جميع الاوهام القومية الوحشية والغبية ، فقط بدمج العمال من جميع الامم فى اتحاد واحد ، تستطيع الطبقة العاملة ان تصبح قوة ، ان ترد على الرأسمال ، وتتوصل الى تحسين الحياة بصورة جدية .

انظروا الى الرأسماليين : انهم يجهدون لتأجيج نيران العداوة القومية فى صفوف «الشعب البسيط» ، بينما يدبرون امورهم معا بصورة ممتازة : ففى الشركة المساهمة نفسها روس واوكرانيون وبولونيون ويهود والمان . ان الرأسماليين من جميع الامم والاديان متحدون ضد العمال ، وهم يجهدون لتفريق العمال واضعافهم بالعداوة القومية !

ان مشروع قومية المدرسة اليهودية ، وهو مشروع فائق الضرر ، يبين ، فيما يبين ، مبلغ خطأ مشروع ما يسمى باستقلال «الثقافة القومية» الذاتى (١٨) ، اى انتزاع شؤون

المدرسة من يد الدولة ووضعها فى يد كل قومية بمفردها . فليس ابدا الى هذا يجب ان نسعى ، بل الى توحيد العمال من جميع الامم فى النضال ضد **كل** تعصب قومى ، فى النضال من اجل مدرسة **مشتركة** ديموقراطية حقا ومن اجل الحرية السياسية على العموم . وان مثال البلدان الطليعية فى العالم كله ـ سويسرا فى اوروبا الغربية وفنلنده فى اوروبا الشرقية على الاقل ـ يبين لنا ان المؤسسات الحكومية العامة الديموقراطية حقا وفعلا تؤمن المساكنة الاكثر سلمية وانسانية (لا الوحشية) بين مختلف القوميات **بدون** تقسيم الشؤون المدرسية بصورة مصطنعة وضارة حسب القوميات .

« سيفيرنايا برافدا » (« حقيقة الشمال ») العدد ١٤ ، ١٨ آب (اغسطس) ١٩١٣

المجلد ٢٣ ، ص‌ص ٣٧٥ ـ ٣٧٦

كيف يدافع الاسقف نيقون عن الاوكرانيين ؟

تفيد «كييفسكايا ميسل» (٩) ان الاسقف نيقون ، عضو دوما الدولة ، اليمينى ، كان اول من وقع مشروع القانون بشأن المدرسة الاوكرانية والجمعيات الذى سيطرح على بساط البحث فى دوما الدولة .

فحوى مشروع القانون : السماح بالتعليم فى المدارس الابتدائية باللغة الاوكرانية ؛ تعيين الاوكرانيين معلمين ؛ ادخال تعليم اللغة الاوكرانية وتاريخ اوكرانيا ؛ عدم ملاحقة الجمعيات الاوكرانية وعدم اغلاقها «على سبيل التصرف الادارى ، واحيانا كثيرة من باب التعسف الصرف» .

وهكذا لا يطيب لرفيق بوريشكيفيتش فى الحزب ـ الاسقف نيقون ـ **التعسف فى بعض** الاحوال .

يعتقد الاسقف نيقون عن حق وصواب ان المسألة التى اثارها «مسألة خارقة الاهمية تتعلق بتشويه الشعب الاوكرانى الذى يعد ٣٧ مليون نسمة» ؛ وان «اوكرانيا الغنية ، الجميلة ، الموهوبة ، الزاهرة ، الشعرية يحكم عليها بالانحلال والبلادة التدريجية والاندثار البطىء» .

ان الاحتجاج على اضطهاد الاوكرانيين من قبل الروس عادل تماما . ولكن انظروا باى ذرائع يدافع الاسقف نيقون عن المطالب الاوكرانية :

«ان الشعب الاوكراني لا يطمح الى استقلال ذاتي ما ولا الى بعث «سيتش زابوروجيه» (٢٠) ؛ فان الاوكرانيين ليسوا انفصاليين . . . والاوكرانيون ليسوا غرباء ، فهم منّا وفينا ، انهم اخوتنا بالدم والعصب ، ولهذا بالذات لا داعي للتضييق عليهم في مضمار اللغة وفي مضمار التطور الثقافي القومي ؛ والا فاننا نحن بالذات نضعهم ، هم اخوتنا ، في صف واحد مع اليهود والبولونيين والجورجيين وغيرهم ، الذين هم بالفعل غرباء» .

وهكذا تتلخص القضية في ان الاسقف نيقون الاوكراني ورفاقه بالفكر يستميحون الملاكين العقاريين الروس **امتيازات** للاوكرانيين على اساس انهم اخوة وان اليهود غرباء ! وهذا يعني بكلام اوضح وابسط : نحن موافقون على ان نخنق اليهود وغيرهم بوصفهم غرباء ، وذلك مقابل تنازلات في صالحنا .

وهذه طريقة معروفة للدفاع عن «الثقافة القومية» من قبل **جميع** القوميين البرجوازيين ، ابتداء من رجال المائة السود الى الليبراليين وحتى الى البرجوازيين ـ الديموقراطيين !

والاسقف نيقون لا يريد ان يعرف البتة انه لا يمكن حماية الاوكرانيين من الاضطهاد بدون حماية جميع الشعوب بلا استثناء من كل اضطهاد ، ـ بدون استئصال مفهوم «الغريب» كليا من حياة الدولة ، ـ بدون الذود عن المساواة التامة في الحقوق بين جميع القوميات . لا يمكن حماية احد من الاضطهاد القومي ، بدون تطبيق اوسع ما يكون من الاستقلال الذاتي المحلي والمنطقي ومبدأ حل **جميع** قضايا الدولة حسب ارادة اغلبية السكان (اي مبدأ الديموقراطية المتماسكة المنسجمة) تطبيقا دائبا منسجما .

ان شعار «ثقافة» الاوكرانيين «القومية» يعني بالفعل عند الاسقف نيقون شعار ترويج عقلية المائة السود باللغة الاوكرانية ، شعار الثقافة الاكليريكية الاوكرانية .

إلا ان العمال الواعين قد فهموا ان شعار «الثقافة القومية» هو خداع اكليريكى او برجوازى ـ سواء تناول الكلام الثقافة الروسية ، ام الاوكرانية ، ام اليهودية ، ام البولونية ، ام الجورجية ام اى ثقافة اخرى ، فالامران سيان . فمنذ ١٢٥ سنة ، عندما لم يكن قد وقع انشقاق الامة الى برجوازية وبروليتاريا ، امكن ان يكون شعار الثقافة القومية النداء الواحد والمتكامل الى النضال ضد الاقطاعية والاكليريكية . ولكن النضال الطبقى بين البرجوازية والبروليتاريا احتدم مذ ذاك فى كل مكان . واصبح انشقاق الامة «الواحدة» الى مستثمِرين ومستثمَرين امرا واقعا .

ولا يمكن ان يتكلم عن الثقافة القومية بوجه عام غير الاكليريكيين او البرجوازيين . اما الجماهير الكادحة ، فلا يمكنها ان تتكلم الا عن الثقافة الاممية (العالمية) للحركة العمالية العالمية . فقط ثقافة كهذه تعنى المساواة التامة ، الفعلية ، الصادقة ، فى الحقوق بين الامم ، وانعدام الاضطهاد القومى ، وتحقيق الديموقراطية . فقط الوحدة والاندماج بين العمال من جميع الامم فى جميع المنظمات العمالية فى النضال ضد الرأسمال يؤديان الى «حل المسالة القومية» .

«برافدا ترودا» («حقيقة العمل») العدد ٣ ، ١٣ ايلول (سبتمبر) ١٩١٣

المجلد ٢٤ ، ص ص ٨ ـ ١٠

ان كنه خطة او برنامج ما يسمى باستقلال «الثقافة القومية» الذاتى (اى : «انشاء هيئات تضمن حريـــة التطور القومى») يتلخص فى **تقسيم الشؤون المدرسية حسب القوميات .**

ولذا ينبغى الالحاح بالاحرى على هذا الكنه بقدر ما يحاول القوميون السافرون والمتسترون من كل شاكلة وطراز (وبينهم البونديون (٢١)) اكثر فاكثر طمسه .

ان كل امة ، بصرف النظر عن المكان الذى يعيش فيـــه اى شخص منتسب اليها (بصرف النظر عن الارض : ومن هنا تسمية الاستقلال الذاتـــى اللامكانى ، exterritorial *) ، تشكـــل تجمعا موحدا معترفا به على صعيد الدولة يشرف على شؤون الثقافة القومية . والرئيسى فى هذه الشؤون ، الشؤون المدرسيـــة . ان تحديد قوام الامة بحرية تسجيل كل مواطن ، بصرف النظر عن مكان اقامته ، فى اى تجمع قومى كان ، يؤمن الدقة المطلقـــة والانسجام المطلق لتقسيم الشؤون المدرسية حسب القوميات .

واننا نتســـاءل : هل يجوز هذا التقسيم من وجهـــة نظر

---

* exterritorial او extraterritorial خارج الارض ، خـــارج المكان ، اللامكانى . **المعرب** .

الديموقراطية على العموم ومن وجهة نظر مصالح النضال الطبقى البروليتارى على الخصوص ؟

حسبنا ان نتصور بوضوح كنه برنامج استقلال «الثقافة القومية» الذاتى لكى نجيب عن هذا السؤال بلا تردد ــ لا يجوز البتة .

فما دامت تعيش امم مختلفة فى دولة واحدة ، فان ملايين ومليارات الخيوط ذات الطابع الاقتصادى والحقوقى والمعيشى تربطها بعضها ببعض . فكيف يمكن انتزاع الشؤون المدرسية من هذه الروابط ؟ هل يمكن «انتزاعها من صلاحية» الدولة ، كما تنص عليه الصيغة البوندية الكلاسيكية ، النموذجية من حيث التأكيد المضخم على السخافة ؟ اذا كان الاقتصاد يرص القوميات العائشة فى دولة واحدة ، فان محاولة تقسيمها مرة واحدة والى الابد فى ميدان القضايا «الثقافية» والقضايا المدرسية على الخصوص هى محاولة خرقاء ورجعية . يجب ، على العكس ، السعى وراء **توحيد** الامم فى الشؤون المدرسية ، لكى يعدّ فى المدرسة ما يتحقق فى الحياة . وفى الوقت الحاضر ، نلاحظ تفاوتا فى الحقوق بين الامم ، وتفاوتا فى مستوى تطورها ؛ وفى هذه الاحوال سيعنى تقسيم الشؤون المدرسية حسب القوميات ، **فى الواقع** ، وبلا مناص ، **ترديا** بالنسبة للأمم المتخلفة . ففى اميركا ، يفرزون الى الآن ، فى الولايات الجنوبية ، الاستعبادية سابقا ، اولاد الزنوج فى مدارس خاصة ، بينما يتعلم البيض والزنوج معا فى الشمال . وفى روسيا ، ظهر مؤخرا مشروع «قومية المدرسة اليهودية» اى فصل الاولاد اليهود عن اولاد القوميات الاخرى فى مدارس خاصة . ولا داعى الى ان نضيف شيئا الى واقع ان هذا المشروع ظهر فى اشد الاوساط اغراقا فى الرجعية ، فى الاوساط الموالية لبوريشكيفيتش .

لا يمكن للمرء ان يكون ديموقراطيا اذا دافع عن مبدأ تقسيم الشؤون المدرسية حسب القوميات . ولاحظوا اننا نحاكم حتى الآن من وجهة نظر ديموقراطية عامة ، اى برجوازية ديموقراطية .

اما من وجهة نظر النضال الطبقى البروليتارى ، فانه يجب الوقوف باكثر بما لا يقاس من الحزم ضد تقسيم الشؤون المدرسية حسب القوميات . فمن ذا الذى لا يعرف ان الرأسماليين من جميع القوميات القاطنة فى الدولة المعنية يندمجون باوثق شكل ، بشكل لا انفصام لعراه ، فى المؤسسات المساهمة ، فى الكارتلات والتروستات ، فى اتحادات الصناعيين ، وما اليها **ضد** العمال ايا كانت قومياتهم ؟ ومن ذا الذى لا يعرف اننا نرى **دائما** ، دون اى استثناء ، فى **اى** مؤسسة رأسمالية ـ ابتداء من المصانع والمعامل والمناجم الضخمة ، ومرورا بالشركات التجارية ، وانتهاء بالاستثمارات الزراعية الرأسمالية ـ تبرقشا قوميا من العمال اكبر مما فى قرية نائية ، آمنة ، هامدة ؟

ان عامل المدينة الذى يعرف الرأسمالية المتطورة افضل ما يعرف ، وتقبّل نفسية النضال الطبقى اعمق ما تقبل ـ من كل تجربة حياته ، وحتى رضعها مع حليب امه على الاغلب ـ ان هذا العامل يخطر فى باله عفوا وحتما ان تقسيم الشؤون المدرسية حسب القوميات ليس تدبيرا **ضارا** وحسب ، بل ايضا احتيال سافر وشعوذة سافرة **من جانب الرأسماليين . يمكن** تفريق العمال وتقسيمهم ، واضعافهم بترويج هذه الفكرة ، كما يمكن تفريقهم اكثر ايضا بتقسيم المدارس الشعبية حسب القوميات ، فى حين ان الرأسماليين الذين تتأمن لاولادهم بصورة ممتازة المدارس الخاصة الغنية والمعلمون المستأجرون خصيصا ، لا يمكن لاى استقلال

ذاتى « للثقافة القومية » ، **فى اى حال من الاحوال** ، ان يتهددهم باى تفريق ، باى اضعاف .

وبالفعل ، ليس استقلال « الثقافة القومية » الذاتى اى التقسيم الصرف والمنسجم كليا للشؤون المدرسية حسب القوميات ، من اختلاق الرأسماليين (فهم **حتى اشعار آخر** يطبقون اساليب أخشن لأجل تفريق العمال) ، بل من اختلاق الانتلليجنسيا * الانتهازية ، البرجوازية الصغيرة فى النمسا . **فلا أثر البتة** لهذه الفكرة العبقرية على صعيد البرجوازية الصغيرة والعبقرية على صعيد التعصب القومى فى اى من البلدان الاوروبية الغربية ، الديموقراطية ذات القوام القومى المبرقش . فقط فى شرقى اوروبا ، فى النمسا المتأخرة ، الاقطاعية ، الاكليريكية ، الدواوينية ، حيث **كل** حياة اجتماعية وسياسية متجمدة بشجار (وحتى اسوأ : اشتباك ، عراك) تافه حقير بسبب اللغات ، نشأت هذه الفكرة ، فكرة البرجوازى الصغير اليائس . ينبغى على الاقل تقسيم جميع الامم مرة واحدة والى الابد بمطلق النقاوة والانسجام الى « كوريات ** قومية » فى الشؤون المدرسية ، اذا كان يستحيل التوفيق بين القط والكلب ! ـ تلك هى النفسية التى ولدت استقلال « الثقافة القومية » الذاتى الغبى . ان البروليتاريا التى تدرك وتقدّر اهميتها لن تقدم يوما على اقتراف غباوة التعصب القومى المتأنق هذه .

وليس من قبيل الصدفة انه لم يقبل استقلال « الثقافة القومية » الذاتى فى روسيا **غير جميع** احزاب اليهود البرجوازية ،

---

* الانتلليجنسيا ـ رجال الفكر والثقافة . **المعرب** .

** كوريات . من كورية curia عشيرة ـ جزء من القبيلة الرومانية القديمة . **المعرب** .

ثم (فى عام ١٩٠٧) مداولة الاحزاب **البرجوازية الصغيرة** ، الشعبية اليسارية من مختلف الامم (٢٢) ، واخيرا العناصر البرجوازية الصغيرة ، الانتهازية من الجماعات **المجاورة للماركسية** اى البونديون والتصفويون (٢٣) . (بل ان هؤلاء الاخيرين خافوا ان يفعلوا ذلك صراحة وعلى المكشوف ، بصورة واضحة تماما) . وليس من قبيل الصدفة انه لم يتكلم من على منبر دوما الدولة عن استقلال «الثقافة القومية» الذاتى **غير** تصف التصفوى تشخينكيلى المصاب بعدوى التعصب القومى وكذلك البرجوازى الصغير كيرتسكى .

ومن المضحك على العموم قراءة الاستشهادات التصفوية والبوندية بالنمسا فى هذه المسألة . اولا ، لماذا يجب ان يؤخذ على سبيل **المثال** اكثر البلدان تأخرا بين البلدان الرقطاء قوميا ؟ ولم لا اكثرها تقدما ؟ ذلك ان هذا اسلوب يشبه اسلوب الليبراليين الروس الارديا ، اى الكاديت الذين يفتشون عن امثلة لأجل الدستور ، اكثر ما يفتشون ، فى البلدان المتأخرة ، فى بروسيا والنمسا ، وليس فى البلدان المتقدمة ، ليس فى فرنسا وسويسرا واميركا !

ثانيا ، ان البرجوازيين الصغار القوميين المتعصبين الروس ، اى البونديين ، والتصفويين ، والشعبيين اليساريين (٢٤) ومن لف لفهم ، اذ يأخذون المثال النمساوى ، يجعلونه ، من جهتهم ، اسوأ ايضا **بشكل خاص** . فان البونديين بالذات (فضلا عن **جميع** احزاب اليهود البرجوازية التى ينساق وراءها البونديون ــ دون ان يدركوا ذلك دائما) هم الذين يطبقون عندنا اكثر من الغير وفى المقام الاول خطة استقلال «الثقافة القومية» الذاتى فى الدعاية والتحريض . والحال ، فى موطن فكرة استقلال «الثقافة القومية» الذاتى بالذات ، فى النمسا ، كرس صاحب هذه الفكرة ، اوتو

باور ، فصلا خاصا من كتابه للبرهان على انه **يستحيل** تطبيق فكرة استقلال «الثقافة القومية» الذاتى بالنسبة لليهود !

وهذا يبين خيرا من الخطابات الطويلة مبلغ قلة انسجام اوتو باور ومبلغ قلة ثقته بفكرته ، حين ينفى القومية **الوحيدة** اللامكانية (التى لا تملك منطقة خاصة بها) من مشروع استقلال الامم الذاتى اللامكانى .

وهذا يثبت ان البونديين يقتبسون من اوروبا مشاريع **عتيقة الموضة** مضاعفين عشرة اضعاف اخطاء اوروبا ، بالغين حد الخراقة «فى تطوير» هذه الاخطاء .

لأن الاشتراكيين ـ الديموقراطيين النمساويين ـ وهذا ثالثا ـ **رفضوا** فى مؤتمر برون (عام ١٨٩٩) برنامج استقلال «الثقافة القومية» الذاتى المعروض عليهم . ولم يقبلوا غير مساومة بصورة اتحاد بين جميع **المناطق** المحددة قوميا ضمن الدولة . وفى هذه المساومة ، **لا وجود** للامكانية ، ولا لتقسيم الشؤون المدرسية حسب القوميات . وبموجب مشروع المساومة هذا ، **لا** تقسّم اكثر اماكن السكن تقدما (من الناحية الرأسمالية) ، المدن ، والمصانع ، والمناجم ، والعقارات الريفية الكبيرة وما اليها ، الشؤون المدرسية حسب القوميات !

ان الطبقة العاملة الروسية قد ناضلت وسوف تناضل ضد فكرة استقلال «الثقافة القومية» الذاتى الرجعية ، الضارة ، البرجوازية الصغيرة ، القومية التعصبية .

«زا برافدو» («فى سبيل الحقيقة») العدد ٤٦ ، ٢٨ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩١٣

المجلد ٢٤ ، ص ص ١٧٤ ـ ١٧٨

ان الاحصاء المدرسى لعامة روسيا فى ١٨ كانون الثانى (يناير) ١٩١١ يتيح ــ رغم تحليل المعطيات تحليلا فى منتهى الرداءة ــ رفع ستارة السر الحكومى بعض الشيء .

المعطيات لا تتوفر حتى الآن الا عن دائرة بطرسبورغ التعليمية ، ــ حسب كل مدينة وقرية . فانظروا ، على اساس هذه المعطيات ، الى ما تمثله مدارسنا **الكنسية الابرشية** (٢٥) .

فى المدن بلغ عدد المدارس المسجلة ٣٢٩ مدرسة مدينية من صف واحد ، و ١٣٩ مدرسة خاصة من صف واحد من الفئة الثالثة و ١٧٧ مدرسة كنسية ابرشية من صف واحد . لنقارن متوسط رواتب المعلمات (عدد المعلمين صغير جدا) : فى المدارس المدينية ــ ٩٢٤ روبلا فى السنة ، فى المدارس الخاصة ٦٠٩ ، فى المدارس الكنسية الابرشية **٣٠٢ روبل** .

معلمات فقيرات جائعات ــ هذه هى مدارسنا الكنسية الابرشية .

لنر نسبة المعلمين ذوى التحصيل العام العلمانى العالى والثانوى . فى المدارس المدينية ــ ٧٦٪ ، فى المدارس الخاصة ٦٧٪ ، فى المدارس الكنسية الابرشية ١٨٪ !

معلمات غير متعلمات (والكلام لا يتناول بعد معلمى علم اللاهوت) ــ هذه هى مدارسنا الكنسية الابرشية .

فى القرى توجد ٣٥٤٥ مدرسة من صف واحد تابعة للزيمستفوات و ٢٥٠٦ مدارس كنسية ابرشية من صف واحد .

متوسط رواتب المعلمات فى الاولى ٣٧٤ روبلا فى السنة ، فى الثانية **٣٠١ روبل** .

نسبة المعلمين المتعلمين (المعلمين على العموم) فى الاولى ٢٠٪ ، **فى الثانية** ٢,٥٪ ــ ومن جديد ، عدا معلمى علم اللاهوت .

ومن هذه المعطيات يمكننا ان نرى مبلغ حقارة وضع المدارس الكنسية الابرشية !

كذلك جمع الاحصاء معطيات عن عدد الارشينات (٢٦) المربعة من الارضية والارشينات المكعبة من الهواء الذى يعود بالمتوسط لكل تلميذ ، اى عن ضيق المدارس .

فى مدارس الزيمستفوات ، ٢,٦ ارشين مربع من الارضية و ١٠,١ ارشينات مكعبة من الهواء ؛ فى المدارس الكنسية الابرشية ٢,٤ ارشين مربع من الارضية ، و ٩,٦ ارشينات مكعبة من الهواء .

يجب ان توازى مساحة الارضية ٦ امثال المساحة الضوئية للنوافذ . اما فى الواقع ، فهى توازى ٩ امثال ، وهذا يعنى ان المدارس ليست ضيقة وحسب ، بل ايضا **معتمة** .

وبديهى ان هذه المعطيات محدودة للغاية . فقد بذلت الوزارة قصارى جهدها لكى **لا** يصار الى جمع معطيات مفصلة ، دقيقة ، كاملة عن وضع مدارسنا الحقير .

ومع ذلك ، يبرز وضع المدارس الكنسية الابرشية الحقير ، البائس حتى من المعطيات الناقصة ، المبتورة حكوميا ، المحللة تحليلا سيئا .

ومن ألح مهام ممثلى منظمات العمال الثقافية التنويرية والمهنية فى المؤتمر العتيد لشؤون التعليم الشعبى لعامة روسيا ــ طرح مسألة وضع مدرستنا ومعلم المدرسة من جميع النواحى وتوضيحها من جميع النواحى .

« بروليتارسكايا برافدا » (« الحقيقة البروليتارية ») العدد ١٠ ، ١٨ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٣

المجلد ٢٤ ، ص ص ٢٣٩ ــ ٢٤٠

ملاحظات انتقادية حول المسألة القومية

(مقتطفان)

لا سبيل الى الشك فى ان «الثقافة القوميـــة» ، بمعنى التعبير العادى ، اى المدرســـة ، والخ . ، تخضـــع اليوم لنفوذ وتسلط الاكليريكيين والشوفينيين البرجوازيين فى جميع اقطار العالم . وحين يقول البونديون ، فى معرض دفاعهم عن استقلال «الثقافة القومية» الذاتى ، ان تكوّن الامم سيجعل النضال الطبقى فى داخل هذه الامم **خلوا** من اية اعتبارات غريبة ، فان قولهـم هذا مجرد سفسطـــة واضحة مضحكة . ففى كل مجتمع رأسمالى ، يجرى نضال طبقى جدى فى الميدان الاقتصادى والسياسى قبل كل شىء . ففصل الميدان المدرسى **عن الميدان الاقتصادى والسياسى** ، انما هو ، اولا ، طوبوية خرقاء ، لانه يستحيل فصل المدرسة (وكذلك «الثقافة القومية» بوجه عام) عن الاقتصاد والسياسة ؛ ثانيا ، ان الحياة الاقتصادية والسياسية فى البلاد الرأسمالية هى التى **تجبر** فى كل لحظة ، على هدم الحواجز القومية السخيفة ، البالية ، التى ولّى زمنهـــا ، وعلى دك الاوهام والافكار الخاطئة ؛ والحال ان فصل الشؤون المدرسية ، الخ . ، من شأنه ان يصون بالضبط النزعة الاكليريكية «المحض» والشوفينية البرجوازية «المحض» ، ويزيد من حدتهما ويعزز من بأسهما .

ان الرأسماليين من مختلف الامم والقوميات يجلسون معا فى الشركات المساهمـــة مندمجين كل الاندماج بعضهم ببعض . وفى

المصنع ، يشتغل العمال من مختلف الامم والقوميات جنبا الى جنب . وفى كل قضية سياسية جدية وعميقة حقا ، يتم التكتل والتجمع حسب الطبقات ، لا حسب القوميات . فاذا حاولنا «انتزاع» الشؤون المدرسية وغيرها «من صلاحية الدولة» وجعلها من صلاحية القوميات ، فكاننا بالضبط نحاول ان **نفصل** عن الاقتصاد الذى يصهر الامم ويدمجها بعضها ببعض ، الميدان الفكرى ، الاكثر ايديولوجية ، اذا جاز القول ، من بين ميادين الحياة الاجتماعية ، اى الميدان الذى يوافق اكثر من غيره لتسرّب الثقافة القومية «المحض» او لتطبيق الشوفينية والنزعة الاكليريكية فى الحقل القومى .

ان مشروع الاستقلال الذاتى «اللامكانى» (اى غير المرتبط بالارض التى تقطنها هذه الامة او القومية او تلك) او «الثقافى القومى» لا يؤدى ، عند تطبيقه عمليا ، إلا الى امر واحد ، هو **تقسيم الشؤون المدرسية حسب القوميات** اى تشكيل كوريات قومية متباينة فى الشؤون المدرسية . يكفى ان نتصور بوضوح هذا الجوهر **الفعلى** الذى ينطوى عليه البرنامج البوندى الشهير ، لكى ندرك مدى رجعيته ، حتى من وجهة نظر الديموقراطية ، فضلا عن وجهة نظر نضال البروليتاريا الطبقى فى سبيل الاشتراكية .

ثمة مثال واحد ومشروع واحد «لقومية» الشؤون المدرسية يبينان بوضوح ما هو جوهر الامر . ففى كل مظاهر الحياة فى الولايات المتحدة فى اميركا الشمالية ، لا يزال قائما تقسيم البلاد الى ولايات شمالية وولايات جنوبية ؛ الاولى باعظم تقاليدها فى الحرية والنضال ضد ملاكى الارقاء ؛ والثانية باعظم تقاليد ملكية الارقاء ، وبقايا ملاحقة الزنوج ، واضطهادهم الاقتصادى ، واذلالهم الثقافى (تبلغ نسبة الاميين بين الزنوج ٤٤ بالمئة وبين البيض ٦ بالمئة) ، الخ . . ففى الولايات الشمالية ، يذهب الزنوج

والبيض الى نفس المدرسة . اما فى الجنوب ، فثمة مدارس خاصة بالزنوج ــ «قومية» او عرقية ــ كما يطيب لكم . ويخيل الىّ ان ذلك هو المثال الوحيد عن «طبـــع» المدرسة فى الواقـــع العملى «بالطابع القومى» .

وثمة فى شرق اوروبـــا بلد ما يزال فيه تلفيق قضية كقضية بيليس (٢٧) ، امرا ممكنـــا ، واوجد فيـــه السادة من اضراب بوريشكيفيتش لليهود وضعا اسوأ من وضع الزنوج . فى هذا البلد ، وضعت الوزارة مؤخرا مشروعا **لقومية المدرسة اليهودية** . ولكننا نرى ، لحسن الحظ ، انه من المشكوك فيه ان تتحقق هذه الطوبوية الرجعية ، شأنها شأن طوبوية البرجوازيين الصغار النمساويين الذين يئسوا من تطبيق الديموقراطية المنسجمة ، ومن وقف المنازعات القومية ، فاخترعوا للقوميات **اطارات ضيقة** فى الشؤون المدرسية لكى لا تتنازع فيما بينها **لدن توزيع** المدارس ... بل لكى «تتكون» من اجل قيام نزاع **ابدى** بين «ثقافة قومية» واخرى .

كذلك واضح ان صيانة حقوق الاقلية القومية على صلة وثيقة بمبدأ المساواة التامة فى الحقوق بين القوميات . وقد شرحت هذا المبدأ فى مقالى المنشور فى «سيفيرنايا برافدا» بنفس الطريقـــة تقريبا التى شُرح بها فى القرار اللاحق ، الرسمى ، الادق ، الذى اتخذه اجتمـــاع الماركسيين . فان هذا القرار يطالب «بادراج قانون اساسى فى الدستور يقضى ببطلان اى امتياز يمنح لقومية من القوميات واى انتهاك لحقوق الاقلية القومية» .

ولكن السيد ليبمن يحاول السخر من هذا المطلب ، ويتساءل : «كيف تعرفون ماهية حقوق الاقلية القومية ؟» هل حق القومية فى ان يكون لها «برنامجها» فى المدارس القومية هو ، يا ترى ،

من عداد هذه الحقوق ؟ والى اى حد ينبغى ان تكون الاقلية القومية كبيرة لكى تتمتع بحق ان يكون لهـا قضاتهـا ، وموظفوهـا ، ومدارسها بلغتها ؟ يبدو ان السيد ليبمن يريد ، من طرح هذه الاسئلة ، ان يخلص الى القول بضرورة برنامج قومى «ايجابى» .

بيد ان هذه الاسئلة تبين فى الواقع بوضوح اية اشياء رجعية يريد صاحبنا البوندى هذا تمريرها وتهريبهـا فى غمرة نقاش يتناول ، على ما يخيل ، تفاصيل وخصائص تافهة .

«برنامجها» فى مدرستها القومية !.. كلا ، يا عزيزنا القومى الاشتراكى ، فعند الماركسيين برنامج مدرسى **واحد ، مشترك** ، يقول مثلا بمدرسة علمانية تماما . ويرى الماركسيون انه لا يمكن ولا يجوز ابدا فى دولـة ديموقراطية **الابتعاد** عن هذا البرنامج المشترك (ويعود للسكان المحليين ان يدخلوا فى البرنامج مـواد «محلية» ، كاللغة ، وغير ذلك) . اما المطلب الرامى الى «انتزاع» الشؤون المدرسية «من صلاحية الدولة» وتحويلها للقوميات ، فانه ينجم منه اننا ، نحن العمال ، نسمح «للقوميات» فى دولتنـا الديموقراطيـة ، بانفاق امـوال الشعب فى صالح المدرسـة الاكليريكية ! وهكذا يتبين ان السيد ليبمن يوضح بجلاء ، دون قصد منه ، مدى رجعية استقلال «الثقافة القومية» الذاتى .

«الى اى حد ينبغى ان تكون الاقليـة القومية كبيرة ؟» ان هذا الحد لا يعينه حتى البرنامج النمساوى العزيز على البونديين ، فقد ورد فى هذا البرنامج قوله (على نحو اوجز مما فى برنامجنا واقل جلاء) :ـ «يضمن حقوق الاقليات القومية قانون خاص يسنّه برلمان الامبراطورية» (الفقرة الرابعة من برنامج برون) .

فلماذا لم ينتقد قط احد من الناس الاشتراكيين-الديموقراطيين النمساويين ويسألهم مـا هو هذا القانون بالضبط ؟ واية حقوق لاية اقلية ينبغى له ان يضمنها ؟

ذلك لأن جميع الناس ذوى التفكير السليم يدركون انه من غير المناسب وغير الممكن تحديد التفاصيل فى البرنامج . فالبرنامج لا يضع غير المبادئ الاساسية . والمبدأ الاساسى ورد ضمنا فى برنامج النمساويين ، وصراحة فى القرار الذى اتخذه الماركسيون فى اجتماعهم الروسى الاخير ، وهو يقول بعدم جواز الامتيازات القومية اية كانت وبعدم جواز اللامساواة القومية ايا كانت .

لناخذ مثالا ملموسا لتنوير صاحبنـــا البوندى حول هذه المسالة . لقد بيّن احصاء المدارس بمدينة سانت-بطرسبورغ ، فى ١٨ كانون الثانى (يناير) ١٩١١ ان المدارس الابتدائية التابعة لوزارة «التعليم» تضم ٤٨٠٧٦ تلميذا ، بينهم ٣٩٦ يهوديا ، اى اقل من واحد بالمئة . وتبّين ايضـــا انه كان هناك تلميذان رومانيان وواحد جورجى ، وثلاثة ارمن ، الخ .. فهل من الممكن وضع برنامج قومى «ايجابى» يشمل هذا التنـــوع فى العلاقات والظروف ؟ (هذا مع العلم ، طبعا ، ان بطرسبورغ ليست اشد مدن روسيا «تبرقشا» من الناحية القومية) . يبدو ان حتى الاختصاصيين فى «الدقائق» القومية ، كاصحابنا البونديين ، لا يستطيعون وضع مثل هذا البرنامج .

والحال ، لو كان فى دستور الدولة قانون اساسى يقضى ببطلان كل تدبير يخرق حق الاقلية القومية ، لاستطاع كل مواطن ان يطالب بابطال قرار يحرم ، مثلا ، استئجار اساتذة ، على نفقة الدولة ، لتدريس اللغة اليهودية والتاريخ اليهودى ، الخ . ، او بابطال قرار يحرم تخصيص قاعة فى بناية حكومية لاجل القاء المحاضرات على الاولاد اليهـــود والارمن والرومانيين ، وحتى على التلميذ الجورجى الوحيد . وعلى كل حال ، ليس من المستحيل ابدا تلبية جميع الرغبات المعقولة والعادلة التى تعرب عنها الاقليات القومية ، على اساس المســـاواة فى الحقوق ، ولن يقول احد ان

الدعاية فى صالح هذه المساواة امر ضار . امـا الدعاية لتقسيم الشؤون المدرسية حسب القوميات ، كتأسيس مدرسة يهوديـة مخصصـة للاولاد اليهود فى بطرسبورغ مثلا ، فهى ، على العكس وبالطبع ، امر ضار . فمن المستحيل انشاء مدارس قومية **لجميع** الاقليات القومية لكى يدرس فيها تلميذ او تلميذان او ثلاثة .

ثم انه من المستحيل ان يُحدد فى قانون عام للدولة ما ينبغى عليه ان تكون الاقلية القومية من حيث عدد افرادهـا لكى تنال الحق فى مدرسة خاصة او فى اساتذة خصوصيين يدرسون مواد اضافية ، الخ ..

غير ان الامر على خلاف ذلك فيما يتعلق بقانون الدولة العام حول المساواة فى الحقوق ؛ فمن الممكن تماما وضع هذا القانون بالتفصيل وتوسيعه بمراسيم خاصة ، باحكام تتخذها المجالس المنطقية ، ومجالس المدن ، والزيمستفوات ، والمشاعات ، الخ..

كتب فى تشرين الاول ـ كانون الاول (اكتوبر ـ ديسمبر) ١٩١٣

المجلد ٢٤ ، ص ص ١٣٣ ـ ١٣٥ ، ١٤٠ ـ ١٤٢

الى ا . م . غوركى

لأجل ا . م . غوركى

يا الكسى مكسيموفيتش الجزيل الاحترام !

ارسل لك ، بالطرد المضمون ، كراس زوجتى «التعليم الشعبى والديموقراطية» (٢٨) .

ان المؤلفة تهتم بعلم التربيـــة من زمان ، منذ اكثر من ٢٠ سنة . والكراس يحتوى على السواء ملاحظات شخصية ومواد عن المدرسة الجديدة فى اوروبا واميركا . ومن الفهرس ترى انه وردت كذلك ، فى النصف الاول ، نبذة عن تاريخ النظرات الديموقراطية . وهذا ايضا هام جدا ، لأن نظرات كبار الديموقراطيين فى الماضى تعرض عادة بصورة غير صحيحة او من وجهة نظر غير صحيحة . انا لا اعرف ما اذا كان بوسعك ان تخطف الوقت للقراءة وما اذا كنت ستهتم بالامر ؛ الفقرتان ٢ و ١٢ قد تكونان مثالا . التغييرات فى المدرسة فى العهد الحديث ، الامبريالى ، موصوفة حسب مواد السنوات الاخيرة ، وتعطى معلومات مفيدة جدا لأجل الديموقراطية فى روسيا .

وانك ستتفضل علىّ كثيرا اذا ما أسهمت ــ مباشرة او بصورة غير مباشرة ــ فى اصدار هذا الكراس . فالطلب على المطبوعات فى هذا الميدان تنامى الآن ، على ما يبدو ، فى روسيا بصورة اكيدة .

اطيب تحياتى وتمنياتى .

ف . اوليانوف .

Wl. Ulianow. Seidenweg, 4a
Bern.

كتبت قبل ٨ شباط (فبراير) ١٩١٦ .

ارسلت الى بتروغراد .

المجلد ٤٩ ، ص ص ١٨٢ ــ ١٨٣

مواد لاعادة النظر فى برنامج الحزب

(مقتطفات)

بصدد مشروع تعديل البرنامج

النص القديم والنص الجديد للبرنامج

لكى تصبح المقارنة بين النص القديم والنص الجديد للبرنامج اسهل وايسر ما يكون على القارئ ، يصدر النصان معا على النحو التالى :

تصف بالحرف العادى تلك الاقسام من البرنامج القديم التى بقيت بدون تعديل فى البرنامج الجديد ؛

تصف باحرف مرفقة بخط التأكيد تلك الاقسام من البرنامج التى تشطب كليا من البرنامج الجديد ؛

تصف باحرف سوداء تلك الاقسام من البرنامج الجديد التى لم ترد البتة فى البرنامج القديم .

٨ ــ حق السكان فى الحصول على التعليم باللغة الام ، على ان يكفله انشاء المدارس اللازمة لهذا الغرض على نفقة الدولة وهيئات الادارة الذاتية ؛ حق كل مواطن فى التكلم بلغته الام فى الاجتماعات ؛ استعمال اللغة الام على قدم المساواة مع اللغة الرسمية فى جميع المؤسسات الاجتماعية المحلية وجميع مؤسسات الدولة المحلية ؛ **الغاء اللغة الرسمية الالزامية .**

١٣ ــ فصل الدين عن الدولة والمدرسة عن الدين ؛ **جعل المدرسة علمانية تماما .**

١٤ ــ التعليم العام والمهنى المجانى والالزامى لجميع الاولاد من الجنسين حتى السادسة عشرة من العمر ؛ توفير الغذاء واللبـــاس ولوازم الدراسة للاولاد الفقراء على نفقة الدولة .

١٤ ــ التعليم العام والبوليتكنيكى (الذى يطلع التلامذة مـــن ناحيتى النظرية والتطبيق على جميع فروع الانتاج الرئيسية) المجانى والالزامى لجميع الاولاد من الجنسين حتى السادســة عشرة مـــن العمر ؛ الصلة الوثيقـة بين التعليم وبين عمل الاولاد الانتـــاجى الاجتماعى .

١٥ ــ توفير الغذاء واللباس ولوازم الدراسة لجميـع التلامذة على نفقة الدولة .

١٦ ــ احالة شؤون التعليم الشعبى الى الهيئات الديموقراطيـة للادارة الذاتية المحلية ؛ استبعاد السلطة المركزية عن كل تدخل فى اقرار البرامج المدرسية وفى اختيار افراد الهيئة التعليمية ؛ مبدأ انتخاب المعلمين من قبل السكان مباشرة وحق السكان فى سحـــب المعلمين غير المرغوب فيهم .

٥ ــ منع ارباب العمل من استخدام عمل الاولاد من السن المدرسية (قبل السادسة عشرة من العمر) ، وتحديد وقت العمل للمراهقين (١٦ــ١٨ سنة) بست ساعات .

٥ ــ منع ارباب العمل من استخدام عمل الاولاد من السن المدرسية **(قبل السادسة عشرة من العمر) ، وتحديد وقت عمل الفتيـــان (١٦ ــ ٢٠ سنة) باربع ساعات ، ومنعهم من العمل ليلا فى فروع الانتاج الخطرة على الصحة وفى المناجم .**

كتب فى نيسان ــ ايار (ابريل ــ مايو) ١٩١٧

المجلد ٣٢ ، ص‌ص ١٤٧ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦

بصدد مهمات المكتبة العامة فى بتروغراد

لأجل الاشتراك فى الثورة عن وعى وبحكمة ونجاح ، يجـــب التعلم .

ان شؤون المكتبات فى بتروغراد منظمة تنظيما سيئا جدا بحكم افساد القيصرية للتعليم الشعبى خلال سنوات طويلة .

فلا بد على الفور وبلا قيد ولا شرط من التحويلات الاساسية التالية المنطلقة من المبادئ المحققـــة من زمان فى دول الغرب الحرة ، ولاسيمـــــا فى سويسرا وفى الولايات المتحـــدة باميركا الشمالية ؛

١ ــ يجب ان تنتقل المكتبة العامة (الامبراطورية سابقا) على الفور الى **تبادل** الكتب سواء مع **جميع** المكتبات العامة والحكومية فى بطرسبورغ والاقاليم ، ام مع المكتبات **فى الخارج** (فنلنده ، اسوج **وهكذا دواليك)** .

٢ ــ ارسال الكتب من **مكتبة الى مكتبة** يجب اعلانه ، بموجب القانون ، **مجانيا** .

٣ ــ يجب فتح قاعة للمطالعة فى المكتبة ، مثلما يجرى فى المكتبات وقاعات المطالعة **الخاصة** فى البلدان المتمدنة بالنسبة **للاغنيـاء** ، كل يوم ، **دون** استثناء الاعياد والآحاد ، من الساعة ٨ صباحا الى الساعة ١١ مساء .

٤ ـ يجب نقل العدد اللازم من المستخـــــدمين على الفور الى المكتبة العامة من دوائر وزارة التعليم الشعبى (مع توسيع العمل النسائى نظرا للطلب العسكرى على العمل الرجالى) ، اذ أن ٩/١٠ العاملين فى هذه الدوائر يقومون ، لا بعمل غير نافع وحسب ، بل وضار .

كتب فى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩١٧

المجلد ٣٥ ، ص‌ص ١٣٢ـ ١٣٣

كلمة فى المؤتمر الاول لعامة روسيا فى شؤون التعليم ٢٨ آب (اغسطس) ١٩١٨

(مقتطف)

ان قضية التعليم الشعبى هى احد الاقسام المكوّنة فى هـذا النضال الذى نخوضه الآن . وبوسعنا ان نعارض النفاق والكـذب بالحقيقة الكاملة والسافرة . فقد بينت الحرب بجلاء ما تعنيـه «ارادة الاكثرية» التى تسترت بها البرجوازية ، وبينت الحرب ان حفنـة من البلوتوقراطيين تجر الشعوب الى المجزرة خدمـة لمصالحها . والآن تقوض نهائيا الايمـان بان الديموقراطيـة البرجوازية تخدم الاكثرية . ان دستورنا ، وسوفييتاتنا التى كانـت ظاهرة جديدة بالنسبة لاوروبا ، ولكن التى فهمناها منذ تجربة ثورة ١٩٠٥ ، هى خير مثال تحريضى ودعائى يفضح مدى كذب ونفاق ديموقراطيتهـم . ولقد اعلنّا امـام الملأ سيادة الشغيلـة والمستثمَرين ــ وهذا مصدر قوتنا ومصدر استحالة قهرنا .

والشىء نفسه فى ميدان التعليم الشعبى : بقدر ما كانت الدولة البرجوازية اكثر ثقافة ، بقدر ما كانت تكذب بمزيد من التفنن ، زاعمة انه يمكن للمدرسة ان تقوم فى معزل عن السياسة وتخدم المجتمع بمجمله .

اما فى الواقع ، فقد احيلت المدرسة كليا الى اداة للسيطرة الطبقية للبرجوازية ، وأفعمت كليا بالروح البرجوازية الطبقيـة المنغلقة ، وكان هدفها اعطاء الرأسماليين اقنانا طيّعين خـدومين

وعمالا فطنين . وقد بينت الحرب ان معجزات التكنيك الحديث تشكل وسيلة لأجل ابادة ملايين العمال ولاغناء الرأسماليين الذين يربحون من الحرب اغناء لا حدّ له . وقد تقوضت الحرب داخليا ، لأننا فضحنا كذبهم بمواجهته بالحقيقة . ونحن نقول : ان عملنا فى الميدان المدرسى هو ذلك النضال نفسه من اجل اسقاط البرجوازية ؛ ونحن نعلن على المكشوف ان القول بمدرسة فى معزل عن الحياة ، فى معزل عن السياسة ، انما هو كذب ونفاق . فماذا كان يعنى التخريب الذى شنّه اكثر ممثلى الثقافة البرجوازية القديمة اطلاعا وتحصيلا ؟ لقد بيّن التخريب بصورة اوضح مما يبينه اى محرض ، ومما تبينه جميع خطاباتنا والآلاف من كراريسنا ، ان هؤلاء الناس يعتبرون المعرفة احتكارا لهم ، ويحولونها الى اداة لسيادتهم على من يسمّون « بالرعاع » وقد استغلوا تحصيلهم لكى يحبطوا قضية البناء الاشتراكى ، ووقفوا على المكشوف ضد الجماهير الكادحة .

لقد تلقى العمال والفلاحون الروس تربيتهم الكاملة فى معمعان النضال الثورى . وقد رأوا ان نظامنا وحده دون غيره يعطيهم السيادة الفعلية ، واقتنعوا بان سلطة الدولة تهب كليا وتماما الى مساعدة العمال وفقراء الريف لكى يتمكنوا من سحق مقاومة الكولاك والملاكين العقاريين والرأسماليين بصورة نهائية .

ان الكادحين يتشوقون الى المعرفة لأنها ضرورية لهم من اجل النصر . وقد ادركت تسعة أعشار الجماهير الكادحة ان المعرفة سلاح فى نضالها من اجل التحرر ، وان اخفاقاتها تنجم عن عدم كفاية التحصيل ، وانه يتوقف الآن عليها بالذات جعل التعليم فى منال الجميع فعلا . ان قضيتنا مضمونة بكون الجماهير عكفت بنفسها على بناء روسيا الجديدة ، الاشتراكية . وهى تتعلم من تجربتها بالذات ، من اخفاقاتها واخطائها ، وهى ترى مبلغ ضرورة التعليم

لأجل السير بالنضال الذى تخوضه الى نهايـــة مظفرة . ورغـم الانحلال الظاهرى للكثير من المؤسسات ، ورغم تهليل الانتلليجنسيا المخرّبة ، نرى ان تجربة النضال قد علمت الجماهير ان تأخـذ بيدها امر تقرير مصيرها . ان كل من يتعاطف مع الشعب بالافعال لا بالاقوال ، ان خير قسم من الهيئـــة التعليميـــة ، سيهب الى مساعدتنا ،ـ وفى هذا ضمانة اكيدة لنا على ان قضية الاشتراكيـــة ستنتصر . **(هتافات)**

المجلد ٣٧ ، ص‌ص ٧٦ـ ٧٨

خطاب فى المؤتمر الثانى للمعلمين الاميين لعامة روسيا ١٨ كانون الثانى (يناير) ١٩١٩ (٢٩)

(تصفيق عاصف يتحول الى هتاف) ايها الرفاق ، اسمحوا لى بان احيى مؤتمركم باسم مجلس مفوضى الشعب . ايها الرفاق ، ان هيئة المعلمين تواجه الآن مهام بالغة الشان ، وانى آمل بانه بعد السنة التى عشناها ، بعد ذلك الصراع الذى احتدم فى بيئة المعلمين بين اولئك الذين وقفوا منذ بادئ بدء الى جانب السلطة السوفييتية ، الى جانب النضال فى سبيل الانقلاب الاشتراكى ، وبين ذلك القسم من المعلمين الذى بقى حتى الآن فى تربة النظم القديمة ، فى تربة الاوهام القديمة القائلة انه يمكن ابقاء التعليم معتمدا على هذه النظم القديمة ـ اعتقد انه لا بدّ ان تحل نهاية هذا الصراع وهى تحل الآن بعد ان دام سنة وبعد كل ما طرأ على العلاقات الدولية . ولا سبيل الى الريب فى ان الاغلبية الساحقة من هيئة المعلمين التى تقف على مقربة من الطبقة العاملة ومن القسم الكادح من الفلاحين ، قد اقتنعت الآن بان الثورة الاشتراكية مدت جذورا عميقة جدا ، وبانها تنتشر بلا مناص فى العالم كله ، وانى اعتقد ان الاغلبية الساحقة من هيئة المعلمين تقف بصدق لا ريب فيه وسوف تقف الى جانب سلطة الشغيلة والمستثمَرين فى النضال من اجل الانقلاب الاشتراكى وفى النضال ضد هذا القسم من المعلمين الذى ظن حتى الآن ، وهو متمسك

بالاوهام البرجوازية القديمة والنظم والمنافقات القديمة ، انه يستطيع الابقاء على شيء ما من هذه النظم .

ومن هذه المنافقات البرجوازية الاقتناع بان من الممكن ان تكون المدرسة خارج السياسة . انتم تعرفون جيدا مبلغ كذب هذا الاقتناع . فان البرجوازية التى تقدمت بهذه الموضوعة ، قد وضعت بنفسها سياستها البرجوازية فى رأس زاوية الشؤون المدرسية وبذلت جهدها لكى تحصر الشؤون المدرسية فى ترويض خدم طيّعين ونشطاء لأجل البرجوازية ، بذلت قصارى جهدها لكى تحصر حتى الشؤون المدرسية بكليتها فى ترويض خدم طيعين ونشطاء لأجل البرجوازية ، ومنفذين لمشيئة الرأسمال وعبيد له ، دون ان تعنى يوما بان تجعل من المدرسة اداة لتربية الشخصية الانسانية . وواضح للجميع الآن انه لا يمكن ان يقوم بذلك غير المدرسة الاشتراكية القائمة على صلة لا انفصام لعراها بجميع الشغيلة والمستثمرين والقائمة على المرتكز السوفييتى بثبات ووجدان .

يقينا ان قضية اعادة بناء المدرسة قضية صعبة . ويقينا انه كانت هناك وتلاحظ الآن اخطاء ومحاولات لتفسير مبدأ الصلة بين المدرسة والسياسة تفسيرا زائفا وتشويهه بمعنى فظ ومسيخ ، وذلك حين يحاولون ان يدخلوا هذه السياسة بلا مهارة فى عقول الجيل الناشيء الفتى الذى يتعين اعداده . ولا ريب فى انه سيترتب علينا دائما ان نناضل ضد هذا التطبيق الفظ للمبدأ الاساسى . ولكن المهمة الاساسية التى تواجه الآن ذلكَ القسم من هيئة المعلمين الذى وقف فى تربة الاممية ، ووقف فى تربة السلطة السوفييتية ، هى الحرص على انشاء اتحاد للمعلمين اكثر سعة وشمولا قدر الامكان .

ان اتحاد المعلمين القديم الذى كان يدافع عن الاوهام

البرجوازية ، والذى كشف عدم فهمه وذاد اطول بكثير وحتى آخر الامكانيات عن الامتيازات التى ذادت عنها الاتحادات العليا الاخرى التى تشكلت منذ بادئ بدء ثورة ١٩١٧ والتى ناضلنا ضدها فى جميع ميادين الحياة ، ان هذا الاتحاد لا تربة له فى اتحادكم ، اتحاد الامميين . وانى اعتقد ان اتحادكم ، اتحاد الامميين ، يمكنه تماما ان يتحول الى نقابة مدرسية واحدة للمعلمين تقف ، مثلها مثل جميع النقابات ، ــ وهذا ما يبينه بجلاء خاص مؤتمر النقابات الثانى لعامة روسية (٣٠) ، ــ على مرتكز السلطة السوفييتية . وانها لضخمة المهمة التى تواجه هيئة المعلمين ، وهنا يتأتى النضال ايضا ضد تلك البقايا من التفكك والتهاون التى خلفتها لنا الثورة الماضية .

وبعد ، الدعاية والتحريض . من الطبيعى الآن ان يبقى التفتت فى جميع ميادين الدعاية والتنوير فى ظل هذا الحذر من هيئة المعلمين الذى خلفته هيئة المعلمين البرجوازية التركيب باعمالها التخريبية واوهامها ، هذه الهيئة التى اعتادت التفكير بانه لا يمكن ان يحصل على التعليم الحقيقى غير الاغنياء ، وبانه يكفى لاغلبية الشغيلة اعداد خدم جيدين وعمال جيدين منهم ، لا اسياد حقيقيين للحياة . وهذا ما يحصر قسما من المعلمين فى مجال ضيق ، فى مجال التعليم المزعوم ، ولا يوفر لنا الامكانيات لكى ننشىء كليا جهازا واحدا موحدا تدخل فيه جميع قوى العلم وتعمل فيه معنا . وسنفلح فى تحقيق ذلك بقدر ما نقطع الصلة بالاوهام البرجوازية القديمة ، وهنا تتلخص مهمة اتحادكم فى اجتذاب اوسع جماهير المعلمين الى اسرتكم ، مهمة تربية اكثر فئات المعلمين تخلفا ، واخضاعهم للسياسة البروليتارية العامة ، وربطهم فى منظمة عامة مشتركة .

وفى مضمار التوحيد المهنى تقع على عاتق هيئة المعلمين مهمة عظيمة فى هذا الوضع الذى تكوّن الآن عندنا ، اذ تتوضح جميع قضايا الحرب الاهلية بكل جلاء ، واذ تضطر العناصر الديموقراطية

من البرجوازية الصغيرة الى الانتقال بحكم الامور الى جانب السلطة السوفييتية ، لانها اقتنعت بان اى سبيل آخر يدفعهـا ، عن غير قصد منها ، الى سبيـل الدفاع عن الحرس الابيض والامبريالية العالمية . وعندما تنهض فى العالم كله مهمة رئيسيـة واحدة ، توضع القضية على النحو التالى : إما الرجعية المتطرفـة ، إمّـا الديكتاتورية العسكرية وعمليات الاعدام رميا بالرصـاص التى بلغتنا عنها انباء واضحة من برلين ؛ إمّا هذه الرجعية المسعورة للرأسماليين المتوحشين الذين يدركون ان حرب السنوات الاربع هذه لا يمكن ان لا تسفر عن عقاب لهم والذين هم بالتالى مستعدون لكل شىء ، مستعـدون لكى يرووا الارض من جديد بدمـاء الكادحين ، وإمّا انتصار الكادحين التام فى الثورة الاشتراكية . ولا يمكن ان يكون ثمة وسط فى هذه الفترة التى نعيش فيها . ولهذا السبب ، ينبغى على المعلمين الذين وقفوا منذ بادئ بدء فى مواقف الاممية ، والذين يرون الآن بوضوح ان اخصامهم فى بيئة المعلمين من المعسكر الآخر لا يستطيعون ان يبدوا اى معارضة جدية ، ـ ينبغى عليهم ان يسلكوا سبيل عمل اوسع . ومن اتحادكم يجب ان تنشأ الآن نقابة واسعة للمعلمين تشمل جماهير ضخمـة مـن المعلمين ، نقابة تقف بحزم وعزم فى تربـة المرتكز السوفييتى والنضال من اجل الاشتراكية عن طريق ديكتاتورية البروليتاريا .

وهذه الصيغة بالذات هى التى اقرها مؤتمر النقابات الثـانى المنعقد الآن . ان المؤتمر يطالب جميع العاملين فى مهنة معينة ، فى نوع معين من النشاط ، بان يتحدوا فى نقابة واحدة موحدة ، ولكنه يقول فى الوقت نفسه انه لا يمكن فصل الحركة النقابية عن المهام الاساسية القائلـة بالنضال فى سبيل تحرير العمل مـن الرأسمـال . ولهذا لا يمكن ان يكون عضوا كامل الحقـوق فى النقابات غير النقابـات التى تعترف بالنضال الطبقى الثورى من اجل

الاشتراكية عن طريق ديكتاتورية البروليتاريا . وهكذا هو اتحادكم . واذا تبنيتم هذا الموقف فان النجاح مضمون لكم فيما يتعلق باجتذاب جماهير المعلمين الغفيرة وبالعمل لكى لا تبقى المعارف والعلوم شأن المميزين ، لكى لا تبقى مادة توطد مواقع الاغنياء والمستثمِرين بل لكى تتحول الى اداة لتحرير الشغيلة والمستثمَرين . وفى هذا المجال اسمحوا لى بان اتمنى لكم ، ايها الرفاق ، كل نجاح .

المجلد ٣٧ ، ص‌ص ٤٣٠ـ
٤٣٣

كلمة فى المؤتمر الاول لعامة روسيا للطلبة الشيوعيين فى ١٧ نيسان (ابريل) ١٩١٩

يسرنى كل السرور ان احييكم . لا ادرى كم عدد المحافظات التى تمثلونها هنا ولا اعرف من اين وصلتـــم . فالمهم هـــو ان الشبيبة ، الشبيبة الشيوعية تتنظم . والمهم ان الشبيبة تجتمع لكى تتعلم كيف تبنى المدرسة الجديدة . امامكم الآن مدرسة جديدة . فلم تعد قائمة المدرسة القديمة الرسمية البغيضة الممقوتة والتى لم تمت اليكم بصلة . وقد اعددنا العمل لامد طويل جدا . فمجتمع المستقبل الذى نطمح اليه ، ذلك المجتمع الذى يجب ان يضـــم العاملين فقط ، ذلك المجتمع الذى يجب ان لا تكون فيـه ايـة فوارق ــ هو مجتمع يتطلب بناؤه امدا طويلا . اننا الآن نضـع فقط حجر مجتمع المستقبل ، اما البناء فستقومون به انتم عندما تصبحون راشدين . اما الآن فاعملوا قدر ما باستطاعتكم ، ولا تكلفوا انفسكم ما لا طاقة لكم به ، واعملوا تحت اشراف من هم اكبر منكم سنـــا . احيى مؤتمركم مرة اخرى ، واتمنى لكم كل النجاحات فى عملكم .

المجلد ٣٨ ، ص ٣٢٠

كلمة تحية فى المؤتمر الاول فى مسائل التعليم غير المدرسى لعامة روسيا ٦ ايار (مايو) ١٩١٩

ايهـــا الرفاق ، يسرنى جدا ان احيى مؤتمر التعليـــم غير المدرسى . يقينا انكم لا تنتظرون منى خطابا من شأنه ان يتناول جوهر القضية ، كما فعل الخطيب السابق المطلع والمهتم خاصـــة بالمسألة ، الرفيق لوناتشارسكى . فاسمحوا لى ان اكتفى ببعض كلمات التحية وببعض الملاحظات والافكار التى كانت تخطر ببالى عندما كان الامر يتطلب فى مجلس مفوضى الشعب لمس عملكـــم المباشر عن بعض القرب . انى واثق بانه من المشكوك فيه ان يكون ثمة ميدان من ميادين النشاط السوفييتى ، كالتعليم والتثقيف غير المدرسى ، تم فيه احراز مثل هذه انجاحات الهائلة فى سنة ونصف سنة . لا ريب ان العمل فى هذا الميدان كان الاسهل علينا وعليكم مما فى الميادين الاخرى . هنا ، فى هذا الميدان ، تأتى لنا ان نزيل الحواجز القديمة والعقبات القديمـــة . هنا ، كان من الاسهـــل الاستجابة لتلك الحاجة الهائلة الى المعرفة ، الى التعليم الحر ، الى التطور الحر ، التى برزت ، اكثر ما برزت ، بين جماهير العمـــال والفلاحين ، لأنه اذا كان من السهل علينا ، بفضل ضغط الجماهير الجبار ، ان نقضى على تلك العقبات الخارجيـــة التى كانت تعترض سبيل الجماهير ، ان نحطم المؤسسات البرجوازية التاريخية التى كانت تربطنا بالحرب الامبريالية وتفرض على روسيا اكبر الاعباء

الناجمة عن هذه الحرب ، لأنه اذا كان من السهل علينا ان نحطم العقبات الخارجية ، فقد تأتى لنا بالمقابل ان نشعر بمزيد من الحدة بكل ثقل العمل فى مضمار اعادة تربية الجماهير ، فى مضمار التنظيم والتعليم ، فى مضمار نشر المعارف ، فى مضمار النضال ضد ذلك الارث من الجهل والامية والوحشية والهمجية ، الذى كان من نصيبنا ؛ وهنا تأتى خوض النضال بطرائق مختلفة تماما . هنا تأتى الاعتماد فقط على نجاح طويل الأمد وعلى تأثير الفئات التقدمية من السكان بعناد ودأب وانتظام ، على تأثير يلقى من جانب الجماهير اوفر الترحاب سرورا ، ونحن فى كثير من الاحيان نصبح مذنبين لأننا نعطى اقل مما فى وسعنا ان نعطى . وفى هذه الخطوات الاولى فى مضمار نشر التعليم غير المدرسى ، التعليم الحر ، غير المقيد بالاطارات والقيود السابقة ، التعليم الذى يهفو اليه السكان الراشدون ، تأتى لنا ، حسبما ارى ، ان نناضل فى الآونة الاولى اكثر ما ناضلنا ضد نوعين من العقبات . وهذان النوعان من العقبات ورثناهما عن المجتمع القديم ، الرأسمالى ، الذى لا يزال يمسك بنا حتى الآن ، ويجرنا الى اسفل بآلاف وملايين الخيوط والحبال والسلاسل .

والنقص الاول ، انما هو وفرة المتحدرين من فئة المثقفين البرجوازيين الذين اعتبروا كليا وتماما مؤسسات العمال والفلاحين التعليمية المبنية بطريقة جديدة ، انسب ميدان لأجل اختلاقاتهم الشخصية فى مجال الفلسفة او فى مجال الثقافة ، عندما كانت الشعوذة السخيفة للغاية تصور كليا وتماما بصورة شىء ما جديد ، وعندما كان شىء ما فائق الطبيعة واخرق يُصوَّر بصورة الفن البروليتارى الصرف والثقافة البروليتارية الصرف (٣١) **(تصفيق)** . ولكن هذا كان طبيعيا فى الآونة الاولى ويمكن غفرانه ولا يمكن القاء تبعته

على عاتق الحركة الواسعة ، وانى آمل باننا مع ذلك سنتخلص من هذا فى آخر المطاف اذ اننا بدأنا الآن نتخلص منه فعلا .

والنقص الثانى انما هو ايضا ارث الرأسمالية . فان الجماهير الواسعة من الشغيلة البرجوازيين الصغار ، فى سعيها وراء المعرفة ، ومع تسطيمها القديم ، لم تستطع ان تأتى باى شىء منظّم ، باى شىء منظّم . وقد سنحت لى الفرصة وراقبت عندما نوقشت فى مجلس مفوضى الشعب مسألة تعبئة المتعلمين ومسألة قسم المكتبات ، ومن هذه المراقبات غير الكبيرة ، استخلصت استنتاجاتى فيما يتعلق بسوء الحال فى هذا المضمار . يقينا انه ليس من المستطاب جدا التحدث فى كلمات التحية عن الامور السيئة . ولكنى آمل بانكم لن تتمسكوا بهذه الاعراف ولن تلومونى اذا ما شاطرتكم مراقباتى المحزنة نوعا . عندما ناقشنا مسألة تعبئة المتعلمين ، كان ابرز ما لفت النظر هو ان الثورة قد احرزت عندنا نجاحا باهرا دون ان تتخطى على الفور اطار الثورة البرجوازية . لقد اعطت القوى الموجودة حرية التطور ، وهذه القوى الموجودة هى قوى برجوازية صغيرة ، ترفع الشعار القديم ذاته «كل لنفسه ، والله للجميع» ، هذا الشعار اللعين الرأسمالى الصرف ذاته الذى لا يؤدى ابدا الى اى شىء ، اللهم الى كولتشاك والى عودة النظام البرجوازى القديم . وعندما ارى ما يجرى عندنا فى مضمار تعليم الاميين ، اعتبر ان ما تحقق فى هذا المضمار قليل جدا ، ومهمتنا المشتركة هنا هى ان نفهم انه ينبغى تنظيم العناصر البروليتارية . فالقضية ليست فى الجمل المضحكة التى تبقى على الورق ، بل فى الاجراءات الملحة التى يجب اعطاؤها للشعب حالا ، والتى من شأنها ان تجبر كل انسان متعلم على ان يعتبر ضرورة تعليم بعض الاميين واجبا عليه . وهذا ما نادينا به فى المرسوم (٣٢) . ولكنه لم يتحقق شىء تقريبا فى هذا المضمار .

وعندما واجهتني في مجلس مفوضي الشعب المسألة الاخرى ، مسألة المكتبات ، قلت : ان الشكاوى التي سمعناها على الدوام ـ الذنب ذنب تأخرنا الانتاجي ، وعندنا قلة من الكتب ، ونحن لا نستطيع ان ننتجها باعداد كافية ـ واقول لنفسي ان هذه الشكاوى صحيحة . يقينا انه لا يوجد عندنا وقود ، والمصانع معطلة ، والورق قليل ، والكتب لا نستطيع الحصول عليها . كل هذا صحيح ، ولكنه من الصحيح كذلك اننا لا نستطيع ان نأخذ الكتب الموجودة عندنا . ونحن لا نزال نعاني في هذا المجال من سذاجة الفلاح وعجز الفلاح اللذين تبديا عندما نهب هذا الفلاح مكتبة السيد وهرب الى بيته وخاف ان ينتزعها منه احد ، لأن الفكرة القائلة انه يمكن ان يقوم توزيع عادل ، وان ملك الدولة ليس شيئا ما ممقوتا ، وان ملك الدولة انما هو ملك العمال والكادحين المشترك ، ـ لأنه لما يكن بوسعه ان يدرك هذا . وليس الذنب في ذلك ذنب الجمهور الفلاحي غير المتطور ، وهذا مشروع تماما من وجهة نظر تطور الثورة ، ـ فان هذا طور لا مناص منه . وعندما اخذ الفلاح لنفسه مكتبة وابقاها عنده خفية عن الآخرين ، لم يكن من الممكن ان يسلك سلوكا آخر لأنه لم يكن يدرك انه يمكن جمع مكتبات روسيا في مكتبة واحدة ، وان عدد الكتب سيكون كافيا لاشباع المتعلم وتعليم الامي . والآن ينبغي النضال ضد بقايا التشوش ، ضد الفوضى ، ضد المجادلات المضحكة بين الدوائر الحكومية . وهذا ما يجب ان يشكل مهمتنا الرئيسية . يجب علينا ان ننكب على حل قضية بسيطة ، ملحة ، هي قضية تعبئة المتعلمين ومكافحة الامية . يجب علينا ان نستفيد من الكتب الموجودة عندنا ، وننصرف الى انشاء شبكة منظمة من مكتبات في وسعها ان تساعد الشعب على الاستفادة من كل كتاب موجود عندنا ، ويجب علينا ألاّ ننشئ منظمات متشابهة ، بل ان ننشئ منظمة منهاجية

واحدة موحدة . وفى هذه القضيـــة الصغيرة ، تنعكس المهمـــة الاساسية لثورتنا . فاذا لم تنفذ هذه المهمة ، اذا لم تنخرط فى طريق انشاء منظمة منهاجية واحدة موحدة فعلا عوضا عن الفوضى والغباوة والحماقة الروسية ، فان هذه الثورة ستبقى آنذاك ثورة برجوازية ، لأن الخاصة الاساسية للثورة البروليتارية السائرة نحو الشيوعية انما تكمن فى هذا بالذات ، بينما كان يكفى البرجوازية ان تحطم القديم وتمنح الحرية للاقتصاد الفلاحى الذى كان يبعـــث الرأسمالية ذاتها ، كما فى جميع ثورات الزمن السابق .

واذا كنا نتسمى بحزب الشيوعيين ، تعين علينا ان نفهم انه الآن فقط ، وقد قضينا على العقبات الخارجية وحطمنا المؤسسات القديمة ، تنتصب امامنا للمرة الاولى بصورة حقيقية وبكل قامتها المهمة الاولى للثورة البروليتارية الحقيقية ـ مهمة تنظيم عشرات ومئات الملايين من الناس . وبعد خبرة سنة ونصف السنة فى هذا الميدان ، مررنا بها جميعا ، يجب علينا ، اخيرا ، ان ننخرط فى سبيل قويم يتيح التغلب على تلك القلة من الثقافة وعلى ذلك الجهل وتلك الوحشية التى عانينا منها دائما . **(تصفيق عاصف)** .

المجلد ٣٨ ، ص‌ص ٣٢٩ـ
٣٣٢

خطاب فى المؤتمر الاول لشغيلة التعليم والثقافة الاشتراكية لعامة روسيا ٣١ تموز (يوليو) ١٩١٩

(مقتطفان)

ايها الرفـــاق ، يسرنى جدا ان احيى مؤتمركم باسم مجلس مفوضى الشعب .

فى ميدان التعليم الشعبى ، تأتى لنا ان نناضل زمنا طويلا ضد نفس المصاعب التى جابهت السلطة السوفييتية على الدوام فى جميع ميادين العمل وفى جميع ميادين التنظيم . وقد لاحظنا انه تواجد منـــذ بادئ بدء على رأس المنظمات التى كانت تعتبر المنظمات الجماهيرية الوحيدة اناس ظلوا زمنـــا طويلا فى أسر الاوهـــام البرجوازية . وقد لاحظنا حتى فى اوائل عهد السلطة السوفييتية ان الجيش قد انهال علينـــا فى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ فى بتروغراد بتصريحات يقول فيها انه لا يعترف بالسلطة السوفييتية ويهدد فيها بالزحف على بتروغراد ويعرب فيها عن تضامنه مـــع الحكومات البرجوازية . وحتى آنذاك اقتنعنا بان هذه التصريحات قد انطلقت من تلك القمم فى هذه المنظمات ، من تلك اللجـــان العسكرية القائمة آنذاك التى كانت تمثل كليا الماضى فى تطـــور مزاج جيشنا وعقائده ونظراته . ومذ ذاك تكررت هذه الظاهرة فيما يتعلق بجميع المنظمات الجماهيرية : فقد تكررت فيما يتعلق ببروليتاريا السكك الحديدية وفيما يتعلق بمستخدمى البريـــد والبرق . وقد لاحظنا دائما ان الماضى يظل يحتفظ فى الآونة الاولى

فى قبضته بالقوة والنفوذ فى المنظمات الجماهيريـــة . ولهـذا لم يدهشنا البتة ذلك النضال العنيد المديد الذى دار فى وسط هيئـة المعلمين التى كانت تمثل منذ بادئ بدء منظمة تقف باغلبيتها الساحقة ، ان لم يكن بكليتها ، موقفا معاديا للسلطة السوفييتية . ورأينا كيف تعين التغلب تدريجيا على الاوهام البرجوازية القديمة وكيف تعين على هؤلاء المعلمين الذين كانوا وثيقى الارتبـــاط بالعمال وبالفلاحين الكادحين ان ينتزعوا حقوقهم فى غمرة النضال ضد النظام البرجوازى السابق وان يشقوا لانفسهم طريقا الى التقارب الفعلى مع الجماهير الكادحـــة ، والى الفهم الفعلى لطابـــع الثورة الاشتراكية الجارية . وانتم تأتى لكم حتى الآن اكثر من اى آخر ان تواجهوا الاوهام القديمة لدى الانتلليجنسيا البرجوازية ، واساليبها وحججها المألوفة ، ودفاعها عن المجتمع البرجوازى او الرأسمالى ، ونضالها الذى لا تخوضه على المكشوف بل وراء ستار من هذه او تلك من الشعارات الحسنة الوقع فى الظاهر ، والتى تستعمل فعلا ، بنحو او آخر ، دفاعا عن الرأسمالية .

ايها الرفـاق ، انتم تتذكرون ، على الارجـــح ، كيف يصف ماركس دخول العامل الى الفبركة الرأسماليـــة المعاصرة ، وكيف يدرس ماركس اسباب اضطهاد الشغيلة من قبل الرأسمـــال فى سياق تحليله لعبودية العامل فى المجتمع الرأسمـــالى المنضبط والمثقف و«الحر» ، وكيف يتناول اسس عملية الانتاج ، وكيف يصف دخول العامل الى الفبركة الرأسماليـــة حيث يجرى ابتزاز القيمة الزائدة وحيث يجرى ارساء اساس الاستثمار الرأسمـــالى كله وحيث يتحقق بناء المجتمع الرأسمالى الذى يضع الثروة فى يد قلة من الناس ويبقى الجماهير فى ربقة الاضطهاد . وعندما يصـــل ماركس الى هذا المكان الجوهرى والجذرى ولا اكثر فى كتابه ، ـ اى عندما يعمد الى تحليل الاستثمار الرأسمالى ، يرفق هذه المقدمة

بملاحظة ساخرة : «هنا ، فى هذا المكان الذى ادخلكم اليه ، فى هذا المكان لاعتصار الرأسماليين للارباح ، هنا تسود الحرية والمساواة وبنتام» . وعندما قال ماركس هذا ، ألمح الى تلك الايديولوجية التى تروجها البرجوازية فى المجتمع الرأسمالى ، والتى تبررها البرجوازية ، لأنه ، من وجهة نظر البرجوازية التى خبرت النضال ضد الاقطاعية ، من وجهة نظر هذه البرجوازية ، تسود «الحرية والمساواة وبنتام» على وجه الضبط فى المجتمع الرأسمالى القائم على سيادة الرأسمال ، على سيادة المال ، على استثمار الشغيلة ، اى الحرية التى يعنون بها حرية ابتزاز الربح ، حرية الاثراء لاجل افراد قلائل ، حرية التداول التجارى ؛ والمساواة التى يعنون بها المساواة بين الرأسماليين والعمال ؛ وسيادة بنتام اى سيادة الاوهام البرجوازية الصغيرة بصدد الحرية والمساواة .

واذا القينا نظرة حولنا ، اذا رأينا الى تلك الذرائع التى ناضل بها ضدنا فى الامس ويناضل بها اليوم ممثلو اتحاد المعلمين السابق والتى نجدها حتى الآن عند اخصامنا الفكريين الذين يقولون عن انفسهم بانهم اشتراكيون ، اى عند الاشتراكيين ـ الثوريين والمناشفة ، تلك الذرائع التى نجدها على مستوى منخفض من الوعى ، فى الاحاديث اليومية مع جماهير الفلاحين الذين لمّا يفهموا معنى الاشتراكية ، ـ اذا امعنتم النظر فى هذا ، وامعنتم الفكر فى مغزى هذه الذرائع الفكرى ، فانكم ستجدون الدافع البرجوازى ذاته الذى اشار اليه ماركس فى «رأس المال» . فان جميع هؤلاء يؤكدون صحة هذا الكلام المأثور القائل ان الحرية والمساواة وبنتام تسود فى المجتمع الرأسمالى . وعندما يعترضون علينا من وجهة النظر هذه ويقولون اننا نحن البلاشفة والسلطة السوفييتية ننتهك الحرية والمساواة ، نرجع اولئك الذين يقولون هذا الى مبادئ الاقتصاد السياسى ، الى اسس مذهب ماركس . نحن نقول :

ان الحرية التى تتهمون البلاشفة بانتهاكها هى حرية الرأسمال ، هى حرية المالك فى بيع الحبوب فى السوق الحرة ، اى حرية ابتزاز الربح من قبل افراد قلائل يملكون هذه الحبوب بوفرة . وحرية الصحافة التى اتهموا البلاشفة على الدوام بانتهاكها ، ـ ما هى حرية الصحافة هذه فى المجتمع الرأسمالى ؟ ان كل امرئ قد رأى ما كانت عليه الصحافة عندنا فى روسيا «الحرة» . ورأى ذلك اكثر اولئك الذين اطلعوا على وضع الصحافة فى البلدان الرأسمالية الطليعية بمراقبتهم هذا الوضع عن كثب او بتعاملهم مباشرة مع الصحافة . ان حرية الصحافة فى المجتمع الرأسمالى انما تعنى حرية المتاجرة بالصحافة وبالتأثير فى الجماهير الشعبية . ان حرية الصحافة انما هى تمويل الصحافة ، هذا السلاح الماضى للتأثير فى الجماهير الشعبية ، على نفقة الرأسمال . هذه هى حرية الصحافة التى قضى عليها البلاشفة ، وهم يعتزون لكونهم منحوا للمرة الاولى حرية الصحافة من الرأسماليين ، لكونهم انشأوا للمرة الاولى فى بلاد مترامية الاطراف صحافة ليست تابعة لحفنة من الاغنياء والمليونيرية ، ـ صحافة مكرسة بكليتها لمهام النضال ضد الرأسمال ؛ ولهذا النضال يجب ان نخضع كل شىء . وفى هذا النضال ، لا يمكن لغير البروليتاريا العمالية القادرة على قيادة الجماهير الفلاحية غير الواعية ان يكون القسم المتقدم من الكادحين ، طليعتهم .

وعندما يتهموننا بديكتاتورية حزب واحد ، ويقترحون ، كما سمعتهم ، جبهة اشتراكية واحدة ، فاننا نقول : «اجل ، ديكتاتورية حزب واحد ! نحن على هذه التربة نقف ، وعن هذه التربة لا يسعنا ان نفترق ، لأن هذا الحزب هو ذلك الحزب الذى ظفر فى غضون عقود من السنين بوضع طليعة كل البروليتاريا المصنعية المعملية والصناعية ؛ لأن هذا الحزب هو ذاك الذى ظفر

بهذا الوضع حتى قبل ثورة عام ١٩٠٥ ؛ لأن هذا الحزب هو ذاك الذى كان فى عام ١٩٠٥ على رأس الجماهير العمالية ، هو ذلك الحزب الذى اندمج فى الطبقة العاملة مذ ذاك واثناء الردة الرجعية بعد عام ١٩٠٥ ، اى عندما تجددت الحركة العمالية بمثل هذا الجهد فى عهد دوما ستوليبين ، ــ والذى كان بمقدوره وحده فقط ان يقود الطبقة العاملة الى تغيير المجتمع القديم بصورة عميقة وجذرية » . وعندما يقترحون علينا جبهة اشتراكية موحدة ، نقول : هذا يقترحه حزبا المناشفة والاشتراكيين ــ الثوريين اللذان ابديا ابان الثورة تارجحات فى صالح البرجوازية . عندنا تجربتان : عهد كيرنسكى ، حيث شكل الاشتراكيون ــ الثوريون حكومة ائتلافية ساعدها الوفاق اى البرجوازية العالمية ، امبرياليو فرنسا واميركا وبريطانيا . وماذا رأينا بالنتيجة ؟ هل رأينا ذلك الانتقال التدريجى الى الاشتراكية الذى وعدوا به ؟ كلا ؛ فقد رأينا الافلاس ، وسيادة الامبرياليين التامة ، وسيادة البرجوازية وافلاس جميع الاوهام التوفيقية على اختلافها افلاسا تاما .

ان روسيا هى اول بلد اعطاه التاريخ دور رائد الثورة الاشتراكية ؛ ولهذا السبب بالذات كان من نصيبنا مثل هذا القدر من النضال والآلام . ان امبرياليى ورأسماليى البلدان الاخرى يدركون ان روسيا على كامل الاستعداد ، وانه يتقرر فى روسيا ، لا مصير الرأسمال الروسى وحده ، بل ايضا مصير الرأسمال العالمى . ولهذا السبب يروجون فى كل صحافتهم كمية لم يسمع بمثلها من قبل من الاكاذيب ضد البلاشفة ، ــ فى الصحافة البرجوازية العالمية المشتراة كلها بالملايين والمليارات .

انهم يهبون ضد روسيا باسم تلك المبادئ نفسها ، مبادئ « الحرية والمساواة وبنتام » . وعندما تلتقون عندنا اناسا يظنون

انهم يدافعون عن شيء ما مستقل ، عن مبادئ الديموقراطية بوجه عام ، ويتحدثون عن الحرية والمساواة وعن انتهاك البلاشفة لهما ، ـ فاطلبوا من هؤلاء الناس ان يطلعوا على صحافة الرأسمالية الاوروبية . فتحت اى ستار يسير كولتشاك ودينيكين ، تحت اى ستار يخنق الرأسمال الاوروبى والبرجوازية الاوروبية روسيا ؟ انهم جميعهم لا يتحدثون الا عن هذا ـ عن الحرية والمساواة ! حين استولى الاميركيون والبريطانيون والفرنسيون على ارخنغلسك ، وحين يرسلون عساكرهم الى الجنوب ، ـ يدافعون عن الحرية والمساواة . هذا هو الشعار الذى يتسترون به ، ولهذا تهب بروليتاريا روسيا فى هذا الوضع من الصراع المسعور ضد الرأسمال العالمى كله . هذا ما يخدمه شعارا الحرية والمساواة هذان اللذان يخدع بهما جميع ممثلى البرجوازية الشعوب واللذان يقع على عاتق الانتلليجنسيا التى تقف بالفعل الى جانب العمال والفلاحين ان تسحقهما سحقا .

المجلد ٣٩ ، ص ص ١٣١ ـ ١٣٥ ، ١٣٧

كلمة فى الاجتماع الثالث لعامة روسيا لرؤساء اقسام التعليم غير المدرسى لدى مصالح التعليم الشعبى فى المحافظات ٢٥ شباط (فبراير) ١٩٢٠

(مقتطف)

. . . اننا نعول على نشاطكم ، نعول عليكم ، انتم العاملين فى ميدان التعليم غير المدرسى . فلارساء التعليم المدرسى على اساس امتن ، لهذا الغرض لا بد من جملة كاملة من التغييرات المادية : تشييد المدارس ، انتقاء المعلمين ، اصلاحات داخليـــة تتعلق بتنظيم وانتقاء سلك المعلمين . وهذه كلها امور تتطلب تحضيرا مديدا . وهذا التحضير المديد لا يضيق عليكم كثيرا فيما يتعلق بالتعليم غير المدرسى . ان حاجة السكان للحصول على التعليم خارج النظام المدرسى المقرر ، والحاجة الى العاملين فى هذا الميـــدان يتعاظمان بقوة خارقة . ونحن على ثقة بانه سيتحقق ، بفضـل المساعدة العامة وتضافر الجهود ، اكثر ممّا تحقق حتى الآن .

وختاما ساتحدث عن طابـــع التعليم غير المدرسى المرتبط بالدعاية والتحريض . فمن النواقص الجذرية فى نظام التعليـــم والتثقيف فى المجتمع الرأسمالى ، انه كان مفصولا عن مهمة تنظيم العمل الاساسية لأنه كان ينبغى للرأسمـــالى ان يدرب ويروض العمال لكى يكون تحت تصرفه عمال مستكينون ومروّضون . ولم تكن ثمة صلة فى المجتمع الرأسمالى بين مهام تنظيم العمل الشعبى الفعلية وبين التعليم . ولذا كان التعليم يتسم بطابع ميت ، كلامى ، دواوينى ، مدنس بتأثير الكهنـة ، وكان فى كل مكان ، حتى فى اكثر

الجمهوريات ديموقراطية ، يؤدى الى اقصاء كل ما هو جديد وسليم . وكان العمل الحى المباشر يلقى المصاعب ، لأنه يستحيل تأمين التعليم على نطاق واسع بدون جهاز لسلطة الدولة ، بدون مساعدة مادية ومالية . وبما انه يمكننا ويجب علينا ان نستعد لنقل كل حياتنا السوفييتية من سبل التحضير الحربى والرد الحربى الى سبل البناء السلمى ، ـ فانه يجب ويتعين عليكم ، ايها العاملون فى ميدان التعليم غير المدرسى ، ان تأخذوا هذا التغيير بالحسبان ، وان تتكيفوا لهذا التغيير فى نشاطكم الدعائى ، فى مهامه وبرنامجه .

ولكى ابين كيف افهم مهام وكل طابع التعليم والتدريس والتربية والتثقيف وفقا للمهام المتغيرة التى تواجه الجمهورية السوفييتية ، اذكر القرار عن الكهربة الذى اتخذته اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا فى دورتها الاخيرة . اغلب الظن ان جميعكم تعرفون هذا القرار . ففى الايام الاخيرة ، ظهر فى الصحف نبأ يقول انه فى مدة شهرين (فى النبأ المطبوع الرسمى قيل : فى مدة اسبوعين ـ هذا خطأ) ، انه فى مدة شهرين ستوضع خطة لكهربة البلد محسوبة لسنتين او ثلاث بموجب برنامج الحد الادنى ، ولعشر سنوات بموجب برنامج الحد الاقصى . ان طابع دعايتنا كلها بما فيها الدعاية الحزبية الصرف وطابع التعليم المدرسى والتثقيف ، وطابع التعليم غير المدرسى ، يجب ان يتغير ، لا بمعنى ان تتغير اسس التعليم نفسها واتجاهه نفسه ، بل بمعنى تكييف طابع النشاط للانتقال الى البناء السلمى حسب خطة واسعة لتحويل البلد صناعيا واقتصاديا ، لأن الصعوبة الاقتصادية العامة والمهمة العامة هى مهمة بعث قوى البلد الاقتصادية على نحو بحيث تستطيع الثورة البروليتارية ان تنشئ ، الى جانب الاقتصاد الفلاحى الصغير ، الاسس الجديدة للحياة الاقتصادية . فحتى الآن تأتى للفلاح ان يقدم حبوبه للدولة العمالية على سبيل القرض : ان الاوراق

الملونة ، النقود ، لا يمكنها ان ترضى الفلاح مقابل الحبوب . وبما ان الفلاح لا يرضى بها ، فهو يطالب بحق مشروع : مقابل الحبوب التى يعطيها ، منتوجات الصناعة ، التى لا نستطيع اعطاءها طالما لم نبعث الاقتصاد . ان البعث هو المهمة الاساسية ، ولكننا لا نستطيع ان نبعث على الاساس الاقتصادى والتكنيكى القديم . وهذا مستحيل تكنيكيا ايضا ، ولو كان ممكنا ، لكان سخيفا ؛ ينبغى ايجاد اساس جديد . وخطة الكهربة هى هذا الاساس الجديد .

نحن نتقدم من الفلاحين ، من الجمهور الاقل تطورا بتوجيه يبين مبلغ ضرورة الانتقال الجديد الى درجة اعلى فى حقل الثقافة والتعليم التكنيكى لنجاح البناء السوفييتى كله . وهكذا لا بدّ اذن من بعث الاقتصاد . ان اجهل فلاح يفهم ان الحرب هى التى الحقت الخراب بالاقتصاد ، وانه بدون بعث الاقتصاد لا يستطيع القضاء على العوز ، اى الحصول على المنتوجات الضرورية مقابل الحبوب . وبحاجة الفلاحين هذه بالذات ، الحاجة المباشرة ، الملحة ، يجب ان يتمسك ويتشبث كل عمل الدعاية والتعليم والتنوير والتعليم غير المدرسى لكى لا ينفصل هذا العمل عن ألح حاجات الحياة اليومية ، بل لكى ينطلق على وجه الدقة من تطويرها وادراكها من قبل الفلاح مع الاشارة الى ان المخرج من الوضع ينحصر فى بعث الصناعة . ولكنه لا يمكن ان يقوم بعث الصناعة على التربة القديمة ، انما ينبغى بعثها على تربة التكنيك العصرى . وهذا يعنى كهربة الصناعة وانهاض الثقافة . ان المحطات الكهربائية تتطلب عملا فى حدود ١٠ سنوات ، على ان يكون عملا اكثر ثقافة ووعيا .

نحن نضع خطة واسعة للعمل يجب ان ترتبط فى اذهان الجماهير الواسعة من الفلاحين بهدف واضح ، مطروح عمليا . وهذا لا يمكن عمله فى بضعة اشهر . فان برنامج الحد الادنى لا يمكن اعطاؤه لمدة تقل عن ثلاث سنوات . ولكنه يمكن القول ، دون

الوقوع فى الطوباويات ، ان فى مقدورنا خلال ١٠ سنـــوات ان نغطى روسيا كلها بشبكة من المحطات الكهربائية وان ننتقل الى وضع فى الصناعة الكهربائية يستجيب لمقتضيات التكنيـك العصرية ويقضى على الاسلوب الزراعى الفلاحى القديم . وهذا الوضع يتطلب مستوى اعلى فى حقل الثقافة والتعليم .

ودون ان تخفوا عن انفسكم ان المهمة العملية المباشرة هـــى الآن بعث النقليات ونقل المأكولات ، وانه يستحيل ، فى وضع الانتاجية الحالى ، الانصراف الى مهام واسعة ، يجب عليكم مـــع ذلك ، فى ميدان الدعاية والتنوير ، ان تأخذوا بالحسبان هـــذه المهمة ، مهمة اعادة البناء كليا على تربة تناسب المقتضيـــات الثقافية والتكنيكية ، وان تنفذوا هذه المهمـــة . ونحن سنشفى بسرعة كبيرة من الاساليب القديمة للدعاية ، من هذه الاساليب التى كان يعيبها القدم والتى كانت حتى الآن تخاطب الفلاح بجمـــل عامة عن النضال الطبقى ، والتى لفقوا على اساسها شتى الحماقات بصدد الثقافة البروليتارية ، الخ . ، سنشفى من هذه الاسمال التى تشبه كثيرا امراض الاطفال فى سن الطفولة . وفى الدعاية والتحريض والنشاط التعليمى والتنويرى سننتقل الى طرح المسألة بمزيد من التبصر والروح العملى ، بصورة تليق برجال السلطة السوفييتية الذين تعلموا فى سنتين شيئا ما ، والذين يمضون الى الفلاح بخطة عملية ، واقعية واضحة ، لاعادة بناء الصناعة كلها وبالقول ان الفلاح والعامل لن ينفذا هذه المهمة ولن يتفلتا من براثن القذر والعوز والتيفوس والمرض اذا ظل التعليم كما هو عليه فى الوقت الحاضر . ان هذه المهمة العملية ، المرتبطة ارتباطا واضحا برفع مستوى الثقافة والتعليم ، انما يجب ان تكون بمثابة عقدة يجب ان يلتف حولها كل طابع دعايتنا الحزبية ونشاطنا الحزبى ، وتعليمنا وتدريسنا . وآنذاك تتشبث هذه الخطة بمصالح جماهير الفلاحين

الحيوية الاولية بدرجة من العمق ، وتربط انهاض الثقافة والمعرفة العام بالحاجات الاقتصادية الملحة بدرجة من الشدة بحيث اننا نقوى مائة مرة طلب تحصيل العلم من جانب جماهير العمال . ونحن واثقون اطلاقا باننا اذا كنا قد نفذنا فى سنتين المهمة الحربية الخارقة الصعوبة ، فاننا سننفذ فى ٥ ــ ١٠ سنوات مهمة اصعب هى مهمة التثقيف والتعليم والتنوير .

هذه هى الامنية التى اردت ان اعرضها عليكم . (تصفيق) .

المجلد ٤٠ ، ص‌ص ١٦١ــ
١٦٥

مهمات اتحادات الشباب

(خطاب القى فى المؤتمر الثالث لعامة روسيا لاتحاد الشبيبة الشيوعى الروسى فى الثانى من اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢٠)

(الحضـــور يستقبلون لينين بتصفيـــق عاصف وهتاف حماسى) .

أيها الرفاق ، اود اليوم ان أحدثكم عن المهمات الاساسيـــة الموضوعة أمام اتحاد الشبيبة الشيوعى ، وبالتالى ، عما يجب أن تكون عليـــه ، بوجه عـــام ، منظمات الشباب فى الجمهوريـــة الاشتراكية .

يجدر بنا أن نتوقف عند هذه المسألـــة خاصة وأنه يمكن القول ، بمعنى ما ، أن المهمة الحقيقية القاضية بانشاء المجتمع الشيوعى ستقـــع بالضبط على عاتق الشباب . فواضح ان جيل الشغيلة ، الذى تربى فى المجتمـــع الرأسمالى ، قادر ، فى احسن الحالات ، على سحق أسس النظام الرأسمالى القديم ، القائـــم على الاستثمار . وأكثر ما يمكنه القيام به ، أن يحل مسألة انشاء نظام اجتماعى من شأنه أن يساعد البروليتاريا والطبقات الكادحـــة فى الاحتفاظ بالسلطة بأيديها وفى ارساء قاعدة متينة لا يستطيع أن يبنى عليها غير الجيل الذى يبدأ العمل فى ظروف جديدة ، فى وضع لا وجود فيه لعلاقات الاستثمار بين الناس .

واذ أتناول مسألة مهمات الشباب من وجهة النظر هذه ، يترتب علىّ أن أقول أن المهمات الموضوعة أمام الشباب بوجه عام وامام اتحادات الشبيبة الشيوعية وجميع المنظمات الاخرى بوجه خاص يمكن تحديدها بكلمة واحدة ــ تعلم .

بدهى ان ليست تلك سوى «كلمة» . ان هذه الكلمة لا تجيب عن مسألتين رئيسيتين همـا من أهم المسائل : مـاذا ينبغى ان نتعلم وكيف ؟ والحال ، ان النقطة الاساسية هنـا ، هى انه ، مع تحويل المجتمع الرأسمالى القديم ، لا يمكن ان يظل تعليـم الاجيال الجديدة التى ستنشئ المجتمع الشيوعى وتربيتها وتثقيفها كما كانت عليه فيما مضى . ان نقطة الانطلاق فى تعليم الشباب وتثقيفه وتربيته ينبغى أن تكون المواد التى تركها لنا المجتمع القديم . فليس بوسعنا ان نبنى الشيوعية الا من مجمل المعارف والمنظمات والمؤسسات ، الا برصيد القوى البشرية والموارد ، التى بقيت لنا عن المجتمع القديم . ولن نتمكن من بلوغ ما نرمى اليه ، وهو أن تؤدى جهود الجيل الجديد الى انشاء مجتمع لا يشبه المجتمع القديم ، أى الى انشاء المجتمع الشيوعى ، الا بتحويل تعليم الشباب وتنظيمه وتربيته تحويلا جذريا . ولهذا ينبغى لنا أن نبحث بالتفصيل مسألة معرفة ما ينبغى أن نعلم الشباب وكيف ينبغى لهم أن يتعلموا ، اذا شاؤوا فعلا أن يكونوا جديرين باسم الشباب الشيوعى ، وكيف ينبغى اعدادهم لكى يكونوا قادرين على انجاز المهمة التى بدأنا بها وتكليلها بالنجاح .

يجب على ان اقول ان الجواب الذى يتبادر لاول وهلـة الى الذهن ، على ما يخيل ، والذى يبدو طبيعياً أكثر من غيره ، هـو انه ينبغى على اتحاد الشبيبة ، وبوجه عام ، على كل الشباب الذين يريدون الانتقال الى الشيوعية ، أن يتعلموا الشيوعية .

ولكن هذا الجواب : «تعلم الشيوعية» ذو طابع عام جدا . فماذا ينبغى لنا اذن لكى نتعلم الشيوعية ؟ ماذا ينبغى لنا أن نختار من مجمل المعارف العامة لكى نكتسب معرفة الشيوعية ؟ فى هذا المضمار ، تهددنا جملة كاملة من الاخطار التى تبدو فى أغلب

الاحيان ما أن يساء وضع مهمة تعلم الشيوعية ، أو حين تفهم بصورة وحيدة الطرف الى حد كبير .

وطبيعى ان الفكرة التى تمر بالخاطر ، من الوهلة الأولى ، هى أن تعلم الشيوعية يعنى اكتساب مجمل المعارف الواردة فى الكتب والكراريس والمؤلفات الشيوعية . ولكن مثل هذا التعريف لدراسة الشيوعية غير محكم أبدا وغير كاف . فلو كانت دراسة الشيوعية تنحصر فى استيعاب ما هو وارد فى الكتب والكراريس والمؤلفات الشيوعية ، لأنتجنا بفائق السهولة شراحاً سطحيين شيوعيين او مدعين مغّرورين ، الامر الذى يسىء الينا فى غالب الأحيان ويلحق بنا الأذى ؛ لأن هؤلاء القوم ، الذين تعلموا وقرأوا ما فى الكتب والكراريس الشيوعية ، يظهرون عاجزين عن تنسيق جميع هذه المعارف ولا يستطيعون التصرف والعمل كما تقتضيه الشيوعية فعلا .

من أفدح الشرور ، ومن أسوأ المصائب التى خلفها لنا المجتمع الرأسمالى القديم ، القطيعة التامة بين الكتاب والحياة العملية اذ كانت لدينا كتب تعرض كل شىء على خير ما يرام ؛ والحال ، ان هذه الكتب لم تكن ، فى معظم الاوقات ، سوى رياء وكذب كريهين ، يعطيان صورة كاذبة عن المجتمع الرأسمالى .

ولهذا كان من فادح الخطأ الاقتصار على استيعاب ما هو وارد فى الكتب حول الشيوعية . فان خطاباتنا ومقالاتنا ليست ، اليوم ، مجرد تكرار لما كان يقال فيما مضى عن الشيوعية ، اذ ان خطاباتنا ومقالاتنا مرتبطة بعملنا اليومى ، بالعمل فى جميع الميادين . فبدون عمل ، بدون نضال ، ليس ثمة اطلاقا أية قيمة للمعرفة التى تستقى عن الشيوعية من الكتب والمؤلفات الشيوعية ، اذ انها ليست سوى استمرار للقطيعة السابقة بين النظرية والتطبيق

العملى ، هذه القطيعـــة التى هى اكره سمة بين سمات المجتمـــع البرجوازى القديم .

وقد يشتد الخطر أيضاً اذا أقتصرنا على استيعاب الشعارات الشيوعية فقط . فاذا لم ندرك هذا الخطر فى حينه ، واذا لم ترم جهودنا كلها الى اجتنابه ، فان وجود نصف مليون او مليون من الشبان والفتيات ، الذين سيسمون أنفسهم شيوعيين بعد دراسة كهذه للشيوعيـــة ، لن يؤدى الا الى الحاق ضرر كبير بقضيـــة الشيوعية .

واذ ذاك ، يوضع امامنـــا السؤال التالى : كيف ينبغى لنـــا اذن أن نوفق كل ذلك لكى نعلم الشيوعية ؟ ماذا ينبغى علينا أن نأخذه من المدرسة القديمة ، من العلم القديم ؟ لقد كانت المدرسة القديمة تعلن أنها تريد انشاء اناس مثقفين ثقافة شاملة ، وانها تدرس العلوم بوجه عام . بيد اننا نعرف ان ذلك كان مجرد كذب ، اذ أن المجتمع كله كان مبنيا وقائما على انقسام الناس الى طبقات ، الى مستثمرين ومظلومين مضطهدين . وكان طبيعيا الا تمنح المدرسة القديمة المعارف الا لأبناء البرجوازية ، لأنها كانت مفعمة تمامـــا بالروح الطبقى . وكل كلمة من كلماتها كانت مكيفة وفقا للمصالح البرجوازية . وفى هذه المدارس ، كانوا يهتمون ، لا بتربية الجيل الفتى من العمال والفلاحين بل باعداده فى مصلحة هذه البرجوازية نفسها . وكانوا يربونهم بصورة يجعلون منهم خدما للبرجوازية يستجيبون لمتطلباتها ، قادرين على تأمين الأرباح لها دون اقلاق راحتها وازعاج بطالتها . ولهذا ، نبذنا المدرسة القديمة ، ولكننا فى الوقت نفسه أخذنا على أنفسنا ألا تقتبس منها الا ما هو ضرورى لنا للتوصل الى تربية شيوعية حقيقية .

وهنا أصل الى تلك الملامات وتلك الاتهامات التى نسمعهـــا دائما بصدد المدرسة القديمة ، والتى تؤدى فى غالب الاحيان الى

تأويلات خاطئة اطلاقا . يقولون ان المدرسة القديمة لم تكن لتعرف غير الدراسة المضنية ، والترويض ، والحشو الآلى . هذا صحيح ، غير أنه ينبغى ان نعرف كيف نميز بين ما فى المدرسة القديمة من سيئ وبين ما فيها من صالح لنا ؛ ينبغى أن نعرف كيف نختار منها ما هو ضرورى للشيوعية .

لقد كانت المدرسة القديمة مدرسة لا تعرف غير الدراسة المضنية ، كانت تجبر التلاميذ على استيعاب طائفة من المعارف التى لا فائدة منها ولا غناء فيها ولا حياة وتحشى الرؤوس بها ، وتجعل من الجيل الفتى دواوينيين مصبوبين فى نفس القالب . بيد أنكم تقترفون خطأ جسيما اذا ما شئتم أن تستنتجوا من ذلك ان بالامكان أن يصبح المرء شيوعيا دون استيعاب المعارف التى كدسها العلم البشرى . ومن الخطأ التفكير بانه يكفى استيعاب الشعارات الشيوعية ، واستنتاجات العلم الشيوعى ، لكى نعفى من استيعاب مجمل المعارف التى الشيوعية نفسها هى حاصلها . ان الماركسية هى مثال على كيفية ظهور الشيوعية من مجمل المعارف التى اكتسبتها الانسانية .

ولقد قرأتم وسمعتم أن النظرية الشيوعية ، أن العلم الشيوعى ، الذى انشأه ماركس بصورة رئيسية ، ان مذهب الماركسية هذا ، لم يبق من صنع اشتراكى واحد من القرن التاسع عشر ، مهما أوتى من العبقرية ، انما غدا مذهب الملايين وعشرات الملايين من البروليتاريين فى العالم بأسره ، الذين يطبقون هذا المذهب فى نضالهم ضد الرأسمالية . ولو طرحتم السؤال التالى : لماذا استطاع مذهب ماركس أن يستولى على قلوب الملايين وعشرات الملايين فى صفوف الطبقة الاكثر ثورية ، لما استطعتم ان تسمعوا سوى جواب واحد : لقد كان الأمر كذلك لأن ماركس قد اعتمد على أساس مكين ، اساس من المعارف الانسانية المكتسبة فى ظل الرأسمالية . فقد

درس ماركس قوانين تطور المجتمع الانسانى ، فادرك ان تطور الرأسمالية يؤدى حتما الى الشيوعية ، والامر الاساسى هو أنه أثبت هذه الحقيقة فقط على اساس دراسة هذا المجتمع الرأسمالى الدراسة الاكثر دقة ، والاوفر تفصيلا ، والاشد عمقا ، بعد أن استوعب تماما كل ما أعطاه العلم السابق . وكل ما أنشاه المجتمع الانسانى ، درسه ماركس وانتقده ، دون ان يهمل منه نقطة واحدة . وكل ما ابدعه الفكر البشرى ، عالجه ماركس بروح النقد ، بعد ان خبره فى معمعان الحركة العمالية ، واستخلص منه استنتاجات لم يستطع ان يستخلصها الناس المحصورون فى النطاق البرجوازى أو المقيدون بالاوهام البرجوازية .

ينبغى لنا الا ننسى ذلك حين نتكلم ، مثلا ، عن الثقافة البروليتارية . فاذا لم نفهم بوضوح أن معرفة الثقافة التى أبدعها كل تطور الانسانية معرفة صحيحة ودراسة هذه الثقافة بصورة انتقادية هما وحدهما اللتان تتيحان بناء الثقافة البروليتارية ، اذا لم نفهم ذلك ، فاننا لن نتوصل الى حل هذه المسألة . ان الثقافة البروليتارية لم تنبثق من مكان مجهول ؛ ولم يخترعها الناس الذين يقولون عن انفسهم انهم اختصاصيون فى ميدان الثقافة البروليتارية . كل ذلك سخف وهراء . ينبغى أن تكون الثقافة البروليتارية التطور المنطقى لمجمل المعارف التى صاغتها الانسانية تحت نير المجتمع الرأسمالى ، ومجتمع الملاكين العقاريين ، والمجتمع الدواوينى . كل هذه الطرق والشعاب قادت وتقود وستظل تقود الى الثقافة البروليتارية ، تماما كما بين لنا الاقتصاد السياسى ، الذى وضعه ماركس من جديد ، ما لا بد أن يبلغه المجتمع الانسانى وكما بين لنا الانتقال الى النضال الطبقى ، الى بداية الثورة البروليتارية .

عندما نسمع ، فى كثير من الاحيان ، ممثلى الشباب وبعض المدافعين عن التعليم الجديد ، يهاجمون المدرسة القديمة ، قائلين أنها كانت مدرسة حشو آلى ، فاننا نقول لهم انه ينبغى لنا أن نأخذ عن المدرسة القديمة ما كان صالحا . ينبغى لنا الا نأخذ عن المدرسة القديمة اسلوب ارهاق ذاكرة الشباب بكمية من المعارف لا حد لها ، تسعة أعشارها لا تفيد والعشر الباقى مشوه . غير أن ذلك لا يعنى اننا نستطيع الاكتفاء بالاستنتاجات الشيوعية والشعارات الشيوعية المحفوظة غيباً . ما هكذا تنشأ الشيوعية . فلا يمكن للمرء أن يصبح شيوعياً الا بعد ما يغنى ذاكرته بمعرفة جميع الثروات الفكرية التى ابدعتها الانسانية .

لسنا بحاجة الى الحشو الآلى ، انما ينبغى لنا ان ننمى ونحسن ذاكرة كل تلميذ بمعرفة الوقائع الاساسية ، لان الشيوعية تمسى صفراً ، تمسى مجرد شعار خارجى ، لأن الشيوعى يمسى مجرد دعى سخيف ، اذا لم يتمثل وجدانه جميع المعارف التى اكتسبها كافة . هذه المعارف ، ينبغى لكم ألا تكتفوا بمجرد استيعابها ، ينبغى لكم ان تستوعبوها بفكر نقاد ، لكى لا تلبكوا دماغكم بخليط لا فائدة منه ، لكى تغنوا دماغكم بعلم جميع الوقائع التى لا يمكن للمرء بدون معرفتها أن يكون اليوم انساناً مثقفاً . ان الشيوعى الذى يدعى الشيوعية لأنه تعلم استنتاجات جاهزة ، دون أن يقوم بعمل كبير جدى كثيرا وصعب جدا ، دون أن ينظر بعين نافذة الى الوقائع التى يترتب عليه أن يتبصر بها بفكر ناقد نفاذ ، ان مثل هذا الشيوعى يدعوك للرثاء له . وليس ثمة ما هو اشأم من موقف سطحى كهذا الموقف . فاذا كنت أعرف أنى أعرف قليلا ، بذلت كل ما فى طاقتى لاعرف المزيد ، ولكن ، اذا زعم امروٌ يدعى انه شيوعى ، أنه ليس بحاجة لان يعرف أى شىء ثابت ، فانه لن يصبح أبدا ولو شبيها بالشيوعى .

كانت المدرسة القديمة تكون الخدم الضروريين للرأسماليين ، وكانت تجعل من رجال العلم أناسا ملزمين بأن يكتبوا ويتكلموا وفقا لأهواء الرأسماليين . وهذا يعنى أنه ينبغى لنا أن نتخلص من المدرسة القديمة . ولكن ، اذا كان ينبغى لنا أن نتخلص منها ، اذا كان ينبغى لنا أن نهدمها ، فهل هذا يعنى انه لا يترتب علينا أن نستخلص منها كل ما كدسته البشرية من ضرورى للناس ؟ هل هذا يعنى أنه لا يترتب علينا ان نعرف كيف نميز بين ما كان ضروريا للرأسمالية وما هو ضرورى للشيوعية ؟

فبدلا من الترويض الذى كان يطبق فيما مضى فى المجتمع البرجوازى خلافا لارادة الاغلبية ، ندخل الانضباط الواعى لدى العمال والفلاحين الذين يؤلفون بين حقدهم على المجتمع القديم وبين العزيمة والقدرة والارادة على توحيد قواهم وتنظيمها فى سبيل هذا النضال ، بغية تكوين ارادة موحدة واحدة من ارادة الملايين ومئات الملايين من المبعثرين ، المجزئين ، المشتتين فى اصقاع البلاد الشاسعة ، اذ اننا ، بدون هذه الارادة الموحدة الواحدة ، نمنى بالهزيمة حتما . وبدون هذا التكاتف والتضامن ، وبدون هذا الانضباط الواعى لدى العمال والفلاحين ، تكون قضيتنا فاشلة ؛ بدون ذلك ، لن نتمكن من التغلب على الرأسماليين والملاكين العقاريين فى العالم بأسره . بل اننا لن نتمكن من توطيد اسس المجتمع الجديد ، الشيوعى ، بل اننا لن نتمكن بالاحرى من بناء هذا المجتمع الجديد على هذه الاسس . وهكذا ، مع نبذنا المدرسة القديمة ، مع الحقد عليها حقدا مشروعا وضروريا تماما ، مع تقديرنا الرغبة فى هدمها ، ينبغى لنا ان ندرك انه ، بدلا من الدراسة المضنية القديمة ، بدلا من الحشو الآلى القديم ، بدلا من الترويض القديم ، يترتب علينا ان نتعلم كيف نتمثل كل حصيلة المعارف الانسانية ، وكيف نفعل ذلك بصورة لا تكون معها

الشيوعية ، عندكم ، شيئا محفوظا عن ظهر قلب ، بل شيئا فكرتم وتفكرون به بأنفسكم ، شيئا يمثل الاستنتاجات التى لا مناص منها من وجهة نظر التعليم الحديث .

وهكذا ينبغى وضع المهمات الاساسية عندما نتحدث عن مهمة : تعلم الشيوعية .

ولكى أوضح لكم هذه النقطة واتناول فى الوقت نفسه مسألة معرفة كيف ينبغى لنا أن نتعلم ، أورد مثلا عمليا . تعلمون جميعكم ان القضية الاقتصادية توضع امامنا ، بعد القضايا العسكرية فورا ، بعد القضايا المتعلقة بالدفاع عن الجمهورية . ونحن نعلم انه يستحيل بناء المجتمع الشيوعى دون بعث الصناعة والزراعة ، مع العلم اننا لا نقصد بعثهما بشكلهما القديم . انما ينبغى بعثهما على أساس حديث ، ينطبق على آخر منجزات العلم . وانتم تعلمون ان هذا الاساس ، انما هو الكهرباء ، ويوم تتم كهربة كل البلاد ، وجميع فروع الصناعة والزراعة ، ويوم تنجزون هذه المهمة ، يومذاك فقط تتمكنون من أن تبنوا لأنفسكم المجتمع الشيوعى الذى لا يستطيع الجيل السابق ان يبنيه . وامامكم توضع مهمة بعث اقتصاد البلاد بأسرها ، واعادة تنظيم الزراعة والصناعة والنهوض بهما على أساس تكنيكى حديث يرتكز بدوره على العلم والتكنيك الحديثين ، وعلى الكهرباء . وانتم تدركون كل الادراك أن الكهربة لن يحققها الأميون ، وانها تتطلب غير المعرفة الأولية . ولا يكفى هنا أن نفهم ما هى الكهرباء : ينبغى ان نعرف كيف نطبقها عمليا فى الصناعة والزراعة وفى مختلف فروعهما . كل ذلك ، ينبغى ان نتعلمه بانفسنا ، ينبغى ان نعلمه لكل الجيل الكادح الصاعد . تلك هى المهمة التى توضع أمام جميع الشيوعيين الواعين ، امام جميع الشبان الذين يعتبرون انفسهم شيوعيين والذين يدركون كل الادراك انهم ، بانضمامهم الى اتحاد الشبيبة الشيوعى ، يقطعون

عهدا على انفسهم بمساعدة الحزب فى بناء الشيوعية ، وبمساعدة كل الجيل الفتى فى خلق المجتمع الشيوعى . ينبغى عليهم أن يفهموا انهم لن يتمكنوا من انشاء هذا المجتمع الا على اساس الثقافة الحديثة فقط وان الشيوعية ستبقى مجرد أمنية اذا لم ياخذوا بناصية هذه الثقافة .

كانت مهمة الجيل السابق تنحصر فى اسقاط البرجوازية . وكانت المهمة الرئيسية حينذاك انتقاد البرجوازية ، وانماء شعور الحقد عليها بين الجماهير ، ومعرفة حشد قواها وتطوير الوعى الطبقى . أما الجيل الجديد ، فانه يواجه مهمة أكثر تعقيدا . ان واجبكم لا يقتصر على حشد كل قواكم فى سبيل دعم حكم العمال والفلاحين ضد غزو الرأسماليين . ذلك ما يترتب عليكم القيام به . وقد ادركتموه كل الادراك ، وكل شيوعى يدركه بوضوح . ولكن ذلك لا يكفى . عليكم أن تبنوا المجتمع الشيوعى . لقد تم النصف الأول من العمل ، فى كثير من النواحى . لقد هدم النظام القديم ، كما كان ينبغى هدمه ، وحول ، كما كان ينبغى تحويله ، الى ركام من الخراب . والتربة ممهدة ، وعلى هذه التربة ، ينبغى على الجيل الشيوعى الفتى أن يبنى المجتمع الشيوعى ، امامكم مهمة ، هى مهمة البناء . ولن تتمكنوا من القيام بها الا اذا استوعبتم كل المعارف الحديثة ، الا اذا استطعتم تحويل الشيوعية من صيغ ونصائح ، وتوصيات ، وتعليمات ، وبرامج ، جاهزة ومحفوظة غيبا ، الى هذا الشىء الحى الذى ينسق عملكم المباشر ، الا اذا استطعتم ان تجعلوا من الشيوعية مرشدا فى نشاطكم العملى .

تلك هى مهمتكم ، المهمة التى يترتب عليكم ان تستلهموها من اجل تعليم وتربية كل الجيل الفتى ، وحفز تقدمه . وعليكم ان تكونوا أوائل بناة المجتمع الشيوعى بين هؤلاء الملايين من البناة الذين ينبغى أن يكون منهم كل شاب وكل فتاة . واذا لم تجتذبوا

الى عمل بناء الشيوعية كل الشباب العمال والفلاحين ، فانكم لن تبنوا المجتمع الشيوعى .

وهنا ، أصل بطبيعة الحال الى مسألة معرفة كيف ينبغى لنا ان نعلم الشيوعية وأى طابع ينبغى ان تتخذه اساليبنا .

قبل كل شيء اتناول هنا مسألة الاخلاق الشيوعية .

ينبغى عليكم ان تربوا أنفسكم تربية شيوعية . المهمة الموضوعة امام اتحاد الشبيبة ، هى ان يمارس نشاطه العملى بحيث أن هذه الشبيبة ، وهى تتعلم ، وتنتظم ، وتحتشد ، وتناضل ، تربى نفسها وجميع الذين يعترفون بها كمرشدة ، لكى تربى شيوعيين . ينبغى أن يرمى كل عمل تثقيف الشبيبة الحالية وتعليمها وتربيتها الى انماء الاخلاق الشيوعية عندها .

ولكن ، هل ثمة اخلاق شيوعية ؟ هل ثمة سلوك شيوعى ؟ أجل ، بكل تأكيد . وغالبا ما يزعم أن ليس لدينا أخلاق خاصة بنا ، وفى معظم الأحيان تتهمنا البرجوازية ، باننا ، نحن الشيوعيين ، ننكر كل اخلاق . وتلك طريقة لتشويه الافكار ، لذر الرماد فى عيون العمال والفلاحين .

باى معنى ننكر الاخلاق وننكر السلوك ؟

بالمعنى الذى تبشر به البرجوازية ، التى كانت تشتق هذه الأخلاق من وصايا الله . وبهذا الصدد ، نقول ، بالطبع ، اننا لا نؤمن بالله ، ونعرف جيدا جدا أن رجال الدين والملاكين العقاريين والبرجوازية كانوا يتكلمون باسم الله لكى يؤمنوا مصالحهم كمستثمرين . كذلك كانوا لا يشتقون هذه الاخلاق من قواعد السلوك ومن وصايا الله ، وانما كانوا يستخلصونها أيضا من جمل مثالية او نصف مثالية ، تعنى دائما شيئا يشبه كثير الشبه وصايا الله .

أن كل اخلاق من هذا النوع ، مستقاة من مفاهيم مفصولة

عن الانسانية ، مفصولة عن الطبقات ، ان كل أخلاق كهذه ننفيها وتنكرها . ونقول انها تخدع العمال والفلاحين وتغشهم ، وتحشو ادمغتهم حشوا ، وذلك فى صالح الملاكين العقاريين والرأسماليين .

اننا نقول ان أخلاقنا خاضعة تماما لمصالح نضال البروليتاريا الطبقى . ان أخلاقنا تنبثق من مصالح نضال البروليتاريا الطبقى .

لقد كان المجتمع القديم قائما على اضطهاد جميع العمال وجميع الفلاحين من جانب الملاكين العقاريين والرأسماليين . كان علينا أن نهدم كل ذلك ، أن نسقط هؤلاء ؛ ولكن كان ينبغى تحقيق الاتحاد لأجل هذا الغرض . ولم يكن الله هو الذى سيحقق هذا الاتحاد .

ان هذا الاتحاد لم يكن من الممكن ان يأتى الا من المصانع والمعامل ، الا من بروليتاريا متعلمة ، أستيقظت من سباتها الطويل ، وفقط عندما تشكلت هذه الطبقة ، بدأت الحركة الجماهيرية التى ادت الى ما نراه اليوم ، الى انتصار الثورة البروليتارية فى بلد من اضعف البلدان ، فى بلد يدافع عن نفسه منذ ثلاث سنوات ضد هجوم برجوازية العالم بأسره . وها نحن نرى الثورة البروليتارية تنمو وتتعاظم فى العالم بأسره . ونقول اليوم ، بالاستناد الى تجربتنا ، ان البروليتاريا وحدها كانت تستطيع أن تنشئ قوة متجانسة تجتذب وراءها الفلاحين المبعثرين المتشتتين ، قوة صمدت بوجه جميع هجمات المستثمرين . هذه الطبقة وحدها تستطيع ان تساعد الجماهير الكادحة فى توحيد صفوفها وحشدها ، فى صيانة المجتمع الشيوعى نهائيا ، فى ترسيخه نهائيا ، فى بنائه نهائيا .

ولهذا نقول : ليس ثمة اخلاق بنظرنا خارج نطاق المجتمع الانسانى ، والقول بوجودها خارج هذا المجتمع خداع وتضليل . فالأخلاق ، بنظرنا ، خاضعة لمصالح نضال البروليتاريا الطبقى .

ولكن ما هو قـــوام هذا النضال الطبقى ؟ قوامه اسقـــاط القيصر ، واسقاط الرأسماليين ، ومحو طبقة الرأسماليين .

وما هى الطبقات بوجه عام ؟ انها ما يتيح لقسم من المجتمع ان يستأثر بعمل الآخرين . فاذا استأثر قسم من المجتمع بكل الأرض ، كانت طبقـــة الملاكين العقاريين وطبقة الفلاحين . وأذا امتلك قسم من المجتمع المصانع والمعامل ، والأسهم والرساميل ، بينما القسم الآخر يشتغل فى هذه المصانع ، كانت طبقة الرأسماليين وطبقة البروليتاريين .

ان طرد القيصر لم يكن صعبا ، ــ فقد كفت بضعة أيـــام . ولم يصعب صعوبة طرد الملاكين العقاريين ــ فقد استطعنـــا تحقيق ذلك فى بضعـــة أشهر ، كذلك ليس من الصعب صعوبـــة طرد الرأسماليين ، ولكنه من الأصعب الى ما لا حد له محو الطبقات ، فان الانقسام الى عمال وفلاحين ما يزال قائما . فاذا أقام الفلاح على قطعة من الأرض واستأثر بفائض حبوبه ، أى الحبوب التى لا يحتاج اليهـــا ، لا لنفسه ، ولا لماشيته ، فى حين يظل جميع الآخرين بلا حبوب ، فان هذا الفلاح يستحيل اذ ذاك الى مستثمر . وكلمـــا احتفظ بحبوبه أكثر ، كلما رأى فى ذلك فائدة أكبر ، ولا بأس أن يجوع الآخرون : «كلما جاعوا ، بعت حبوبى بسعر اغلى» . ينبغى ان يشتغل الجميع وفقا لبرنامج مشترك على أرض مشتركة ، وفى المصانع والمعامل المشتركة ، ووفقا لنظام مشترك . فهل من السهل تحقيق ذلك ؟ انكـــم ترون أن الحل هذه المرة أصعب مما كان عليه حين كان يتعلق الامر بطرد القيصر والملاكين العقاريين والرأسماليين . فهذه المرة ، ينبغى أن تعيد البروليتاريا تربية وتعليم قسم من الفلاحين وأن تجتذب اليها الذين هم فلاحون كادحون ، لكى تسحق مقاومة الفلاحين الاغنياء الذين يثرون من بؤس الآخرين . ولذا فان الهدف من نضال البروليتاريا لما يتحقق

لكوننا أسقطنا القيصر ، وطردنا الملاكين العقاريين والرأسماليين : والحال ، ان انجاز هذا النضال ، انمـــا هو بالضبط مهمة النظام الذى نسميه ديكتاتورية البروليتاريا .

ان النضال الطبقى لا يزال مستمرا ؛ ولم يتغير الا شكلـــه . فالبروليتاريا تخوض هذا النضال الطبقى لكى تحول دون عودة المستثمرين السابقين ، ولكى توحد فى حلف واحد جماهير الفلاحين المبعثرين الجاهلين ، ان النضال الطبقى لا يزال مستمرا ، وواجبنا أن نخضع جميع المصالح لهذا النضال . ولهذه المهمة نخضـــع كل اخلاقنا الشيوعية . ونحن نقول : الاخلاق هى ما يتيح هدم مجتمع المستثمرين القديم وتوحيد جميع الشغيلة حول البروليتاريا التى تنشئ المجتمع الجديد ، الشيوعى .

ان الاخلاق الشيوعية ، انمـــا هى الاخلاق التى تخدم هذا النضال ، وتوحد الشغيلة ضد كل استثمار ، ضد كل ملكية صغيرة ، لان الملكية الصغيرة تضع فى يدى فرد واحد ما أبدعه عمل المجتمع بأسره . ان الارض ، عندنا ، ملكية مشتركة .

ولكن اذا أخذت قسمـــا من هذه الملكية المشتركة ، واذا انتجت منها كمية من الحبوب تزيد الضعفين عما هو ضرورى لى ، واذا ضاربت بفائض هذه الحبوب ؟ واذا قلت فى نفسى أن كلما ازداد عدد الجياع ، ارتفعت الأسعار التى تدفع لى ؟ فهل أتصرف على هذا النحو كشيوعى ؟ كلا ، انى أتصرف كمستثمر ، كمالك . ينبغى أن نناضل ضد هذا . فاذا تركت الامور على حالها ، فكل شىء يسير الى وراء ، نحو حكم الرأسماليين ، نحو حكم البرجوازية ، كما تبين مرارا عديدة فى الثورات الماضية . ولأجل الحؤول دون عودة حكم الرأسماليين والبرجوازية ، ينبغى الحؤول دون المضاربة ، ينبغى الحؤول دون اثـــراء البعض على حساب الآخرين ، ولهذا الغرض ، ينبغى أن يتحد جميع الشغيلة مع البروليتاريا ويكونوا

المجتمع الشيوعى . ذلك هو الطابع الخاص ، الأساسى ، لما يشكل المهمة الأساسية الموضوعة أمام اتحاد الشبيبة الشيوعى وتنظيمه .

كان المجتمع القديم قائما على المبدأ التالى : امـــا ان تنهب قريبك ، واما أن ينهبكَ قريبك ؛ اما أن تشتغل فى صالح آخر ، واما أن يشتغل هو فى صالحك ، اما أن تكون مالك عبيد ، واما أن تكون أنت عبدا . ومفهوم ان يرضع الناس الذين تربوا فى هذا المجتمع ، مع حليب أمهاتهم ، اذا جاز القول ، نفسية وعادات ومفاهيم مالك العبيد أو العبد ، أو الملاك الصغير ، أو المستخدم الصغير ، أو الموظف الصغير ، أو المثقف ، وبكلمة موجزة ، انسان لا يفكر الا بامتلاك ما هو ضرورى له ، ولا يبالى بمصير الآخرين .

اذا كنت استثمر قطعة أرضى ، فليس لى أن أهتم بالآخرين واذا جاع الآخر كان ذلك افضل : فانى سأبيع حبوبى بسعر أغلى . واذا كان لى منصب صغير كطبيب أو مهندس أو معلم أو مستخدم ، فما همنى من الغير . وربما تملقت المتسلطين على زمام الحكـــم ، وسعيت الى ارضائهـــم ، فاحافظ على منصبى ، بل قد انجح فى شق طريقى ، واصبح انا نفسى برجوازيا . ان مثل هذه النفسية ، مثل هذه الحالة الفكرية ليستا من صفات الشيوعى . فعندما أثبت العمال والفلاحون اننا قادرون ، بقوانا الخاصة ، على أن ندافع عن أنفسنا وأن ننشئ مجتمعا جديدا ، حينذاك بدأت تربية جديدة ، شيوعية ، تربية تمت فى غمرة النضال ضد المستثمرين ، تربية بالتحالف مع البروليتاريا ، ضد الانانيين وصغار الملاكين ، ضد النفسية والعادات التى تحمل المرء على القول : انى أسعى وراء فائدتى أنا ، والباقى لا يهمنى أبدا .

ذلك هو الجواب على مسألة معرفة كيف ينبغى على الجيل الفتى الصاعد أن يتعلم الشيوعية .

ان الجيل الصاعد لا يستطيع أن يتعلم الشيوعية الا اذا ربط

كل خطوة يخطوها فى دراسته وتربيته وتعليمه ، بالنضال الدائب الذى يخوضه البروليتاريون والشغيلـــة ضد مجتمع المستثمرين القديم . وعندما يحدثوننا عن الأخلاق ، نقول : ان الأخلاق ، بنظر الشيوعى ، تقوم كلها فى هذا الانضباط والتضامن والتراص وفى هذا النضال الواعى الذى تخوضه الجماهير ضد المستثمرين . اننا لا نؤمن بالأخلاق الأبدية ، واننا نفضح جميـــع القصص والحكايات الكاذبة الملفقة حول الأخلاق . أن الأخلاق تتيح للمجتمع الانسانى أن يرتفع الى أعلى ، أن يتحرر من استثمار العمل .

ولأجل بلـــوغ هذا الهدف ، ينبغى أن يكون هذا الجيل من الشبان الذين اخذوا يتحولون الى رجال واعين ، فى جو من النضال النظامى ، الضارى ، ضد البرجوازيـــة . وفى معمعان هذا النضال سيربى هذا الجيل شيوعيين حقيقيين ؛ ولهذا النضال وبه ينبغى على هذا الجيل أن يخضع ويربط كل خطوة يخطوها فى دراسته وتربيته وتعليمه . ان تربية الشبيبة الشيوعية لا تعنى التكرم عليها بالخطب المعسولة وبقواعد الاخلاق . فليس هذا قوام التربية . فان الذين رأوا آباءهم وامهاتهم يقضون حياتهم تحت نير الملاكين العقاريين والرأسماليين ؛ والذين تحملـــوا قسطهم من الآلام التى عاناها أولئك الذين بدأوا المعركة ضد المستثمرين ؛ والذين رأوا أى تضحيات تقتضيها مواصلة هذا النضال دفاعا عن المكتسبات ، وأى أعداء الداء ضراة هم الملاكون العقاريون والرأسماليون ، ـ ان هؤلاء هم الذين يتربون ، فى هذه الأحوال ، تربية شيوعية . ان ما يقوم فى أساس الأخلاق الشيوعية ، هو النضال فى سبيل ترسيخ الشيوعية ، وانجاز بنائها . ذلك هو أيضا أساس التربية الشيوعية والتثقيف الشيوعى والتعليم الشيوعى . ذلك هو الجواب على مسألة معرفة كيف ينبغى أن نتعلم الشيوعية .

اننا لن نؤمن بالتعليـــم والتثقيف والتربية اذا انحصرت فى

المدارس وانفصلت عن الحيـــاة المتدفقـــة . وما دام الملاكون العقاريون والرأسماليون يضطهدون العمال والفلاحين ، وما دامت المدارس فى أيدى هـــؤلاء الملاكين والرأسماليين ، فلسوف يبقى الجيل الفتى أعمى وجاهلا . والحـــال ، ينبغى لمدرستنا نحن أن تعطى الشباب أسس المعرفة ، وأن تعلمهم كيف يكونون بأنفسهم عقلية شيوعية ، ينبغى لها ان تجعل منهم اناسا متعلمين . ينبغى لها ، خلال مدة دراستهم ، أن تجعل منهم مشتركين فى النضال لاجل التحرر من المستثمرين . ان اتحاد الشبيبـــة الشيوعى لن يكون جديرا بهذا الاسم ، لن يكون حقا اتحاد الجيل الشيوعى الفتى ، الا متى ربط كل خطوة يخطوها فى دراسته وتربيته وتعليمه ، بالنضال المشترك الذى يخوضه جميع الشغيلة ضد المستثمرين . وبالفعل ، انتم تعرفون جيدا انه ما دامت روسيا هى الجمهورية العمالية الوحيدة ، وما دام النظام البرجوازى القديم قائما فى باقى العالم ، فاننا سنظل أضعف منهم ، وسنظل مهددين فى كل لحظة بهجوم جديد ، واننا لن ننتصر فى النضال اللاحق ولن ترسخ بالتالى اقدامنا ومواقعنا ، فيستحيل فعلا قهرنا الا اذا تعلمنا كيف نتحد وكيف نعمل بقلب واحد . وهكذا ، ان يكون المرء شيوعيا ، فهذا يعنى تنظيـــم وتوحيد كل الجيل الصاعد ، هذا يعنى اعطاء المثال على التربية والروح النظامى فى هذا النضال ، واذ ذاك تستطيعون أن تباشروا وتتمموا بناء صرح المجتمع الشيوعى .

ولكى أنيركم حول هذه النقطة ، أورد مثلا . اننا نسمى انفسنا شيوعيين . فمن هـو الشيوعى ؟ ان كلمة شيوعى communiste ـ آتية من اللاتينية (communis ، كومونيس ـ **المعرب**) . وكلمة كومونيس تعنى مشتركا . والمجتمع الشيوعى ، يعنى : كل شىء مشترك ـ الأرض مشتركة ، والمعامل مشتركة ، والعمل مشترك . تلك هى الشيوعية .

فهل يمكن أن يكون ثمة عمل مشترك اذا كان كل امرئ يستثمر قطعة أرض لحسابه الخاص ؟ ان العمل المشترك لا ينشأ دفعة واحدة . هذا غير ممكن . ولا يهبط من السماء . انما ينبغى اكتسابه ، انه ثمرة آلام طويلة . ينبغى انشاؤه . وهو ينشأ فى غمرة النضال . فالمسألة لا تنحصر الآن فى الكتابات القديمة ، فليس ثمة من يصدق هذه الكتابات . تنبغى التجربة الشخصية فى الحياة . عندما كان كولتشاك ودينيكين يتقدمان ، قادمين من سيبيريا والجنوب ، كان الفلاحون الى جانبهما . ولم تكن البلشفية لترضيهم ، لأن البلاشفة كانوا يأخذون الحبوب بأسعار ثابتة . ولكن ، عندما عانى الفلاحون فى سيبيريا وأوكرانيا حكم كولتشاك ودينيكين ، أدركوا أنه لا اختيار عندهم : فاما السير وراء الرأسمالى الذى يسلمهم الى عبودية الملاك العقارى ، واما السير وراء العامل الذى لا يعد ، حقا ، بالمن والسلوى ، والذى يتطلب منهم الثبات والانضباط الحديدى فى معركة قاسية ، ولكنه يحررهم من عبودية الرأسماليين والملاكين العقاريين . بل حين ادرك الفلاحون الجهلة أنفسهم هذه الحقيقة وتثبتوا منها بتجربتهم الخاصة ، اصبحوا من انصار الشيوعية الواعين الذين اجتازوا مدرسة صعبة . هذه التجربة ، ينبغى على اتحاد الشبيبة الشيوعى أن يضعها فى أساس كل نشاطه .

لقد أجبت على مسألة معرفة ما يترتب علينا ان نتعلمه وما ينبغى لنا أن نأخذه من المدرسة القديمة والعلم القديم ، وسأحاول أن أجيب أيضاً على مسألة معرفة كيف ينبغى أن نتعلم كل هذه الأمور : لن نتعلمها الا اذا ربطنا بصورة لا تنفصم عراها كل خطوة من العمل فى المدرسة ، وكل خطوة من التربية والتعليم والدراسة ، بنضال جميع الشغيلة ضد المستثمرين .

ببعض الامثلة المستقاة من تجربة عمل هذه المنظمة أو

تلك من منظمات الشباب ، سأبين لكم بوضوح كيف ينبغى ان تجرى هذه التربية الشيوعية . جميع الناس يتحدثون عن تصفية الأمية . وأنتم تعلمون أنه يستحيل بناء مجتمع شيوعى فى بلد من الاميين ، فلا يكفى ان تامر سلطة السوفييت ، أو أن يلقى الحزب شعاراً معيناً ، أو ان نعبئ لهذه المهمة قسما من خيرة مناضلينا . لهذا الغرض ، ينبغى على الجيل الفتى نفسه ان يشرع فى تنفيذ هذه المهمة . ان الشيوعية تقوم فى كون الشبان والفتيات المنتسبين الى اتحاد الشبيبة يعلنون : ان هذه قضيتنا ، وسنضم صفوفنا ونمضى الى القرى لتصفية الامية ، لكى لا يبقى فى صفوف جيلنا الصاعد أميون . ونحن نسعى لكى تنصب مبادرة الجيل الناشئ على هذه المهمة . وانتم تعلمون انه يستحيل تحويل روسيا الجاهلة الامية بسرعة الى بلد متعلم ؛ ولكن ، اذا أخذ اتحاد الشبيبة هذه المهمة على عاتقه ، واذا عملت الشبيبة كلها فى صالح الجميع ، فان هذا الاتحاد ، الذى يضم ٤٠٠٠٠٠ من الشبان والفتيات ، سيحق له ان يتسمى اتحاد الشبيبة الشيوعى . وعلى الاتحاد أيضاً ، مع استيعابه هذه المعارف أو تلك ، أن يساعد الشبان الذين لا يستطيعون تحرير انفسهم بانفسهم من ظلمات الامية ؛ وان يكون المرء عضواً فى اتحاد الشبيبة ، يعنى انه يترتب عليه أن يضع عمله وطاقته فى خدمة القضية المشتركة . فى هذا تنحصر التربية الشيوعية . فبالعمل على هذا النحو فقط ، يصبح الشاب أو الفتاة شيوعيين حقيقيين . ولا يصبحان شيوعيين الا اذا حصلا بعملهما هذا على نتائج عملية .

خذوا ، مثلاً ، العمل فى بساتين الخضراوات قرب المدن . أوليست هذه مهمة ؟ انها من مهمات اتحاد الشبيبة الشيوعى . فالناس جياع والمجاعة سائدة فى المعامل والمصانع . فلكى نتخلص من المجاعة ، ينبغى تطوير زراعة الخضراوات ؛ ولكن الزراعة

ما تزال تتبع الأساليب القديمة . ينبغى اذن ان تنكب على هذا العمل العناصر الأكثر وعياً . وحينذاك ترون أن بساتين الخضراوات تتكاثر ومساحتها تزداد ، والنتائج تتحسن . ينبغى على اتحاد الشبيبة الشيوعى أن يشترك اشتراكاً نشيطاً فى هذا العمل . ينبغى على كل منظمة أو كل خلية فى الاتحاد أن تعتبر هذه المهمة مهمتها الخاصة .

ينبغى على اتحاد الشبيبة الشيوعية أن يكون فصيلة الصدام التى تقدم مساعدتها فى كل عمل وتعطى الدليل على روح المبادرة والمبادهة . ينبغى على الاتحاد أن يسلك سلوكاً يستطيع معه كل عامل أن يرى فى اعضاء الاتحاد قوماً قد لا يفهم مذهبهم ، قوماً قد لا يؤمن فوراً بمذهبهم ، ولكن عملهم الحى ونشاطهم يقنعانه بأنهم فعلاً هم الذين يبينون له السبيل القويم .

فاذا لم يتوصل اتحاد الشبيبة الشيوعى الى تنظيم نشاطه على هذا النحو فى جميع الميادين ، فهذا يعنى انه يسلك السبيل القديم ، السبيل البرجوازى . ينبغى لنا أن نربط تربيتنا بنضال الشغيلة ضد المستثمرين ، لكى نساعد الشغيلة فى انجاز المهمات الناجمة عن المذهب الشيوعى .

ينبغى على أعضاء الاتحاد ان يكرسوا كل ساعة من أوقات فراغهم لتحسين الزراعة فى بساتين الخضراوات أو فى تنظيم تعليم الشبان فى مصنع ما أو معمل ما الخ . . اننا نريد أن نجعل من روسيا الفقيرة البائسة بلاداً غنية . ولذا ينبغى أن يربط اتحاد الشبيبة الشيوعى تعلمه ودراسته وتربيته بعمل العمال والفلاحين ، والا ينحصر فى مدارسه وألا يقتصر على قراءة الكتب والكراريس الشيوعية . فبالعمل فقط بصورة مشتركة مع العمال والفلاحين ، يستطيع المرء أن يصبح شيوعيا حقيقيا . وينبغى أن يرى جميع الناس أن المنتسبين الى اتحاد الشبيبة متعلمون وأنهم يعرفون فى الوقت نفسه كيف يشتغلون . وعندما يرى الجميع اننا نبذنا من

المدرسة القديمة أساليب الترويض القديمة واننا استعضنا عنها بروح نظامى واع ، وأن جميـــع شبابنـــا يشتركون فى السبوت الشيوعية* وانهم يستخدمون كل مزرعة قرب المدن لكى يساعدوا السكان ، فان الناس سيقفون من العمل موقفا يختلف كل الاختلاف عن موقفهم السابق .

على اتحاد الشبيبة الشيوعى ان ينظم فى القريـة أو فى الحى المساعدة الضرورية ـ واضرب مثلا صغيرا ـ لتامين النظافـــة أو لتوزيع الماكولات . ولكن ، كيف كان يتم ذلك فى المجتمع الرأسمالى القديم ؟ كان كل امرئ لا يشتغل الا لنفسه ، ولم يكن أحد ليهتم بمعرفة ما اذا كان ثمة شيوخ أو مرضى ، أو ما اذا كانت جميع الشؤون المنزلية تقع على كاهل المرأة التى كانت ، لهذا السبب ، مرهقة ومستعبدة . فمن يترتب عليه ان يناضل ضد هذا ؟ اتحاد الشبيبة . ينبغى عليه أن يقول : سنغير كل هذا ، وسننظم فصائل من الشبان تساعد فى تامين النظافة أو فى توزيع الماكولات ، وتزور البيوت بانتظـــام ، وتعمل بصورة منظمة فى خير المجتمع كله ، موزعة القوى توزيعاً سديداً ومبينة أنه ينبغى أن يكون العمل عملاً منظما .

ان الجيل الذى بلغ ممثلوه اليوم مـــا يقرب من الخمسين من العمر لا يستطيع أن يأمل فى رؤية المجتمع الشيوعى . فان هذا الجيل سينقرض قبل أن يأتى هذا المجتمع . أما الجيل الذى يبلغ اليوم الخامسة عشرة من العمر ، فسيرى المجتمع الشيوعى وسيعمل بنفسه فى بنائه . ولذا ينبغى عليه أن يعرف أن كل هدف حياته هو بناء هذا المجتمع . ففى المجتمع القديم كان العمل تقوم بـه العائلات ، كل عائلة منعزلة منفردة عن الاخرى ، ولم يكن ثمة من ينسق هذا العمل الا الملاكون العقاريون والرأسماليون ، الذين كانوا

* العمل المجانى الطوعى . **المعرب** .

يضطهدون سواد الشعب . أما نحن ، فينبغى علينا ان ننظم كل عمل ، مهما كان قذراً وصعباً ، بصورة يستطيع معها كل عامل وكل فلاح ان يقول فى نفسه : انى عضو فى هذا الجيش الكبير ، جيش العمل الحر ، وسأستطيع ان أنظم حياتى بنفسى دون الملاكين العقاريين والرأسماليين ، وسأستطيـــع ان أقيم النظـام الشيوعى . ينبغى على اتحاد الشبيبة الشيوعى أن يثقف الجميع ، منذ الصبى ، بروح العمل الواعى النظامى . وهكذا نستطيـــع ان نأمل انجاز المهمات الموضوعة الآن أمامنا . ينبغى أن نحسب أنـــه يجب أن تنقضى عشر سنوات على الاقل لكى تتم كهربة البلاد ، ولكى تتمكن أرضنا التى افتقرت ، من الاستفادة من آخر منجزات التكنيك . والحال ، ينبغى على الجيل الذى يبلغ اليوم الخامسة عشرة من العمر والذى سيعيش فى المجتمع الشيوعى بعد عشر أو عشرين سنة ان ينظم دراسته بصورة تستطيع معها الشبيبة فى كل يوم ، فى كل مدينة وفى كل قرية ، أن تقوم عمليا بهذه المهمة أو تلك من العمل المشترك ، مهما كانت هذه المهمة ضئيلة وبسيطة . وبقدر ما يجرى ذلك فى جميع القرى وتتطور المباراة الشيوعية ، وتبرهن الشبيبة على أنها تعرف كيف تنسق عملها ، بقدر مـــا يتأمن نجاح البناء الشيوعى . ولن يستطيع اتحاد الشبيبة الشيوعى أن يحشد نصف المليون من أعضائه فى جيش واحد للعمل ، ويكسب احترام الجميع ، الا اذا رأينا الى كل عمل من اعمالنا من حيث نجاح هذا البناء ، الا اذا تساءلنا فيما اذا كنا بذلنا كل ما فى وسعنا لكى نكون شغيلة متحدين واعين . **(عاصفة من التصفيق)** .

«البرافدا» ، الاعداد ٢٢١ و٢٢٢ و٢٢٣ ؛ ٥ و٦ و٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٠

المجلد ٤١ ، ص ص ٢٩٨ـ ٣١٨

عن الثقافة البروليتارية

(مقتطف)

مشروع قرار :

١ . فى جمهورية العمال والفلاحين السوفييتيـــة ، ينبغى ان يكون تنظيم شؤون التعليم ، سواء أمن الناحية السياسيـــــة التثقيفية على العموم ام من ناحية الفن على الخصوص ، مفعما كله بروح نضال البروليتاريا الطبقى من اجـــل تحقيـــق اهداف ديكتاتوريتها بنجاح ، اى من اجل اسقاط البرجوازية ، من اجل القضاء على الطبقات ، من اجل ازالة كل استثمار للانسان من قبل الانسان .

٢ . لهذا ينبغى على البروليتاريا ، سواء أفى شخص طليعتها الحزب الشيوعى ام فى شخص مجمل المنظمات البروليتارية على العموم ايا كانت ، ان تشترك انشط الاشتراك واكبره واهمه فى قضية تثقيف الشعب كلها .

٣ . ان كل تجربة التاريخ الحديث ولا سيمـــا نضـــال البروليتاريا الثورى فى جميع بلدان العالم خلال اكثر من نصف قرن منذ ظهور «البيان الشيوعى» قد اثبتا بما لا يقبل الجـــدل ان مفهوم الماركسية عن العالم هو وحده التعبير الصحيح عن مصالح البروليتاريا الثورية وثقافتها ووجهة نظرها .

٤ . لقد اكتسبت الماركسية اهميتها التاريخية العالميـــة بوصفها ايديولوجية البروليتاريا الثورية لان الماركسية لـــم

تطرح جانبا على الاطلاق اثمن مكتسبات العهد البرجوازى ، بل بالعكس ، استوعبت وكيفت كل ما كان ذا قيمة فى تطور الفكر البشرى والثقافة البشرية خلال اكثر من الفى سنة . وان العمل اللاحق على هذا الاساس وفى هذا الاتجاه بالذات ، العمل الذى يستوحى التجربة العملية لديكتاتورية البروليتاريا بوصفها نضال البروليتاريا الاخير ضد كل استثمار ، هو وحده الذى يمكن اعتباره تطويرا للثقافة البروليتارية فعلا .

٥ . ان مؤتمر «بروليتكولت» لعامة روسيا يتمسك بثبات بوجهة النظر المبدئية هذه ، ويرفض باحزم وجه جميع المحاولات الرامية الى تلفيق ثقافة خاصة متميزة ، والانطواء فى منظمات خاصة منعزلة ، واقامة الحواجز بين ميدان عمل مفوضية الشعب للتعليم وميدان عمل «بروليتكولت» او اقرار «الاستقلال الذاتى» «لبروليتكولت» داخل مؤسسات مفوضية الشعب للتعليم ، وخلاف ذلك ، لاعتباره هذه المحاولات خاطئة نظريا وضارة عمليا . وعلى العكس ، يلزم المؤتمر قطعا جميع منظمات «بروليتكولت» بان تعتبر نفسها كليا هيئات معاونة فى شبكة مؤسسات مفوضية الشعب للتعليم وان تنفذ مهامها ، بوصفها قسما من مهام ديكتاتورية البروليتاريا ، تحت قيادة عامة من قبل السلطة السوفييتية (وخصوصا مفوضية الشعب للتعليم) والحزب الشيوعى الروسى .

كتب فى ٨ تشرين الاول
(اكتوبر) ١٩٢٠

المجلد ٤١ ،
ص‌ص ٣٣٦ ـ ٣٣٧

كلمة فى اجتماع عامة روسيا لهيئات التثقيف السيـــاسى فى اقسام التعليم العام بالمحافظات والاقضية ٣ تشرين الثـــانى (نوفمبر) ١٩٢٠

ايها الرفاق ، اسمحوا لى بان اشاطركـــم بعض الافكار التى لمستها جزئيا اللجنة المركزية للحزب الشيوعى ومجلس مفوضى الشعب حول تنظيم الادارة المركزية للتثقيف السياسى وخطرت جزئيا فى بالى بصدد ذلك المشروع الذى طُرح على بساط البحث فى مجلس مفوضى الشعب . وامس ، اتخذ هذا المشروع كاساس ، ثم سيصار الى بحثه بالتفصيل (٣٣) .

وانى لاسمح لنفسى بان اشير فقط الى انى وقفت فى البـــدء موقفا سلبيا للغاية من تغيير اسم مؤسستكم . فبرأيى ان مهمة مفوضية الشعب للتعليم انما هى مساعدة الناس على التعلم وتعليم الغير . وقد اعتدت فى زمن خبرتى السوفييتية ان اقف من مختلف التسميات وقوفى من المزحات الصبيانية لأن كل تسمية هى ضرب من مزحة . والآن تمت المصادقة على تسمية جديـــدة : الادارة المركزية للتثقيف السياسى .

وبما ان هذه المسألة قد حلت ، فلا تعتبروا ملاحظتى اكثر من ملاحظة شخصية . واذا لم يقتصر الامر على مجرد تغيير اللقب ، فلا يبقى غير الترحيب بهذا .

اذا افلحنا فى اجتذاب شغيلة جدد لأجل العمل التثقيفـــى والتعليمى ، فان القضية لن تقتصر آنذاك على التسمية الجديدة ،

وآنذاك سيصبح من الممكن التساهل بالولع «السوفييتى» فى لصق النعوت على كل قضية جديدة وكل مؤسسة جديـــدة . واذا توفقنا ، توصلنا الى شىء ما يزيد عما توصلنا اليه حتى الآن .

ان أهم ما ينبغى ان يحمل الرفاق على الاشتراك معنا فى العمل التثقيفى والتعليمى هو مسألة ربط التعليم بسياستنا . فى وسع التسمية ان تقصد شيئا ما اذا اقتضى الامر ، لأننا لا نستطيع ان ناخذ فى عموم النهج المتعلق بعملنا التعليمى بوجهة النظر القديمة القائلة بلاسياسية التعليم ، لا نستطيع ان نضع العمل التعليمى فى معزل عن السياسة .

هذه الفكرة كانت تهيمـــن ولا تزال تهيمـن فى المجتمـــع البرجوازى . ان تعبير «لاسياسية» التعليم انمـــا هو نفاق بوجوازى ، وهو ليس غير خداع للجماهير التى تستذل سيطرة الكنيسة والملكية الخاصة وخلافهما ٩٩ بالمئة منها . والى هذا الخداع بالذات للجماهير ، تنصرف البرجوازية السائدة فى جميـــع البلدان التى لا تزال بعد برجوازية .

وبقدر ما تتعاظم اهمية الجهاز هناك ، بقدر ما تقل حريته حيال الرأسمال وسياسته .

ان الصلة بين الجهاز السياسى والتعليم فى جميع الدول البرجوازية هى فائقة المتانة ، رغم ان المجتمع البرجوازى لا يستطيع الاعتراف بهذا الواقع صراحة ، مع العلم ان هذا المجتمع يؤثر فى الجماهير بواسطة الكنيسة وبواسطة كل مؤسسة الملكية الخاصة .

ومهمتنا الاساسية تقوم ، فيما تقوم ، فى معارضة «الحقيقة» البرجوازية بحقيقتنا وفى حمل الناس على الاعتراف بها .

ان الانتقال من المجتمع البرجوازى الى سياسة البروليتاريا انتقال عسير جدا ، خصوصا وان البرجوازية تفترى علينا بلا كلل بكل جهاز دعايتها وتحريضها . وهى تحاول قصارى جهدها ان

تطمس دور ديكتاتورية البروليتاريا البالغ الاهمية ، ان تطمس رسالة ديكتاتورية البروليتاريا التربوية التى تتسم باهمية خاصة فى روسيا حيث البروليتاريا تشكل اقلية السكان . والحال ان هذه الرسالة يجب ان تتقدم هنا الى المرتبة الاولى لأنه من الضرورى لنا ان نهيئ الجماهير للبناء الاشتراكى . ولم يكن من الممكن حتى الكلام عن ديكتاتورية البروليتاريا لو لم ترب البروليتاريا فى نفسها درجة كبيرة من الوعى ، درجة كبيرة من الطاعة والانضباط ، درجة كبيرة من الاخلاص فى النضال ضد البرجوازية اى ذلك المجموع من المهام الذى ينبغى طرحه لأجل انتصار البروليتاريا التام على عدوها المزمن .

نحن لا نأخذ بوجهة النظر الطوبوية التى تزعم ان الجماهير الكادحة مهيأة للمجتمع الاشتراكى . فنحن نعرف على اساس معطيات دقيقة يقدمها كل تاريخ الاشتراكية العمالية ان الحال ليس هكذا ، وان الاستعداد للاشتراكية لا يؤمنه غير الصناعة الكبيرة والنضال الاضرابى والتنظيم السياسى . ولأجل احراز النصر ، لأجل تحقيق الانقلاب الاشتراكى ، ينبغى ان تكون البروليتاريا اهلا للعمل التضامنى ، للاطاحة بالمستثمرين . ونحن نرى الآن ان البروليتاريا قد اكتسبت جميع المؤهلات اللازمة وحولتها الى فعل عندما ظفرت بالسلطة .

ان المساعدة فى تربية وتعليم الجماهير الكادحة لكى تتغلب على العادات القديمة والملكات القديمة التى بقيت لنا ارثا من النظام القديم ، عادات وملكات الملكية التى تتشبع بها الجماهير كليا ، ينبغى ان تكون مهمة اساسية من مهام شغيلة التثقيف ومهام الحزب الشيوعى بوصفه طليعة النضال . وهذه المهمة الاساسية فى عموم الانقلاب الاشتراكى لا يجوز ابدا ان تغيب عن البال عند بحث تلك المسائل الفرعية التى استأثرت بقدر كبير جدا من

انتباه لجنة الحزب المركزية ومجلس مفوضى الشعب . اما كيف نبنى الادارة المركزية للتثقيف السياسى ، كيف نربطها بمختلف المؤسسات ، كيف نربطها لا بالمركز وحسب ، بل ايضا بالمؤسسات المحلية ، فعن هذا السؤال يجيبنا رفاق اكثر الاماما بهذه القضية وذوو خبرة كبيرة ودرسوا هذه القضية خصيصا . اما انا ، فانى اود فقط لو اشير الى الخطوط الاساسية فى الجانب المبدئى من المسألة . فنحن لا يسعنا ألا نطرح المسألة صراحة ، معترفين صراحة ، وخلافا للكذب القديم كله ، بانه لا يمكن للتعليم ألا يكون مرتبطا بالسياسة .

نحن نعيش فى حقبة تاريخية من النضال ضد البرجوازية العالمية التى هى اقوى منا مرارا ومرارا عديدة . وفى مثل هذه الحقبة من النضال ، يتعين علينا ان نذود عن البناء الثورى ، ان نناضل ضد البرجوازية سواء بالسبيل الحربى او ، بصورة اشد بالسبيل الفكرى ، سبيل التربية ، لكى تصبح العادات والملكات والمعتقدات التى صاغتها الطبقة العاملة لنفسها فى سياق عقود وعقود من السنين فى غمرة النضال لأجل الحرية السياسية ، لكى يصبح مجموع هذه العادات والملكات والافكار اداة لتربية جميع الشغيلة ؛ اما حل مسألة طريقة التربية بالذات ، فيقع على كاهل البروليتاريا . ومن الضرورى تربية ادراك حقيقة انه لا ينبغى ولا يجوز الوقوف فى معزل عن نضال البروليتاريا الذى يشمل الآن اكثر فاكثر جميع البلدان الرأسمالية فى العالم بلا استثناء ، الوقوف فى معزل عن السياسة الدولية بأسرها . ففى اتحاد جميع البلدان الرأسمالية ذات الحول والطول فى العالم ضد روسيا السوفييتية ، فى هذا يقوم الاساس الحقيقى للسياسة الدولية الراهنة . ثم انه ينبغى الاعتراف بان مصير مئات الملايين من الشغيلة فى البلدان الرأسمالية رهن بهذا . ذلك انه لا توجد فى الوقت الحاضر زاوية

فى الكرة الارضية ليست خاضعة لحفنة من البلدان الرأسمالية . وهكذا يرتدى الوضع شكلا بحيث ينبغى اما الوقوف فى معزل عن النضال القائم وتقديم البرهان بذلك على انعدام الوعى كليا كما فعل اولئك الجهلاء الذين وقفوا فى معزل عن الثورة والحرب والذين لا يرون كل خداع الجماهير من قبل البرجوازية ، لا يرون ان البرجوازية تبقي هذه الجماهير ، قصدا وعمدا ، فى لجة الظلام والجهل ، واما خوض النضال فى سبيل ديكتاتورية البروليتاريا .

وعن نضال البروليتاريا هذا ، نتكلم بصراحة تامة ، وينبغى لكل امرئ اما ان يقف الى هذا الجانب ، الى جانبنا ، واما الى الجانب الآخر . ان جميع المحاولات لعدم الوقوف لا الى هذا الجانب ولا الى ذاك تنتهى بالافلاس والفضيحة .

ونحن عندما شاهدنا بقايا الكيرنسكية اللامتناهية ، وبقايا الاشتراكيين-الثوريين والاشتراكية-الديموقراطية ، المتمثلة فى يودينيتش وكولتشاك وبتلورا وماخنو واضرابهم ومن لف لفهم ، رأينا تنوعا فى اشكال وتلاوين الثورة المضادة فى مختلف انحاء روسيا بحيث انه يمكننا القول اننا قد تمرسنا وتصلبنا اكثر من اى احد آخر ؛ ونحن عندما ننظر الى اوروبا الغربية نرى انه يتكرر هناك ما جرى عندنا ، يتكرر تاريخنا . ففى كل مكان تقريبا ، تظهر الى جانب البرجوازية عناصر الكيرنسكية . وهذه العناصر تهيمن فى جملة كاملة من الدول ، ولا سيما فى المانيا . وفى كل مكان ، يلاحظ الشيء نفسه ، وهو استحالة اى موقف وسط ، والادراك الجلى لما يلى : اما الديكتاتورية البيضاء (أولها تستعد البرجوازية فى جميع بلدان اوروبا الغربية بتسلحها ضدنا) ، واما ديكتاتورية البروليتاريا . ولقد عانينا ذلك بدرجة من الحدة والعمق بحيث انه لا داعى لان اسهب فى الحديث عن الشيوعيين الروس . ومن هنا استنتاج واحد وحيد ، استنتاج

يجب ان يقوم فى اساس جميع المحاكمات والتعليلات المتعلقة بالادارة المركزية للتثقيف السياسى . فقبل كل شىء ، ينبغى الاعتراف صراحة بهيمنة سياسة الحزب الشيوعى فى عمل هذه الهيئة . وشكلا آخر نحن لا نعرف ، وشكلا آخر لم يضع بعد اى بلد . قد يستجيب الحزب الى هذا الحد او ذاك لمصالح طبقته ، وقد يتعرض لهذه او تلك من التغييرات او الاصلاحات ، ولكننا لا نعرف بعد شكلا افضل ؛ والنضال فى روسيا السوفييتية التى ظلت فى سياق ثلاث سنوات تصد زحف الامبريالية العالمية ، مرتبط كله بكون الحزب يأخذ على عاتقه قصدا وعمدا مهمة مساعدة البروليتاريا فى اداء دورها كمربية ومنظمة وقائدة ، فى اداء هذا الدور الذى يستحيل بدونه انهيار الرأسمالية . فعلى الجماهير الكادحة ، جماهير العمال والفلاحين ، ان تتغلب على عادات الانتلليجنسيا القديمة ، وان تعيد تربية نفسها من أجل بناء الشيوعية ، وبدون هذا ، لا يجوز الشروع بقضية بناء الشيوعية . ان تجربتنا كلها تبين ان هذه القضية فى منتهى الاهمية ، ولهذا يجب ألا يغيب عن بالنا امر الاعتراف بدور الحزب القيادى ؛ ولا تستطيع ان نهمل هذا لدن مناقشة مسألة النشاط ومسألة البناء التنظيمى . اما كيف يتعين تحقيقه ، فهذا ما يترتب علينا التحدث عنه كثيرا ، ما يترتب التحدث عنه سواء أفى لجنة الحزب المركزية ام فى مجلس مفوضى الشعب ؛ فان المرسوم الذى صودق عليه امس جاء اساسا بالنسبة للادارة المركزية للتثقيف السياسى ، ولكنه لم يقطع بعد كل سبيله فى مجلس مفوضى الشعب ؛ وخلال بضعة ايام ، سينشر هذا المرسوم ، وسترون فى صيغته المحررة نهائيا انه لا يتضمن اى تصريح مباشر بصدد العلاقة بالحزب .

ولكنه ينبغى لنا ان نعرف ونذكر ان دستور الجمهورية

السوفييتية الحقوقى والواقعى يقوم بكليته على واقع ان الحزب يصلح ويعين ويبنى كل شىء وفقا لمبدأ واحد ، لكى تتمكن العناصر الشيوعية المرتبطة بالبروليتاريا من اشباع هذه البروليتاريا بروحها ، واخضاعها لنفسها ، وتحريرها من ذلك الخداع البرجوازى الذى نحاول من زمان بعيد استئصاله . لقد ناضلت مفوضية الشعب للتعليم زمنا طويلا ، وزمنا طويلا ناضلت منظمة المعلمين ضد الانقلاب الاشتراكى . ففى بيئة المعلمين هذه ترسخت الاوهام البرجوازية بقوة خاصة . وهنا احتدم النضال زمنا طويلا سواء أبصورة تخريب مباشر ام بصورة اوهام برجوازية صامدة بعناد ، ولذا يترتب علينا ان نظفر لانفسنا بالموقع الشيوعى ببطء ، خطوة اثر خطوة . اما الادارة المركزية للتثقيف السياسى التى تعمل فى حقل التعليم خارج المدرسة والتى تحل مهمة تعليم الجماهير وتثقيفها ، فانها تواجه بجلاء خاص مهمة ان تمارس القيادة الحزبية ، وان تخضع لنفسها وتشبع بروحها ، وتلهب بنار مبادرتها هذا الجهاز الهائل ، اى هذا الجيش من رجال الهيئة التعليمية الذى يضم نصف مليون شخص والذى هو الآن فى خدمة العمال . ان رجال التعليم ، هيئة المعلمين ، قد تربوا بروح الاوهام والعادات البرجوازية ، بروح العداء للبروليتاريا ، ولم تكن بينهم وبينها اى صلة على الاطلاق . اما الآن ، فيجب علينا ان نربى جيشا جديدا من رجال التعليم والتربية ينبغى له ان يكون وثيق الارتباط بالحزب وافكاره ، ينبغى له ان يكون مشبعا بروح الحزب ، ينبغى له ان يجتذب اليه الجماهير العمالية ويشبعها بروح الشيوعية ويحملها على الاهتمام بما يفعله الشيوعيون .

وبما انه يتعين قطع كل صلة بالقديم من العادات والملكات والافكار ، فان الادارة المركزية للتثقيف السياسى تجابهها فى

هذا المجال وتجابه العاملين فيها مهمة فى منتهى الاهمية ينبغى اخذها بالحسبان قبل غيرها . فنحن ، بالفعل ، نواجه هنا المعضلة التالية : كيف نربط المعلمين ، واغلبهم من ذوى العقلية القديمة ، بالحزبيين ، بالشيوعيين ؟ ان هذه المعضلة لفى اقصى الصعوبة ، وفيها ينبغى التفكير والتأمل كثيرا جدا .

لنر كيف نربط تنظيميا اناسا على مثل هذه الدرجة من الاختلاف . مبدئيا ، لا يمكن ان يساورنا الشك فى انه يجب ان تكون الزعامة للحزب الشيوعى . وهكذا يكون الهدف من الثقافة السياسية ، من التعليم السياسى تربية شيوعيين اقحاح فى مقدورهم ان يقهروا الكذب والاوهام ويساعدوا الجماهير الكادحة فى التغلب على النظام القديم والقيام ببناء الدولة دون الرأسماليين ، دون المستثمرين ، دون الملاكين العقاريين . ولكن كيف يمكن تحقيق هذا ؟ ان هذا لا يمكن تحقيقه الا باكتساب مجمل المعارف التى ورثها المعلمون عن البرجوازية . ولو لا هذا ، لاستحالت جميع المكتسبات التكنيكية للشيوعية ، ولظل كل حلم بهذا حلما باطلا . وهنا بالذات ينهض السؤال التالى : ما العمل لربطهم ، اى لربط هؤلاء العاملين الذين لم يعتادوا العمل على صلة بالسياسة ، وبالسياسة النافعة لنا على الاخص ، اى الضرورية من اجل الشيوعية . ان هذه ، كما سبق وقلت ، مهمة صعبة جدا . لقد بحثنا هذه المسالة فى اللجنة المركزية ايضا ؛ وعند بحث هذه المسالة ، حاولنا جهدنا ان نراعى التوجيهات التى اوحت لنا التجربة بها ، وبرأينا ان مؤتمرا كهذا المؤتمر الحالى الذى اتكلم فيه الآن ، ان اجتماعا موسعا كاجتماعكم ، ستكون له فى هذا الصدد اهمية كبيرة . فينبغى الآن على كل لجنة حزبية ان تنظر نظرة جديدة الى كل داعية كنا ننظر اليه سابقا نظرتنا الى انسان من حلقة معينة ، من منظمة معينة . فكل داعية

ينتسب الى الحزب الذى يدير والذى يقود الدولة بأسرها ، وتضال روسيا السوفييتية على الصعيد العالمى ضد النظام البرجوازى . وكل داعية هو ممثل طبقة مناضلة وحزب يسيطر ويجب ان يسيطر على جهاز الدولة الضخم . الا ان عددا كبيرا جدا من الشيوعيين ممن اجتازوا بصورة ممتازة رائعة مدرسة العمل السرى ، واكتسبوا الخبرة والمراس فى معمعان النضال ، لا يريدون ولا يستطيعون ان يفهموا كل اهمية هذا الانعطاف ، هذا الانتقال ، عندما يصبح المحرض الداعية قائد محرضين ، قائد منظمة سياسية عملاقة . اما ان يطلق عليه فى هذا المجال لقب مناسب ، ولربما حتى لقب حساس ، مثلا ، لقب رئيس المدارس الشعبية ، ـ فهذا غير مهم كثيرا ، ولكنه من المهم ان يكون قادرا على قيادة جمهور المعلمين .

يجب القول ان مئات الآلاف من المعلمين انما يشكلون ذلك الجهاز الذى ينبغى له ان يدفع العمل ويوقظ الفكر ويكافح الاوهام التى لا تزال منتشرة بين الجماهير . ان ميراث الثقافة الرأسمالية ، وتشبع جماهير المعلمين بنواقصها ، مع العلم ان هذه الجماهير لا يمكن ان تكون شيوعية فى حال وجود هذه النواقص ، كل هذا لا يمكن له مع ذلك ان يحول دون أخذ هؤلاء المعلمين فى صفوف شغيلة العمل السياسى التثقيفى ، لأن هؤلاء المعلمين يملكون من المعارف ما لا نستطيع بدونه التوصل الى غايتنا .

ينبغى ان نضع فى خدمة التثقيف الشيوعى مئات الآلاف من الناس النافعين . وهذه مهمة حُلّت فى الجبهة ، فى صفوف جيشنا الاحمر ، الذى ضم الى صفوفه عشرات الآلاف من ممثلى الجيش القديم . وقد اندمج هؤلاء مع الجيش الاحمر فى سياق عملية طويلة ، عملية اعادة التربية ، الامر الذى أثبتوه فى آخر المطاف بانتصاراتهم . ولذا ينبغى علينا ان نقتدى بهذا المثال فى عملنا

التثقيفى والتعليمى . صحيح ان هذا العمل ليس باهـــرا بالقدر نفسه ، ولكنه ذو اهمية اكبر ايضا . فكل محرض وكل داعيـــة ضرورى لنا ، وهو يؤدى مهمته عندما يعمل بروح حزبى صرف ، ولكن دون ان يقتصر على الحزب ، بل يتذكر ان مهمته هى قيادة مئات الآلاف من رجال الهيئة التعليمية واثارة اهتمامهم ، والتغلب على الاوهام البرجوازية القديمة ، واجتذابهم الى ما نقوم به ، وحملهم على ادراك كل ضخامة عملنا ؛ ولن نتمكن الا بالانتقال الى هذا العمل من اجتذاب هذا الجمهور الذى ضغطت عليـــه الرأسمالية وابعدته عنّا ، ومن دفعه فى السبيل القويم .

هذه هى المهام التى يتعين ان يبتغيها كل محرض وكل داعية يعمل خارج نطاق المدرسة ، وهذه المهام يجب ألا تغيب عـــن باله . ان حل هذه المهام تعترضه طائفة من المصاعب العملية ، وعليكم ان تساعدوا الشيوعية وان تصبحوا لا ممثلى وقادة الحلقات الحزبية وحسب ، بل ايضا ممثلى وقادة كل سلطة الدولـــة التى تقبض الطبقة العاملة على زمامها .

ومهمتنا ان نقهر كل مقاومة الرأسماليين ، لا الحربيـــــة والسياسية منها وحسب ، بل ايضا الفكرية ، التى هى اشد اشكال مقاومتها عمقا وقوة . ومهمة رجال التعليم عندنـــا ان يقوموا باعادة «توعية» الجمهور هذه . فان ما نلحظـــه عنده من اهتمام ومن ميل الى العلم والى معرفة الشيوعية هو الضمانة باننا سنخرج ظافرين فى هذا الميدان ايضا رغم ان هذا لن يحصل ، اغلـــب الظن ، بنفس السرعة ، كما على الجبهة ، رغم ان هذا سترافقه ، اغلب الظن ، مصاعب اكبر ، بل الهزائم احيانا ، ولكننا نحـــن الذين سنكون الظافرين فى نهاية الامر .

واود ان اتوقف اخيرا عنـــد امر آخر : ان تعبير الادارة المركزية للتثقيف السياسى قد لا يكون مفهوما بصورة صحيحة .

فبما انه يتضمن مفهوم «السياسى» ، فان السياسة هى الأهم فيه .

ولكن كيف ينبغى فهم السياسة ؟ اذا فهمنا السياسة بمعناها القديم ، فقد نقع فى خطأ كبير فادح . ان السياسة انما هى النضال بين الطبقات ، السياسة انما هى مواقف البروليتاريا المناضلة فى سبيل التحرر ضد البرجوازية العالمية . ولكنه يبرز جانبان فى قضية نضالنا : من جهة ، مهمة القضاء على ميراث النظام البرجوازى ، القضاء على المحاولات التى تقوم بها وتكررها البرجوازية بأسرها من اجل خنق السلطة السوفييتية . وحتى الآن ، شغلت هذه المهمة انتباهنا اكثر من غيرها وحالت دون الانتقال الى مهمة اخرى ، هى مهمة البناء . وكانت السياسة حسب المفهوم البرجوازى عن العالم كأنما مفصولة عن الاقتصاد . كانت البرجوازية تقول : اعملوا ، ايها الفلاحون ، لكى تتمكنوا من العيش ؛ اعملوا ، ايها العمال ، لكى تحصلوا فى السوق على كل ما هو ضرورى من اجل العيش ، اما السياسة الاقتصادية فيتولى امورها اسيادكم . ولكن الحال ليس هكذا ؛ فالسياسة يجب ان تكون قضية الشعب ، قضية البروليتاريا . وهنا ينبغى لنا ان نشير الى اننا مشغولون فى تسعة اعشار اوقات عملنا بالنضال ضد البرجوازية . ان الانتصارات على فرانجل ، التى قرأنا عنها امس والتى ستقرأون عنها اليوم ، وعلى الارجح غدا ، تبين ان مرحلة من النضال توشك ان تنتهى واننا ظفرنا بالسلام بيننا وبين جملة كاملة من البلدان الغربية ؛ والحال ان كل انتصار على الجبهة الحربية يحررنا من اجل النضال الداخلى ، من اجل سياسة بناء الدولة . وكل خطوة تقربنا من النصر على الحرس الابيض تنقل تدريجيا مركز الثقل فى النضال الى السياسة الاقتصادية . ان الدعاية على الطراز القديم تقول ما هى الشيوعية وتضرب الامثلة . ولكن هذه الدعاية القديمة لا تنفع اطلاقا ، لأنه ينبغى ان نبين عمليا كيف يجب بناء الاشتراكية .

ينبغى بناء الدعاية كلها على تجربة البناء الاقتصادى السياسية . وهذه هى اكبر مهامنـــا ؛ واذا ما حاول احد ان يفهم هذا بمعنى الكلمة القديم ، فانه سيكون متأخرا ولن يستطيع القيام بعمـــل الدعاية من اجل جمهور الفلاحين والعمـــال . ينبغى ان تكـــون سياستنا الرئيسية الآن بناء الدولة الاقتصادى لكى نجمع بودات اضافية من الحبوب ، لكى نعطى بودات اضافية من الفحم ، لكى نجد خير طريقة للافادة من هذه البودات من الحبوب والفحم ، لكى لا يكون ثمة جياع . هذه هى سياستنا . وعلى هذا يجب بناء كـل تحريضنا وكل دعايتنا . ينبغى ان يقل الكلام الطنان الفارغ ، لأنكم لن ترضوا الشغيلة بهذا الكلام . وما ان تتيح لنا الحرب فرصـــة تحرير مركز الثقل من النضال ضد البرجوازية ، من النضال ضـــد فرانجل وضـــد الحرس الابيض ، حتى ننصرف الى السياســـة الاقتصادية . وهنا سيضطلع التحريض والدعاية بدور هائل يتعاظم باستمرار .

ينبغى ان يكون كل محرض قائدا على مستوى الدولة ، قائدا لجميع الفلاحين والعمال فى قضية البناء الاقتصـــادى . ينبغى ان يقول انه لكى يكون المرء شيوعيـــا يجب ان يعرف ، يجب ان يقرأ هذا الكراس بالذات او ذاك ، هذا الكتاب بالذات او ذاك . بهذه الطريقة بالضبط سنحسّن الاقتصاد ونزيده متانة ونجعله اكثر اتساما بالسمة الاجتماعية ، ونزيد الانتاج ونحسّن شؤون الحبوب ، ونوزع السلع المنتوجة توزيعا أصح ، ونزيد استخراج الفحم ونبعث الصناعـــة بدون الرأسماليـــة وبـــدون الـــروح الرأسمالية .

فما هو مغزى الشيوعية ؟ ينبغى تنظيم الدعاية كلها من اجلها على نحو بحيث ينحصر الامر فى قيادة بناء الدولة عمليا . ينبغى ان تصبح الشيوعية فى منال جماهير العمال ، ينبغى ان تصبـــح

قضيتها الخاصة . وهذا العمل يسير سيئا وتصحبه آلاف الاخطاء . ونحن لا نخفى ذلك ، ولكنه ينبغى للعمال والفلاحين انفسهم ان يصنعوا جهازنا ويحسنوا عمله بمساعدتنا ، بمساهمتنا الصغيرة والضعيفة . ان هذا الجهاز لم يبق بالنسبة لنا برنامجا ونظرية ومهمة ، وهو بالنسبة لنا قضية البناء العملى الحالى . ولئن كنا كابدنا من اعدائنا اقسى الهزائم فى حربنا ، فاننا قد تعلمنا بالمقابل من هذه الهزائم واحرزنا النصر التام . والآن ينبغى ان نقتبس العبر والمعارف من كل هزيمة ، ينبغى ان نتذكر بانه ينبغى تعليم العمال والفلاحين بمثال العمل المنفذ ، وان نشير الى النواقص والمساوئ الموجودة عندنا لكى نتجنبها فيما بعد .

وبمثال هذا البناء ، وبتكراره مرارا كثيرة ، سنتوصل الى ان نصنع من الرؤساء الشيوعيين الارديا‌ء بناة حقيقيين وقبل كل شىء فى اقتصادنا . سنتوصل الى كل ما يلزم ، وسنتغلب على جميع العقبات التى بقيت لنا عن النظام القديم والتى يستحيل تذليلها دفعة واحدة ؛ ينبغى اعادة تربية الجماهير ؛ والحال ، لا تمكن اعادة تربيتها الا بالتحريض والدعاية؛ ينبغى ربط الجماهير ببناء الحياة الاقتصادية العامة ، فى المقام الاول . وهذا ما ينبغى ان يكون الامر الرئيسى والاساسى فى عمل كل محرض وداعية ؛ ومتى استوعب هذا ، كان نجاح عمله مضمونا . **(تصفيق صاخب .)**

توجيهات اللجنة المركزية الى الشيوعيين العاملين فى مفوضية الشعب للتعليم

١ . ان الحزب اذ يلتزم دون قيد او شرط بالموقف الذى حدده برنامج الحزب الشيوعى الروسى ازاء التعليم البوليتكنيكى (راجع خصوصا البندين ١ و٨ فى قسم البرنامج المكرس للتعليم العام) يجب ان ينظر فى تخفيض سن القبول فى التعليم العام والبوليتكنيكى من السابعة عشرة الى الخامسة عشرة فقط كضرورة عملية مؤقتة تستدعيها الفاقة ودمار البلاد من جراء الحروب التى فرضتها علينا دول الوفاق (٣٤) .

ان تحقيق «الربط» بين التعليم المهنى للاشخاص البالغين الخامسة عشرة من العمر وبين «المعارف البوليتكنيكية العامة» (البند الثامن فى القسم المذكور من برنامج الحزب الشيوعى الروسى) هو امر الزامى فى حالة توفر ادنى امكانية لذلك ، ويجب ان يطبق فى كل مكان دون قيد او شرط .

٢ . ان العيب الاساسى فى عمل مفوضية الشعب للتعليم هو قلة روح العملية والمنفعة وعدم كفاية مراعاة الخبرة العملية والتثبت منها وانعدام الانتظام فى استخدام عبر هذه الخبرة وطغيان المحاججات العامة والشعارات المجردة . ان اهتمام مفوض الشعب وهيئة المفوضية الرئيسى يجب ان ينصب على تلافى هذا العيب .

٣ . ليست الامور على صواب فى مفوضية الشعب للتعليم عموما ، والادارة العامة للتعليم المهنى خصوصا ، من حيث اجتذاب الاخصائيين اى المربين الذين يملكون اعدادا نظريا وعمليا طويل الامد وكذلك الاشخاص الذين يملكون مثل هذا الاعداد فى ميدان التعليم المهنى ـ التكنيكى (بما فيه الزراعى) للعمل فى المركز .

من الضرورى تنظيم جرد فورى لهؤلاء العاملين ودراسة مدة خدمتهم والتثبت من نتائج عملهم وتعيينهم بانتظام فى المناصب المسؤولة فى العمل المحلى والمركزى خصوصا . وينبغى عدم اتخاذ اى اجراء جدى بدون الاستئناس برأى هؤلاء الاخصائيين ومساهمتهم دوما .

وبديهى ان اجتذاب الاخصائيين يجب ان ينفذ بشرطين لازمين . اولا ـ يجب ان يعمل الاخصائيون غير الشيوعيين تحت اشراف الشيوعيين . ثانيا ـ يجب ان يحدد الشيوعيون وحدهم مضمون التعليم وذلك لان الامر يتناول مواد التعليم العام وخصوصا الفلسفة والعلوم الاجتماعية والتربية الشيوعية .

٤ . ينبغى ان توضع وتقر من قبل الهيئة ومفوض الشعب برامج الانواع الاساسية من المؤسسات الدراسية ، ومن ثم الدورات والمحاضرات والمحادثات والدراسات التطبيقية .

٥ . ينبغى لقسم مدرسة العمل الموحدة ومن ثم الادارة العامة للتعليم المهنى على الخصوص ان يوجها مزيدا من الاهتمام الى اجتذاب جميع القوى التكنيكية والهندسية الزراعية الملائمة على نطاق اوسع واكثر انتظاما الى التعليم المهنى والتكنيكى والبوليتكنيكى وذلك باستخدام اية مؤسسة معملية-مصنعية وزراعية ذات تنظيم مقبول ولو لادنى حد (سوفخوز ، محطة تجريبية زراعية ، استثمارة جيدة والخ . ، المحطات الكهربائية والخ .) .

يجب ان تحدد اشكال ونظام استخدام المؤسسات والدوائر

الاقتصادية للتعليم البوليتكنيكى بالاتفاق مع الهيئات الاقتصادية المعنية بحيث لا يسبب ذلك خللا فى السير الطبيعى للانتاج .

٦ . يجب ان توضع اشكال عملية ، موجزة للغاية وواضحة ودقيقة لتقديم التقارير ، وذلك لكى يمكن ان تراعى وتدقق مقادير وحصيلة العمل . فالامور فى مفوضية الشعب للتعليم ليست على ما يرام ابدا من هذه الناحية .

٧ . والامور ليست على ما يرام ابدا كذلك فى مجال توزيع الصحف والكراريس والمجلات والكتب على المكتبات وقاعات المطالعة فى المدارس وخارجها . ومن هنا ينتج ان الصحيفة والكتاب تتلقفهما فئة ضئيلة من المستخدمين السوفييت ولا يصلان الى العمال والفلاحين الا بدرجة قليلة جدا . من الضرورى اعادة تنظيم هذه الامور كلها بصورة جذرية .

«البرافدا» ، العدد ٢٥ ،
٥ شباط (فبراير) ١٩٢١

المجلد ٤٢ ، ص‌ص
٣١٩ ـ ٣٢١

الى مفوضية الشعب للتعليم
الى ا . ف . لوناتشارسكـــى ، م . ن . بوكروفسكـــى ،
ا . ا . ليتكنس

٨ ـ ٤ ـ ١٩٢١

الى الرفاق لوناتشارسكى وبوكروفسكى وليتكنس

تتكاثر العلائم التى تبين ان الامور فى مفوضية الشعب للتعليم لا تتحسن فيما يتعلق بانتظامية ومنهاجية العمل ، رغم توجيهات اللجنة المركزية والمهمات الخاصة التى عينتها اللجنة المركزية لدن اعادة تنظيم مفوضية الشعب للتعليم .

متى توضع خطة العمل الاساسية ؟ اى قضايا سترد فى هـذه الخطة ؟ هل تكون هذه قضايا اعداد الكتب المدرسية ، ـ شبكـة المكتبات واستعمالها ، ـ المدارس النموذجيـة ، ـ محاسبـة المعلمين ، ـ برامج المقررات التعليميـة والمحاضرات والدروس المدرسية ، ـ مراقبة درجة التطبيق الفعلى للبرامج ومراقبـة سير الاعمال المدرسية ؟

ام قضايا اخرى ؟ اى هى ؟

اى هى القضايا المعتبرة أهم القضايا ، القضايا الصدامية ؟

هل هناك قرارات فى هذا الشأن ؟ ما هى اجراءات الاشراف الدائب المنتظم على التنفيذ ؟

ارجو جوابا موجزا .

رئيس مجلس مفوضى الشعـــب **ف . اوليانوف (لينين)** .

المجلد ٥٢ ، ص ص ١٣٣ـ

السياسة الاقتصادية الجديدة ومهام هيئات التثقيف السياسى (٣٥)

تقرير فى المؤتمر الثانى لهيئات التثقيف السياسى لعامة روسيا ١٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢١

(مقتطف)

اساليب شائخة

فى حينه ، كانت هذه الاعلانات والتصريحات والبيانات والمراسيم ضرورية . وعندنا منها ما يكفى . وفى حينه كانت هذه الاشياء ضرورية لا غنى عنها لكى نبين للشعب كيف وما نريد ان نبنى ، واى اشياء جديدة ولا سابق لها . ولكن هل يمكن ان نظل نبين للشعب ما نريد بناءه ؟ كلا ! ان ابسط عامل سيتهكم علينا فى هذه الحال . فانه سيقول : «ما بك لا تنفك تبين كيف تريد ان تبنى ، فبين بالفعل كيف تستطيع ان تبنى . اذا كنت غير ملم بذلكَ ، فلن نكون رفاق طريق ، ورح الى القرد !» . وسيكون على حق .

لقد ولى الزمن الذى كان يتعين علينا فيه ان نرسم سياسيا المهام العظيمة ، وحل الزمن الذى يتعين علينا فيه ان نطبقها عمليا . فامامنا الآن مهام ثقافية ، مهام هضم تلكَ التجربة السياسية التى يجب ويمكن تطبيقها فعلا . فامّا ضياع جميع المكاسب السياسية التى حققتها السلطة السوفييتية ، وامّا بناء اساس اقتصادى تحتها . ولا وجود لهذا الاساس الآن . وهذا بالذات ما يجب القيام به .

ان مهمة انهاض الثقافة هى من ألحّ المهام . وهى مهمة هيئة

التثقيف السياسى ، اذا كانت قادرة على «التثقيف السياسى» ، وفقا للاسم الذى اختارته لنفسها . ليس من الصعب اطلاق اسم ، ولكن كيف تسير امور التنفيذ ؟ نود لو نامل فى اننا سنتلقى معطيات دقيقة عن هذا بعد ارفضاض هذا المؤتمر . لقد انشئت عندنا لجنة لتصفية الامية فى ١٩ تموز (يوليو) ١٩٢٠ . وقبل ان آتى الى المؤتمر ، قرأت قصدا وعمدا المرسوم المعنى . لجنة تصفية الامية لعامة روسيا ... وفضلا عن ذلك ــ اللجنة فوق العادة لتصفية الامية . نود لو نامل فى اننا سنتلقى بعد هذا المؤتمر معطيات عمّا تحقق فى هذا الميدان على وجه الضبط وفى اى عدد من المحافظات ، وفى اننا سنتلقى تقريرا دقيقا . ولكن الواقع التالى ، وهو انه ترتب انشاء لجنة فوق العادة لتصفية الامية ، يثبت بحد ذاته اننا نحن اناس (وكيف اعبّر عن هذا بمزيد من اللطافة ؟) من طراز انصاف المتوحشين ، لأنه من العار فى بلد لا يوجد فيه انصاف متوحشين انشاء لجنة فوق العادة لتصفية الامية ، ــ لانهم فى بلد كهذا يصفون الامية فى المدارس . وفيه توجد مدارس لا بأس بها ، ــ وفيها يعلمون . ماذا ؟ يعلمون مبادئ القراءة والكتابة ، فى المقام الاول . ولكن اذا لم تنفذ هذه المهمة الاولية ، فمن المضحك التحدث عن السياسة الاقتصادية الجديدة .

المعجزة الكبرى

اى سياسة جديدة هنا ؟ نرجو الله ان يساعدنا فى ان نصمد بالقديمة ، اذا ترتب علينا تصفية الامية باجراءات فوق العادة . هذا واضح . ولكن هناك ما هو اوضح : لقد اجترحنا المعجزات سواء أفى الميدان العسكرى ام فى غيره من الميادين . واكبر معجزة بين هذه المعجزات ستكونها ، حسبما اظن ، القضاء نهائيا على

لجنة تصفية الامية ذاتها ، ثم عدم ظهور مشاريع مثل مشروع فصل هذه الهيئات عن مفوضية الشعب للتعليم ، كما سمعت هنا . فاذا كان الحال هكذا ، واذا امعنتم الفكر فى هذا ، فلا بدّ ان توافقوا انه ينبغى انشاء لجنة فوق العادة لتصفية بعض المشاريع السيئة .

وفضلا عن ذلك ، لا تكفى تصفية الامية ، انما يجب ايضا بناء الاقتصاد السوفييتى ، وفى هذا المجال لن نمضى بعيدا بمجرد القراءة والكتابة . ينبغى لنا رفع الثقافة الى مستوى عال جدا . يجب ان يستفيد الانسان عمليا من معرفته للقراءة والكتابة ، اى يجب ان يتوفر لديه ما يقرأ ، ان تتوفر لديه الجرائد والكراريس الدعائية ، يجب ان توزع هذه بصورة صحيحة وتصل الى الشعب ولا تضيع فى الطريق ، والا فلا يقرأها اكثر من نصف القراء ، ويستخدمونها لاغراض ما فى الدواوين ؛ اما الى الشعب فلا يصل ، اغلب الظن ، حتى الربع . ولذا يجب ان نتعلم الاستفادة مما عندنا ، مهما كان ضئيلا .

ولهذا يجب ، نظرا لانتهاج السياسة الاقتصادية الجديدة ، ان نردد بلا كلل الفكرة القائلة ان التثقيف السياسى يتطلب رفع مستوى الثقافة مهما كلف الامر . يجب التوصل الى ان تفضى معرفة القراءة والكتابة الى رفع مستوى الثقافة ، الى ان تتوفر للفلاح امكانية استخدام هذه المعرفة ، معرفة القراءة والكتابة ، من اجل تحسين استثمارته ودولته .

ان القوانين السوفييتية جيدة جدا لأنها تؤمن للجميع امكانية النضال ضد البيروقراطية والمماطلة ، وهى امكانية لا تتوفر للعامل والفلاح فى اى من الدول الرأسمالية . ولكن ، هل يستفاد من هذه الامكانية ؟ ما من احد تقريبا يستفيد منها ! وليس الفلاحون وحدهم ، بل ايضا نسبة ساحقة من الشيوعيين لا يعرفون كيف

يستفيدون من القوانين السوفييتيـــة للنضال ضد المماطلـــة والدواوينية ، او ضد ظاهرة روسية صرف كما هى عليه الرشوة . فما يعرقل النضال ضد هذه الظاهرة ؟ قوانيننـــا ؟ دعايتنـــا ؟ بالعكس ! فقد كتب من القوانين ما يكفى ويزيد ! ولم لا نجاح فى هذا النضال ؟ لأنه لا يجوز حصر هذا النضال فى الدعاية ، بل يمكن انجازه ، شرط ان يساعد جمهور الشعب هذا . ان الشيـــوعيين عندنا ، نصفهم على الاقل ، لا يعرفون كيف يناضلون ، ناهيك عن اولئك الذين منهم يعرقلون النضـــال . صحيح ان ٩٩٪ منكـــم شيوعيون ، وانتم تعرفون اننا نجرى الآن حيال هؤلاء الشيوعيين الاخيرين عمليات تقوم بها لجنة تطهير الحزب ؛ وهناك أمل فى اننا سنفصل من حزبنا نحو ١٠٠ الف . وبعضهم يقولون ــ نحو ٢٠٠ الف ، ــ وهؤلاء الاخيرون يعجبونني اكثر .

انى آمل جدا فى اننا سنطرد من حزبنـــا ١٠٠ الى ٢٠٠ الف شيوعى ، لزقوا بالحزب ، ولا يعرفون كيف يناضلـــون ضـــد المماطلة والرشوة ، وليس هذا وحسب ، بل يعرقلون ايضـــا النضال ضدهما .

مهام العاملين فى هيئات التثقيف السياسى

اذا طهرنا حزبنا من مائة الف او مائتى الف ، فان هذا سيكون نافعا ، ولكن هذا جزء تافه مما يجب علينا فعله . يجب على هيئات التثقيف السياسى ان توجه عملها كله نحو هذا الهدف . ان مكافحة الامية امر ضرورى ، ولكن معرفة القراءة والكتابة وحدها لا تكفى كذلك ، اذ لا بد من تلك الثقافة التى تعلم النضال ضد البيروقراطية والرشوة . فهذه قرحة يستحيـــل شفاؤها بالانتصارات الحربية ايا كانت ، وبالتحويلات السياسية ايا كانت . هذه القرحة يستحيل ،

من حيث جوهر الامر ، شفاؤها بالانتصارات الحربية وبالتحويلات السياسية ، ولا يمكن شفاؤها الا بانهاض الثقافة . وهذه المهمة تقع على عاتق هيئات التثقيف السياسى .

ينبغى ان لا يفهم اعضاء هيئات التثقيف السياسى مهمتهم فهما دواوينيا ، الامر الذى يلاحظ كذلك احيانا كثيرة جدا ، حين يدور الكلام حول ما اذا كان يمكن ضم ممثلى هيئة التثقيف السياسى فى المحافظة الى قوام «المداولة الاقتصادية فى المحافظة» (٣٦) . عفوا ، لا داعى لضمكم الى اى هيئة بل يجب ان تقوموا بمهامكم على اعتباركم مواطنين عاديين . وعندما تنضمون الى قوام دائرة ، فانكم تصبحون بيروقراطيين ؛ اما فى حال عملكم مع الشعب على تثقيفه سياسيا ، فان التجربة ستبين لكم انه لا وجود للرشوات عند الشعب المثقف سياسيا ؛ والحال ، انها تزدهر عندنا . سيسألونكم : ما العمل لكى لا تكون ثمة رشوات ، لكى لا يقبض فلان فى اللجنة التنفيذية رشوة ، علمونا كيف نبلغ ذلك ؟ واذا قال رجال هيئات التثقيف السياسى : «هذا ليس من صلاحيتنا» ، «وعندنا صدرت كراريس واعلانات فى هذه القضية» ، فان الشعب سيقول لكم : «انتم اعضاء ارديا‌ء فى الحزب ؛ فهذا ، والحق يقال ، ليس من صلاحيتكم ؛ لهذا الغرض يوجد التفتيش العمالى والفلاحى (٣٧) ، ولكنكم اعضاء فى الحزب ايضا» . لقد اخذتم لانفسكم اسم التثقيف السياسى . وعندما تقدمتم بهذا الاسم ، حذروكم : لا تدّعوا باسم سام جدا ، بل خذوا اسما ابسط . ولكنكى اردتم ان تأخذوا اسم التثقيف السياسى ، وهذا الاسم ينطوى على الكثير . ذلك انكم لم تسموا انفسكم باناس يعلمون الشعب الالفباء ، بل اخذتم اسم التثقيف السياسى . قد يقولون لكم : «حسنا جدا انكم تعلمون الشعب القراءة والكتابة والقيام بحملة اقتصادية ؛ كل هذا

حسن جدا ؛ ولكن هذا ليس التثقيف السيـــاسى ، لأن التثقيف السياسى يعنى استخلاص رصيد كل شىء » .

نحن نقوم بالدعاية ضد البربرية وضد قروح كالرشوة ، وآمل بانكم تقومون بها ايضا ؛ ولكن هذه الدعاية لا تستنفد التثقيف السياسى ؛ فان التثقيف السياسى يعنى نتائج عملية ، يعنى تعليم الشعب كيفية بلوغ ذلك ، يعنى ضرب امثلة من هذا النوع للآخرين لا بصفة اعضاء اللجان التنفيذية ، بل بصفـــة مواطنين عاديين قادرين ، لأنهم اكثر تثقفا من الآخرين سياسيا ، لا على ان يوبخوا بصدد كل مماطلة وحسب ، ــ وهذا واسع الانتشار عندنا ، ــ بل على ان يبينوا ايضا كيف يمكن التغلب فعلا على هذا الشر . وهذا فن صعب جدا يستحيل امتلاك ناصيته بدون نهوض الثقافة العام ، بدون جعل جمهور العمال والفلاحين اكثر ثقافة مما هو عليـــه الآن ! والى هذه المهمة اريد ان الفت انتباه الادارة العامة للتثقيف السياسى اكثر ما اريد لفت انتباهها .

وكل ما قلته ، اريد ايجازه واستخلاص النتائج العملية لجميع المهام التى تواجه هيئات التثقيف السياسى فى المحافظات .

الاعداء الرئيسيون الثلاثة

برأيى انه يوجد ثلاثة اعداء رئيسيين يواجهون الآن المرء ، بصرف النظر عن وظيفته الادارية ، ثلاث مهام رئيسية تواجه عضو هيئة التثقيف السياسى ، اذا كان هذا المرء شيوعيا ؛ والحال ان امثاله هم الاغلبية . الاعداء الرئيسيون الثلاثة الذين يواجهونهم هم : العدو الاول ــ الغطرسة الشيوعية ، الثانى ــ الاميـــة ، والثالث ــ الرشوة .

العدو الاول ـ الغطرسة الشيوعية

الغطرسة الشيوعية ـ تعنى ان الشخص الذى انتسب الى الحزب الشيوعى والذى لمّا يطّهر منه ، يظن انه يستطيع ان يؤدى جميع مهامه بالاوامر الشيوعية . وما دام عضوا فى الحزب الحاكم او فى قوام دوائر ما للدولة ، فانه يظن على هذا الاساس ان هذا يمكنّه من التحدث عن نتائج التثقيف السياسى . كلا ، ابدا ! فهذا مجرد غطرسة شيوعية . تعلم التثقيف السياسى ، ذلك هو جوهر الامر ، وهذا لم نتعلمه ، وليس لدينا حتى الآن موقف صحيح منه .

العدو الثانى ـ الامية

فيما يتعلق بالعدو الثانى ـ الامية ـ استطيع ان اقول انه ما دامت توجد فى بلادنا ظاهرة كالامية ، فانه من الصعب للغاية التحدث عن التثقيف السياسى . وهذا ليس بمهمة سياسية ، هذا شرط يستحيل بدونه التحدث عن السياسة . ان الانسان الامى يقف خارج السياسة ، ويجب بادئ ذى بدء تعليمه الالفباء . وبدون هذا ، لا يمكن ان تكون ثمة سياسة ، بدون هذا لا يوجد غير الاشاعات والنمائم والحكايات والاوهام ، ولكنه لا توجد سياسة .

العدو الثالث ـ الرشوة

واخيرا اذا كانت توجد ظاهرة كالرشوة ، اذا كان هذا ممكنا ، فلا مجال للكلام عن السياسة . وهنا لا يوجد حتى منال الى السياسة ، هنا لا تمكن ممارسة السياسة ، لأن جميع التدابير تبقى

معلقة فى الهواء ولا تؤدى الى اى نتائج . وسيكون مفعول القانون اسوأ اذا طبّق عمليا فى حال جواز الرشوة وانتشارها . ففى هذه الحال ، لا تمكن ممارسة اى سياسة ؛ وفى هذه الحال لا يتوفر شرط اساسى يتيح ممارسة السياسة . ولكى يكون من الممكن ان نرسم امام الشعب مهامنا السياسية ، لكى يكون من الممكن ان نبين للجماهير الشعبية : «ها هى ذى المهام التى يجب ان نسعى اليها» (وهكذا كان يترتب علينا ان نفعله !) ، يجب ان نفهم انه من المطلوب هنا رفع مستوى الجماهير الثقافى . ويجب التوصل الى هذا المستوى الثقافى المعين . وبدون هذا ، يستحيل اداء مهامنا فعلا .

الفرق بين المهام الحربية والثقافية

لا يمكن اداء المهمة الثقافية بالسرعة التى تؤدى بها المهام السياسية والحربية . يجب ان نفهم ان ظروف التحرك الى امام ليست الآن كما كانت من قبل . ومن الممكن احراز النصر سياسيا خلال بضعة اسابيع فى عهد تفاقم الازمة . وفى الحرب يمكن احراز النصر فى بضعة اشهر ؛ ولكنه يستحيل احراز النصر ثقافيا فى مثل هذه المدة ؛ فهنا تنبغى ، من حيث جوهر الامر ، مدة اطول ، ولهذه المدة الطولى ، يجب التكيف بحساب العمل ، وابداء اكثر ما يكون من العناد والمثابرة والانتظام . وبدون هذه الصفات ، يستحيل حتى الشروع بالتثقيف السياسى . والحال ، لا يمكن قياس نتائج التثقيف السياسى الا بتحسين الاقتصاد . لا ينبغى وحسب ان نقضى على الامية ، لكى نقضى على الرشوة التى تصمد فى تربة الامية ، بل ينبغى ايضا ان يهضم الشعب فعلا دعايتنا وتوجيهاتنا وكراريسنا ، وان يسفر ذلك عن تحسين الاقتصاد الوطنى .

هذه هى مهام هيئات التثقيف السياسى الناجمة عن سياستنا الاقتصادية الجديدة ، وانى اود لو آمل فى اننا سنحرز نجاحا كبيرا فى هذا المجال بفضل مؤتمرنا .

المجلد ٤٤ ، ص‌ص ١٦٩ـ ١٧٥

توصيـــة فى قضايـــا العمل الاقتصـــادى ، اقرها مؤتمر السوفييتات التاسع لعامة روسيا ٢٨ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢١

(مقتطف)

ان المؤتمر التاسع يعتبر ان مهمة مفوضية الشعب للتعليم فى المرحلة الجديدة تتلخص فى انشاء ملاكات الاختصاصيين فى جميع الميادين من ابناء الفلاحين والعمال فى اقصر الآجال ، ويطالـــب بتقوية الصلة بين التعليم المدرسى والتعليم خارج المدرسة وبين المهمات الاقتصادية اليومية سواء فى عموم الجمهورية ام فى الميدان المعنى والمحلة المعنية . وبوجه خاص ، يشير مؤتمر السوفييتات التاسع الى ان ما تحقق تنفيذا لقرار مؤتمر السوفييتات الثامـــن بشأن الدعاية لبرنامج كهربة روسيا ليس كافيا ابدا ، ويطالب بان يصار بانتظام ، فى كل محطة كهربائية ، عن طريق تعبئة جميـــع القوى الصالحة ، الى اجراء الاحاديث والقاء المحاضرات واعطـاء الدروس العملية من اجل تعريف العمال والفلاحين بالكهربـــاء واهميتها واطلاعهم على برنامج الكهربة ؛ وفى الاقضية التى لا توجد فيها بعد اى محطة كهربائية ، يجب بناء محطات كهربائية صغيرة على الاقل ، باكبر قدر ممكن من السرعة ، ويجب ان تصبح كل من هذه المحطات مركزا محليا لعمل الدعاية المذكور آنفا وللتنوير ولتشجيع كل مبادرة فى هذا المضمار .

كتب فى ٢٥ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢١

المجلد ٤٤ ، ص‌ص ٣٣٧ـ ٣٣٨

مقدمة لكتاب ستيبانوف «كهربة جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفييتية بالارتباط مع المرحلة الانتقالية فى الاقتصاد العالمى»

من صميم الروح اوصى جميع الشيوعيين بكتاب الرفيق ستيبانوف هذا .

فقد افلح المؤلف فى عرض قضايا فائقة الصعوبة والاهمية بصورة موفقة للغاية . وحسنا جدا فعل المؤلف ان قرر ان يكتب كتابا ، لا للمثقفين (كما درجت العادة عندنا على كتابة الكتب مع تقليد اردأ طرائق الكتاب البرجوازيين) بل لاجل الشغيلة ، لاجل جماهير الشعب الحقيقية ، لاجل العمال والفلاحين البسطاء . وقد ادرج المؤلف فى الملحق دليلا بالمراجع سواء لاجل من يصعب عليهم ، بدون الايضاحات ، ان يفهموا بعض الفقرات فى عرض الرفيق ستيبانوف ، ام لاجل من يريدون أن يعرفوا اهم البحوث الروسية والاجنبية فى المسألة المعنية على وجه العموم . وتستحق اسمى التقدير بداية الفصل السادس حيث يقدم المؤلف عرضا بديعا لاهمية السياسة الاقتصادية الجديدة ، ثم يدحض بصورة ممتازة التشكك «الناعم» الشائع بصدد الكهربة ؛ فان هذا التشكك يستر عادة انعدام التفكير الجدى بالموضوع (ان لم يكن هذا التشكك ستارا لعداوة الحرس الابيض والاشتراكيين-الثوريين والمناشفة لكل بناء سوفييتى على العموم ، الامر الذى يحدث كذلك احيانا) .

ان اكثر ما ينقصنا لاجل العمل الحقيقى (لا العمل الدواوينى الخامل العقيم) فى حقل التثقيف الشعبى ، انما هو بالضبط هـذه «الوسائل التعليمية لاجل المدارس» ، (لاجل جميـع المدارس الزاما ، من اجلها جميعها على العموم) كهذه الوسيلة . ولو ان جميع ادبائنا الماركسيين عكفوا على اعداد مثل هذه الوسائل التعليمية او الكتب المدرسية فى جميع القضايا الاجتماعية بلا استثناء ، عوضا عن تبديد قواهم على الثرثرة السياسية الصحفية التى ملّ منها الجميع ، لما كنا عانينا هذا العار ، وهو انه بعد مرور نحو خمس سنوات على ظفر البروليتاريا بالسلطة السياسية ، يعلّم (والاصح القـول ، يفسد) العلماء البرجوازيون القدامى الشبيبة النفايات البرجوازية القديمة ، فى مدارسها وجامعاتها الحكومية اى فى مدارس وجامعات البروليتاريا بالذات .

لقد قرر مؤتمر السوفييتات الثامن ان تدريس برنامج الكهربة الزامى فى جميع المؤسسات التعليمية فى ج ر ا ا س (جمهوريـة روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفييتية) ، فى جميعها بلا استثناء (٣٨) . الا ان هذا القرار ، شانه شأن قرارات كثيرة اخرى ، بقى حبرا على ورق بسبب جهلنا (نحن البلاشفة) . اما الآن ، وقد رأت النور هذه «الوسيلة التعليمية لاجل المدارس» من اعداد الرفيق ستيبانوف ، فيجب التوصل ـ وسنتوصل ! ـ الى ان تحتوى كـل مكتبة على صعيد القضاء (ومن بعد ، كل مكتبة على صعيد الناحية) بضع نسخ من هذه «الوسيلة التعليميـة» ؛ ـ الى ان يكون هذا الكتاب فى كل محطة كهربائية فى روسيا (وفيهـا اكثر من ٨٠٠ محطة كهربائية) وكذلك الى ان تلقى فيها الزاما محاضرات شعبية مبسطة عن الكهرباء وعن كهربة ج ر ا ا س وعن التكنيك عموما ؛ ـ الى ان يقرأ كل معلم شعبى فى كل مدرسـة ويستـوعب هذه «الوسيلة التعليمية» (ولتقديم العون فى هذا المجال ، ينبغى تنظيم

حلقة او فرقة من المهندسين ومن معلمى الفيزياء فى كل قضاء) ، الى ان لا يقرأ ويفهم ويستوعب هو نفسه وحسب ، بل ان يتمكن ايضا من ان يحدث تلامذة المدرسة والشباب الفلاحين بوجه عام عن هذا بصورة بسيطة ومفهومة .

ان التوصل الى هذا سيكلف قدراً غير قليل من الجهد . نحن اناس فقراء واناس جاهلون . لا ضير . المهم ان ندرك انه ينبغى لنا ان نتعلم . المهم ان تتوفر الرغبة فى التعلم . المهم ان نفهم بوضوح ان العلم ضرورى الآن للعامل والفلاح ، لا من اجل جلب «النفع» والارباح للاقطاعيين والرأسماليين ، بل من اجل تحسين حياتهما .

وكل هذا متوفر عندنا . ولهذا سوف نتعلم وسنكتسب المعارف .

١٨ ـ ٣ ـ ١٩٢٢ .

ن . لينين

«البرافدا» ، العدد ٦٤ ،
٢١ آذار (مارس) ١٩٢٢

المجلد ٤٥ ، ص‌ص
٥١ ـ ٥٢

الى مؤتمر العاملين فى حقل التعليم

اشكركم ، ايها الرفاق ، على التحية ، واتمنى لكم النجـــاح فى اداء المهمة الكبيرة والمسؤولة الملقاة على عاتقكم ،ــ وهى اعداد الجيل الفتى لبناء الحياة الجديدة .

لينين

كتبت فى ٢٦ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٢٢

المجلد ٤٥ ، ص ٣١٤

المؤلف الذى صدر فى هذه الايام عن التعليم فى روسيا وفقا لمعطيات احصاء ١٩٢٠ («التعليم فى روسيا» ، موسكو ، ١٩٢٢ ، مكتب الاحصاءات المركزى ، قسم احصاءات التعليم العام) ، يشكل حدثا على جانب كبير من الاهمية .

وفيما يلى انقل لوحة ماخوذة عن هذا المؤلف تبين حالة التعليم فى روسيا فى عامى ١٨٩٧ و١٩٢٠ :

	عدد الرجال الذين يعرفون القراءة والكتابة (من كل ١٠٠٠ رجل)		عدد النساء اللواتي يعرفن القراءة والكتابة (من كل ١٠٠٠ امرأة)		عدد الاشخاص الذين يعرفون القراءة والكتابة (من كل ١٠٠٠ شخص)	
	١٨٩٧	١٩٢٠	١٨٩٧	١٩٢٠	١٨٩٧	١٩٢٠
١. روسيا الاوروبية	٣٢٦	٤٢٢	١٣٦	٢٥٥	٢٢٩	٣٣٠
٢. القفقاس الشمالي	٢٤١	٣٥٧	٥٦	٢١٥	١٥٠	٢٨١
٣. سيبيريا (الغربية)	١٧٠	٣٠٧	٤٦	١٣٤	١٠٨	٢١٨
بالمتوسط	٣١٨	٤٠٩	١٣١	٢٤٤	٢٢٣	٣١٩

بينا نثرثر بصدد الثقافة البروليتارية وعلاقاتها بالثقافة البرجوازية ، تقدم لنا الوقائع ارقاما تدل على ان الامور سيئة جدا عندنا حتى فيما يخص الثقافة البرجوازية . والحقيقة ، كما كان ينبغى توقعها ، هى اننا لا نزال بعيدين جدا عن المعرفة الشاملة للقراءة والكتابة ، وان تقدمنا بالذات بالنسبة للعهد القيصرى (١٨٩٧) بطئ جدا . وهذا تحذير صارم ولوم لاولئك الذين كانوا ولا يزالون يحلقون فى سماء «الثقافة البروليتارية» . فان هذه الارقام تبين لنا اى عمل شاق وعاجل لا يزال يترتب علينا القيام به لكى نبلغ مستوى بلد متمدن عادى فى اوروبا الغربية . وكذلك تبين هذه الارقام اى قدر هائل من العمل يترتب علينا القيام به الآن لكى نبلغ فعلا ، على اساس مكتسباتنا البروليتارية ، مستوى من الثقافة رفيعا نوعا ما .

وينبغى لنا ألا نقتصر على هذه الحقيقة التى لا جدال فيها ، ولكنها حقيقة نظرية جدا . انما ينبغى لنا ان ننكب على المهمة من الناحية العملية ايضا لدن اعادة النظر المقبلة فى ميزانيتنا لثلاثة اشهر . ان ما يجب تخفيضه بالدرجة الاولى ، ليس ، بالطبع ، نفقات مفوضية الشعب للتعليم ، بل نفقات الدوائر الاخرى ، قصد استخدام المبالغ المتوفرة على هذا النحو فى تلبية حاجات مفوضية الشعب للتعليم . ويجب الا نقتر فى زيادة حصة المعلمين من الخبز فى سنة كهذه السنة حيث محاصيلنا من الحبوب حسنة نسبيا .

ان العمل الذى يجرى حاليا فى مضمار التعليم العام لا يمكن ، على العموم ، اعتباره ضيقا جدا . فان جهودا كبيرة تبذل لتحريك سلك المعلمين القديم ، ولاشراكه فى القيام بالمهام الجديدة ، واثارة اهتمامه فى الطريقة الجديدة لطرح قضايا التربية ، واثارة اهتمامه فى مسائل كمسألة الدين .

ولكننا نهمل الاساسى . فاننا لا نهتم ، او اننا نهتم بصورة ناقصة جدا ، بتوفير وضع رفيع للمعلم الشعبى لا يمكن بدونه ان تكون اى ثقافة ، لا بروليتارية ولا حتى برجوازية . فينبغى التحدث عن هذه اللاثقافة نصف الاسيوية التى لم تتخلص منها حتى الآن ، والتى لن نستطيع التخلص منها دون جهود جدية ؛ هذا مع العلم انه تتوافر لنا امكانية التخلص منها ، اذ ان الجماهير الشعبية لا تهتم بالثقافة الحقيقية فى اى بلد من العالم قدر ما تهتم بها عندنا ، اذ ان قضايا هذه الثقافة لا توضع فى اى بلد بنفس القدر من العمق والانسجام الذى توضع به عندنا ؛ وان سلطة الدولة فى اى بلد من بلدان العالم لا تمارسها الطبقة العاملة التى يدرك سوادها تمام الادراك النواقص ، ولا اقول فى ثقافتها ، بل فى تعليمها الابتدائى ؛ وان الطبقة العاملة ليست مستعدة لأن تبذل ولا تبذل فعلا فى اى بلد آخر تضحيات بمثل هذه الجسامة ، التى تبذلها عندنا ، من اجل تحسين حالتها فى هذا الميدان .

اننا لا نزال نفعل القليل القليل ، القليل الى ما لا حد له ، من اجل تعديل كل ميزانية دولتنا بصورة تلبى بالدرجة الاولى حاجات التعليم الابتدائى العام . وحتى فى نطاق مفوضية الشعب للتعليم ، يمكننا ان نجد فى معظم الاحيان عددا مضخما بصورة فظيعة من الموظفين فى مؤسسة كدار الدولة للطبع والنشر مثلا ، وهذا دون اى اهتمام بانه يجب على الدولة ان تعنى ، قبل كل شىء ، لا بالطبع والنشر ، بل بان يكون هناك قرّاء ، بان يزداد عدد الاشخاص الذين يعرفون القراءة ، لكى تأخذ حركة الطبع والنشر مدى سياسيا اوسع فى روسيا المقبلة . ونحن ، حسب عادتنا القديمة (والسيئة) ، نخصص للمسائل التكنيكية كمسألة الطبع والنشر ، من الوقت والجهود اكثر بكثير مما تخصص لمسألة سياسية عامة ، هى مسألة تعليم الشعب القراءة والكتابة .

واذا اخذنا الادارة العامة للتعليم المهنى ، فنحن على يقين بانه يمكننا ان نجد هناك ايضـــا كثرة كثيرة من الامور النافلـــة ، التى تضخمها مصلحة دواوينية ضيقة ، والتى لا تهتدى بضرورات التعليم العام الواسع . وما يجرى فى الادارة العامة للتعليم المهنى لأبعد من ان تبرره كله الرغبة المشروعة فى انهاض تعليم شبيبتنا فى المصانع والمعامل اولا ، ثم توجيه هذا التعليم توجيها عمليا . واذا درسنا بانتباه قوام هذه الادارة ، لوجدنا فى هذا المجـــال كثرة كثيرة من العناصر المتضخمة والصورية من وجهة النظر هذه ، ومما يجب الغاؤه . ففى الدولة البروليتارية الفلاحيـــة ، يمكن ويجب ، قصد تطوير التعليم الاولى ، توفير الكثير والكثير ، سواء بالغاء جميع اللعبات من الطراز نصف الاريستقراطى ، او بالغاء المؤسسات التى نستطيع وسنستطيع ويترتب علينا زمنـــا طويلا الاستغناء عنها ، نظرا لحالة التعليم الاولي التى كشفتها الاحصاءات .

ينبغى لنا ان نؤمن للمعلم الشعبى عندنا مكانة رفيعـــة لم يملكها قط ولا يملكها ولا يمكن له ان يملكهـــا فى المجتمـــع البرجوازى . وهذه حقيقة لا تحتاج الى برهان . وينبغى لنا ان نسير نحو هذا الوضع عاملين بانتظام ومثابرة ودأب على رفـــع مستوى المعلم فكريا وعلى اعداده من جميع النواحى لحمل لقبه السامى حقا ؛ ولكن الرئيسى ، الرئيسى ابدا ودائما هو العمل على تحسين وضعه المادى .

يجب تعزيز العمـــل التنظيمى بين المعلمين الشعبيين بدأب وانتظام ، لكى نحولهم من سند للنظام البرجوازى ، كما هم عليه حتى الآن فى جميع البلدان الرأسمالية دون استثناء ؛ الى سنـــد للنظام السوفييتى ، لكى نستطيـــع بواسطتهم صرف الفلاحين عن التحالف مع البرجوازية واجتذابهم الى التحالف مع البروليتاريا .

واني اشير بايجاز الى ان الزيارات الدائبة المنتظمة الى الريف

يجب ان تضطلع بدور خاص فى هذا الصـــدد ، مع العلم ان هذه الزيارات تجرى عندنا منذ حين ، وانه ينبغى تطويرها بصـــورة منهاجيـــة . وللتدابير من نوع هذه الزيارات ، يجدر تخصيص اعتمادات غالبا جدا ما نبددها بلا فائدة على جهاز دولة يعود بكليته تقريبا الى مرحلة تاريخية قديمة .

لقد كنت اجمع المواد للخطاب الذى لم استطع ان القيـــه فى مؤتمر السوفييتـــات ، فى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٢ ، والذى كان يتناول قضية رعايـــة عمال المدن لسكان الارياف . وبعض هذه المواد قدمها لى الرفيق خودوروفسكى . وانى اعرض اليوم هذه المسألة على الرفاق ليدرسوها ، طالما قد استحال علي بحثها بنفسى واذاعتها بواسطة مؤتمر السوفييتات .

والمسألة السياسية الاساسية هنا انما هى مسألـــة موقف المدينة من الريف ، هذه المسألة التى تتسم باهمية حاسمة بالنسبة لكامل ثورتنا . فبينا الدولة البرجوازية تبذل جهدها بدأب وانتظام لتخبيل عمال المدينة ، مكيّفة لهذا الغرض جميع المنشورات المطبوعة على نفقة الدولة ، على نفقـــة الاحزاب القيصريـــة والبرجوازية ، نستطيع ويجب علينا ان نستخدم سلطتنـــا لكى نجعل فعلا من عامل المدينة ناشرا للافكار الشيوعية فى صفوف البروليتاريا الريفية .

قلت «الشيوعية» ، ولكنى ابادر الى ابداء بعض التحفظات ، خوفا من اثارة سوء فهم او من ان يفهمنى القارئ فهما حرفيـــا بالغا . ان ما قلته انما يجب الاّ يفهم فى اى حال من الاحوال بمعنى انه يترتب علينا ان نحمل فورا الى الريف أفكارا شيوعية صرفة ضيقة المفهوم . فيمكن البت بان ذلك سيعنى القيام بعملٍ ضار ، بعمل مشؤوم على الشيوعية ، طالما لا نملكُ فى الارياف قاعدة مادية من اجل الشيوعية .

كلا . يجب البدء باقامة التعاشر بين المدينة والريف ، دون ان نستهدف مسبقا غرس الشيوعية فى الارياف . فان هذا الهدف لا يمكن بلوغه اليوم . وليس الوقت وقته . ان ابتغاء هذا الهدف لن يفيد قضيتنا بل يسىء اليها .

اما ان نقيم التعاشر بين عمال المدينة وشغيلة الريف ، ان نقيم بينهم شكلا للرفقة يمكن بسهولة ايجاده ، فهذا هو واجبنا ، وهذه هى مهمة من المهام الاساسية التى تواجه الطبقة العاملة القابضة على زمام السلطة . ولهذا الغرض ، من الضرورى تأسيس جملة من الاتحادات (الحزبية والنقابية والخاصة) تتألف من عمال المصانع والمعامل ، ويكون هدفها المساعدة بانتظام على تطوير الارياف فى المضمار الثقافى .

فهل نتمكن من «ربط» جميع خلايا المدينة بجميع خلايا الريف ، لكى تحرص كل خلية عمالية «مربوطة» بخلية ريفية ، على ان تستفيد بانتظام من كل فرصة سانحة لاجل تلبية هذه الحاجة الثقافية او تلك من حاجات الخلية المربوطة بها ؟ ام اننا سنتمكن من ايجاد اشكال اخرى للصلة ؟ انى اقتصر هنا على طرح المسألة لكى الفت اليها انتباه الرفاق ، لكى اشير الى تجربة سيبيريا الغربية (ان الرفيق خودوروفسكى هو الذى افادنى عنها) ، لكى ابرز هذه القضية الثقافية الهائلة ذات الاهمية التاريخية العالمية ، بكل مداها .

اننا نكاد لا نفعل شيئا من اجل الارياف خارج ميزانيتنا الرسمية او خارج علاقاتنا الرسمية . صحيح ان العلاقات الثقافية بين المدينة والارياف ترتدى عندنا تلقائيا وترتدى حتما طابعا آخر تماما . فقد كانت المدينة فى ظل النظام الرأسمالى تقدم للريف ما كان يفسده سياسيا واقتصاديا واخلاقيا وجسديا ، الخ .. اما عندنا فان المدينة تبدأ تلقائيا فى تقديم شىء ما معاكس تماما

للريف . ولكن هذا كله يجرى بالضبط تلقائيا ، عفويا ؛ ومن الممكن تعزيز كل ذلك (ثم مضاعفته مئة ضعف) اذا جعلنا هذا العمل واعيا ، منهاجيا ، منتظما .

اننا لن نشرع فى التقدم الا عندما ندرس هذه المسألة ، عندما نؤسس اتحادات عمالية من كل شاكلة ونوع ، ــ مع وقايتهـــا بجميع الوسائل من تفشى الروح البيروقراطية فيها ، ــ لكى نطرح هذه القضية ونبحثها ونحلها عمليا (وحينذاك سنتقدم بكل تأكيد بسرعة تزيد مئة مرة) .

٢ كانون الثانى (يناير) ١٩٢٣

«البرافدا» ، العدد ٢ ،
٤ كانون الثانى (يناير) ١٩٢٣

المجلد ٤٥ ، ص ص
٣٦٣ ــ ٣٦٨

حول التعاون

(مقتطفان)

. . . فمن وجهة نظر الاوروبى «المتمدن» (الذى يعرف على الاقل ، مبادئ القراءة والكتابة) ، يترتب علينا بذل القليل من الجهد لكى يشترك جميع السكان فى عمليات التعاونيات ولكى يكون هذا الاشتراك نشيطاً لا خاملا . وبتعبير أوضح ، يترتب علينا «**فقط**» ان نجعل السكان فى بلادنا «متمدنين» الى حدّ ان يدركوا جميع المنافع التى يوفرها تعميم الاشتراك فى التعاونيات ، وان ينظموا هذا الاشتراك على خير وجه . «**فقط**» هذا . هنا زبدة الحكمة . هذا كل ما يقتضى لنا من اجل الانتقال الى الاشتراكية . ولكن هذا الـ «فقط» يتطلب ثورة باكملها ومرحلة من التطور الثقافى لدى جماهير السكان بكليتها . ولهذا ينبغى لنا ان نلجأ اقل ما يمكن الى الحذلقة والابهام . ومن هذه الناحية ، تكون السياسة الاقتصادية الجديدة خطوة الى امام بمعنى انها تتكيّف بالنسبة لمستوى الفلاح العادى تماماً ، ولا تطلب منه شيئاً يفوق طاقته ؛ ولكن ، اذا اردنا ، عن طريق السياسة الاقتصادية الجديدة ، ان يتوصل مجموع السكان الى الاشتراك فى التعاونيات ، فينبغى لهذا الغرض مرحلة تاريخية كاملة . فاذا حالفنا التوفيق ، فاننا نتمكن من اجتياز هذه المرحلة فى مدى عشر سنوات أو عشرين سنة . ومع ذلك ، ستكون هذه المرحلة مرحلة تاريخية خاصة ، ودون هذه المرحلة التاريخية ، دون تعميم التعليم ، دون ادراك الامور ادراكاً كافياً ، دون تعويد السكان الى

حدّ كاف على استخدام الكتب ، دون أساس مادى لذلك ، دون بعض الضمانات ، مثلا ، ضد رداءة الموسم ، ضد المجاعـــة ، الخ . ــ بدون كل ذلك لن نبلغ هدفنا . وكل ما فى الامر الآن هو ان نعرف كيف نؤالف هذا الاندفاع الثورى ، هذه الحماسة الثورية التى سبق لنا ان ابديناها الى حدّ كاف والتى تكللت بالنجاح التام ، ــ ان نعرف كيف نؤالف هذه الحماسة الثورية (وهنا اكاد اقول) مع حنكة تاجر ذكى ومتعلم ، وذلك كاف تماماً لتعاونى صالح . وانى اعنى بحنكة تاجر حنكة تاجر متمدن . هذا ما ينبغى ان يدركه جيداً الروس أو بالاحرى الفلاحون الذين يفكرون على النحو التالى : طالما انه يتاجر ، فذلك يعنى ان لديه حنكة تاجر . هذا تفكير خاطئ اطلاقاً . اجل انه يتاجر ، ولكن ما يزال ثمة بون شاسع بين هذه المتاجرة وبين حنكة تاجر متمدن . انه يتاجر الآن على الطريقة الاسيوية . بينما يقتضى على التاجر الحقيقى ان يتاجر على الطريقة الاوروبية . والحال ، ثمة مرحلة كاملة تفصله عن هـــذه الطريقة الاوروبية .

. . . اين وجه الخيال فى برامج قدماء التعاونيين ، ابتداء من روبرت اوين ؟ ذلك ان هؤلاء القوم كانوا يحلمون بتحويل المجتمع المعاصر بصورة سلمية وبواسطة الاشتراكية ، دون ان يحسبوا حساباً لهذه المسألة الاساسية التى هى مسألة النضال الطبقى واستيلاء الطبقة العاملة على السلطة السياسية ودك سيطرة طبقة المستثمِرين . ولهذا نكون على حـــق حين نقول ان هذه الاشتراكية «التعاونية» لا تنطوى الا على كل طوبوى وعلى شىء رومانطيقى ، بل مبتذل ، اذ انها تحلم بتحويل الاعداء الطبقيين الى معاونين طبقيين ، والنضال الطبقى الى سلام طبقى (الى مـــا يسمى سلاماً اهلياً) بمجرّد اشاعة التعاونيات بين السكان .

من المؤكد اننا على صواب ، من وجهة نظر المهمة الاساسية الموضوعة امام عصرنا ، لأنه يستحيل تحقيق الاشتراكية دون نضال طبقى من اجل السلطة السياسية فى الدولة .

ولكن انظروا كيف تغيّرت الاحوال الآن حين غدت سلطة الدولة بيد الطبقة العاملة ، وحين تم اسقاط سلطة المستثمِرين السياسية ، وحين اصبحت جميع وسائل الانتاج بيد الطبقة العاملة (باستثناء وسائل الانتاج التى تعطيها دولة العمال بملء رضاها الى المستثمِرين ، وذلك عن طريق الامتيازات ، ولفترة معينة من الزمن ، وببعض الشروط) .

فاليوم يحق لنا ان نقول ان مجرد تطور التعاون يعنى فى نظرنا تطور الاشتراكية بالذات (مع أخذ الاستثناء «الصغير» المشار اليه اعلاه بعين الاعتبار) . ومع ذلك يترتب علينا ان نقرّ ان كل وجهة نظرنا حول الاشتراكية قد تغيرت تغيراً جذرياً . اما قوام هذا التغير الجذرى فهو التالى : فيما مضى كنا نوّجه وكان ينبغى علينا ان نوجه محور النشاط نحو النضال السياسى ، والثورة ، والاستيلاء على السلطة ، الخ . . . اما اليوم ، فان محور النشاط ينتقل الى مكان آخر : الى العمل «الثقافى» التنظيمى السلمى . وقد أقول ان محور النشاط ينتقل بنظرنا نحو النشاط التثقيفى ، لولا العلاقات الدولية ، لولا الواجب الذى يقضى علينا بالنضال من اجل موقعنا على النطاق الدولى . ولكن اذا طرحنا جانباً الوضع الدولى واكتفينا بعلاقاتنا الاقتصادية الداخلية ، فان محور عملنا ينحصر اليوم فى النشاط التثقيفى .

ثمة مهمتان اساسيتان تقعان على عاتقنا وتشكلان مرحلة من المراحل . المهمة الاولى هى اعادة بناء جهازنـــا الادارى الذى لا لا يصلح لشىء والذى ورثناه بكليته عن العهد السابق ؛ ففى مدى خمس سنوات من النضال ، لم يتوافر لنا الوقت لاجراء اى تعديل

جدىّ فى هذا الميدان ولم يكن بوسعنا القيام بذلك . اما المهمة الثانية ، فهى القيام بعمل ثقافى بين جماهير الفلاحين . والحال ، ان الهدف الاقتصادى من هذا العمل الثقافى بين الفلاحين ، انما هو التعاون بالضبط . فاذا استطعنا تنظيم جميع السكان فى التعاونيات ، رسخت اقدامنا فى الميدان الاشتراكي . ولكن هذا الشرط ، ــ اى تنظيم جميع السكان فى التعاونيات ــ يفترض درجة من الثقافة لدى الفلاحين (واقول الفلاحين ، لأنهم يشكلون جمهوراً غفيراً جداً) يستحيل معها تعميم هذا التنظيم فى التعاونيات دون ثورة ثقافية كاملة .

لقد قال لنا اخصامنا مراراً عديدة اننا نقوم بعمل أخرق ، لأننا نريد غرس الاشتراكية فى بلد غير مثقف ثقافة كافية . ولكنهم كانوا على ضلال حين اتهمونا باننا لم نبدأ من حيث كان يقتضى الامر البدء حسب النظرية (نظرية المتحذلقين من كل شاكلة وطراز) ، وبان الانقلاب السياسى والاجتماعى فى بلادنا قد سبق هذا الانقلاب الثقافى ، هذه الثورة الثقافية التى تواجهها مع ذلك الآن .

يكفى لنا اليوم ان نقوم بهذه الثورة الثقافية لكى تغدو بلادنا اشتراكية تماماً . ولكن هذه الثورة الثقافية تنطوى ، بالنسبة لنا ، على مصاعب لا تصدّق ، مصاعب ثقافية صرف (فنحن اميون) ، ومصاعب مادية ايضاً (فلكى نصبح اناساً مثقفين ، ينبغى ان تكون وسائل الانتاج المادية قد بلغت درجة معينة من التطور ، ينبغى امتلاك قاعدة مادية معينة) .

٦ كانون الثانى (يناير) ١٩٢٣

صدر لاول مرة فى «البرافدا» فى العددين ١١٥ و١١٦ ، بتاريخ ٢٦ و٢٧ ايار (مايو) ١٩٢٣

المجلد ٤٥ ، ص‌ص ٣٧٢ ــ ٣٧٣ ، ٣٧٥ ــ ٣٧٧

(بصدد مذكرات ن . سوخانوف)

(مقتطف)

٢

تقولون : لأجل بناء الاشتراكية ، ينبغى ان نكون متمدنين . جيّد جداً ، ولكن ، لم لا نستطيع أن نبدأ بتوفير هذه الشروط المسبّقة للمدنية عندنا كطرد الملاكين العقاريين وطرد الرأسماليين الروس لكى نبدأ سيرنا بعد ذلك نحو الاشتراكية ؟ فى أية كتب قرأتم ان مثل هذه التغييرات فى التسلسل التاريخى العادى هى أمر غير مقبول او غير ممكن ؟

اذكر ان نابليون قال : « On s'engage et puis. . . on voit » ، وهذا يعنى بالترجمة الحرة : « اولاً ، يدخل المرء معركة جدية ثم . . . يرى » . وهذا ما فعلناه : اولاً ، دخلنا معركة جدّية فى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ ، ثم بيّن لنا مجرى الاحداث تفاصيل (ليست بلا ريب ، من وجهة نظر التاريخ العالمى ، سوى تفاصيل) كصلح بريست (٣٩) ، او « النيب » (السياسة الاقتصادية الجديدة) ، الخ . . ولا سبيل الى الشك ، فى الوقت الحاضر ، أننا ، من حيث الاساس ، قد أحرزنا النصر .

غير ان سوخانوف وأضرابه فى بلادنا ، وبالاحرى الاشتراكيين-الديموقراطيين الواقفين أبعد منهم الى اليمين ، حتى لا يحزرون انه لا يمكن للثورات ، بوجه عام ، ان تتم على نحو آخر . بل ان

برجوازيينا الصغـــــار الاوروبيين حتى لا يحزرون ان الثـــورات اللاحقة ــ فى بلدان الشرق حيث عدد السكان أكثر الى ما لا حد له وحيث الأوضاع الاجتماعية أكثر تنوعاً الى ما لا حد لـــــه ،ــ ستفاجئهم ، بكل تأكيد ، بقدر من الميزات الخاصة أكثر بكثير مما أعطته الثورة الروسية .

يقيناً ان الكتاب الدراسى الموضوع حسب مفاهيم كاوتسكى ، قد كان جدّ مفيد فى حينه . ولكنه آن الأوان ، فى الحقيقة ، للتخلى عن الفكرة التى تزعم ان هذا الكتاب قد توقّع جميع أشكال التطور اللاحق فى التاريخ العالمى . ان من يعتقدون ذلك ، انما آن الأوان لنعتهم بكل بساطة بانهم أغبياء .

١٧ كانون الثانى (يناير) ١٩٢٣ .

نشر فى جريدة «البرافدا» فى العدد ١١٧ ، فى ٣٠ ايار (مايو) ١٩٢٣

المجلد ٤٥ ، ص‌ص ٣٨١ــ٣٨٢

ملاحظات

١ ــ «**بم يفكر وزراؤنا ؟**» ــ احدى المقالات التى كان يجب نشرهـــا فى جريدة «رابوتشيه ديلو» («قضية العمال») التى كان يستعد «اتحاد النضال من اجل تحرير الطبقة العاملة» فى بطرسبورغ لاصدارها . العدد الاول من «رابوتشيه ديلو» اختار لينين مواده وحرره . ــ ص ١٧

٢ ــ **السنودس المقدس** . الهيئة العليا لادارة الكنيسة الارثوذكسيـــة فى روسيا القيصرية . ــ ١٧

٣ ــ المقصود هنا مدارس الاحد لأجل الراشدين ، ولا سيما لأجل العمال . استغلت الاشتراكية ــ الديموقراطية الثورية مدارس الاحد لأجـل تربية العمال سياسيا . ــ ١٧

٤ ــ فى عام ١٨٦١ الغى **نظام القنانة** فى روسيا . وقد حققت الحكومـة القيصرية الاصلاح بحيث يؤمن الى اقصى حد مصالح الاقطاعيين ــ الملاكين العقاريين : فقد ابقيت ملكية الارض للملاكين العقاريين ، واعلنت الاراضى الفلاحية ملكا للملاكين العقاريين . كان بوسع الفلاح ان يحصل ، لقاء تعويض ، على حصة الارض بموجب معدل اقره القانون بصرامة (وبعد موافقة الملاك العقارى) . خلال بضـــع سنوات ، ظل الفلاحون حتى بعد الغاء نظام القنانة «ملزمين موقتا» اى انهم كانـــوا ملزمين بفرائض بصورة الاتاوات او السخرة حيال الملاكين العقاريين . وعند تطبيق الاصلاح الزراعى ، اقتطع فى صالح الملاكين العقاريين اكثر من خمس الاراضى التى كان يتمتـــع

بها الفلاحون فى ظل نظام القنانة . وهذه الاراضى المقتطعة او «الاوتريزكى» (الاقتطاعات) كما كانوا يسمونها ، كانت افضل حصص الفلاحين من الاراضى (المروج ، المساقى ، المراعى ، والخ .) ، اى الاراضى التى كان يستحيل بدونها على الفلاحين تسيير اقتصاد مستقل . ويستفاد من حسابات تقريبية ان رقعة الاراضى التى كان يملكها النبلاء بعد الاصلاح بلغت ٧١,٥ مليون ديسياتين (الديسياتين يوازى ١,٠٩٢٥ هكتار) ، بينما كان ملايين وملايين الفلاحين يملكون ٣٣,٧ مليون ديسياتين فقط .

وبموجب اصلاح ١٨٦١ ، تم اجمالا تحرير ٢٢ مليونا ممن كانوا يسمون بفلاحى الملاكين العقاريين .

وصف لينين اصلاح ١٨٦١ بانه اول عنف جماهيرى بحق الفلاحين لما فيه مصلحة الرأسمالية الناشئة فى الزراعة ، وبانه «تطهير للارض» على يد الملاكين العقاريين فى صالح الرأسمالية .
ـ ص ٢٢

٥ ـ **دوما الدولة** . مؤسسة تمثيلية اضطرت الحكومة القيصرية الى عقدها بنتيجة الاحداث الثورية فى عام ١٩٠٥ . شكلا كان دوما الدولة هيئة تشريعية ؛ اما فى الواقع ، فانه لم يكن يتمتع باى سلطة فعلية . لم تكن الانتخابات الى دوما الدولة لا مباشرة ولا متساوية ولا عامة . وكانت الحقوق الانتخابية للطبقات الكادحة وكذلك للقوميات غير الروسية القاطنة فى روسيا مبتورة جدا ، وكان قسم كبير من العمال والفلاحين لا يتمتعون البتة باى حقوق انتخابية .

دوما الدولة الاول (نيسان ـ حزيران ١٩٠٦) **ودوما الدولة الثانى** (شباط ـ حزيران ١٩٠٧) حلتهما الحكومة . بعد ان قامت الحكومة فى ٣ حزيران (يونيو) ١٩٠٧ بانقلاب ، اصدرت قانونا انتخابيا جديدا بتر من حقوق العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة فى المدن فوق ما كانت عليه من ضيق ، وأمن السيادة التامة لكتلة الملاكين العقاريين وكبار الرأسماليين الرجعية فى دوما الدولة الثالث (١٩٠٧ـ١٩١٢) ودوما الدولة الرابع (١٩١٢ـ١٩١٧) .
ـ ص ٢٤

٦ ـ **«الريتش»** («الكلام») ، جريدة يومية ، لسان الحال المركزى لحزب الكاديت . صدرت فى بطرسبورغ من ١٩٠٦ الى ١٩١٨ . ـ ص ٢٤

٧ ـ **الكاديت** (الحزب الدستورى الديموقراطى) ـ حزب البرجوازية الليبيرالية الملكية ، والحزب البرجوازى الرئيسى فى روسيا القيصرية . تأسس فى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠٥ . تستر الكاديت بالديموقراطية المزيفة ناعتين انفسهم «بحزب حرية الشعب» ، ولكنهم حاولوا جهدهم الابقاء على النظام القيصرى بشكل ملكية دستورية . بعد انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى ، دبر الكاديت المؤامرات والانتفاضات ضد الجمهورية السوفييتية . ـ ص ٢٤

٨ ـ **الاكتوبريون** ـ اعضاء حزب «اتحاد ١٧ اكتوبر» الذى تشكل فى روسيا بعد نشر بيان القيصر فى ١٧ (٣٠) تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠٥ . كان حزبا معاديا للثورة يمثل ويذود عن مصالح البرجوازية الكبيرة والملاكين العقاريين ممن يديرون استثماراتهم بالاساليب الرأسمالية . دعم الاكتوبريون كليا سياسة الحكومة القيصرية الداخلية والخارجية . ـ ص ٢٤

٩ ـ **التقدميون** ـ كتلة سياسية للبرجوازية الملكية الليبيرالية الروسية حاولت فى انتخابات دومات الدولة وداخل هذه الدومات ان تلف تحت راية «اللاحزبية» عناصر من مختلف احزاب وكتل البرجوازية والملاكين العقاريين .

فى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩١٢ ، تشكل التقدميون فى حزب سياسى متميز اقر البرنامج التالى : دستور معتدل ينص على نصاب انتخابى مالى كبير ، اصلاحات طفيفة ـ وزارة مسؤولة ، اى حكومة مسؤولة امام الدوما ، قمع الحركة الثورية . بعد ثورة شباط (فبراير) البرجوازية الديموقراطية لعام ١٩١٧ ، اشترك بعض زعماء الحزب فى الحكومة الموقتة البرجوازية . بعد انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى ، ناضل حزب التقدميين بنشاط ضد السلطة السوفييتية . ـ ص ٢٦

١٠ ــ **«التزودوفيك»** («فرقة العمل») ــ فرقة الديموقراطيين البرجوازيين الصغار فى مجالس دوما الدولة فى روسيا ؛ تألفت من الفلاحين والمثقفين ذوى التفكير الشعبى . تشكلت فرقة التزودوفيك فى نيسان (ابريل) ١٩٠٦ من النواب الفلاحين فى دوما الدولة الاول .

تقدم التزودوفيك بمطلب الغاء جميع القيود على الفئات الاجتماعية والقومية ، واشاعة الديموقراطية فى الادارة الذاتية الزيمستفوية والمدينية ، ومطلب تطبيق الحق الانتخابى العام فى الانتخابات لدوما الدولة .

فى ١٩١٧ أيدوا بنشاط الحكومة البرجوازية الموقتة . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، انحاز التزودوفيك الى صف الحركة البرجوازية المعادية للثورة . ــ ص ٢٨

١١ ــ **«اضواء على مسألة سياسة وزارة التعليم الشعبى»** ــ مشروع خطاب كتبه لينين لكى يلقيه نائب بلشفى فى الدوما . فى جلسة ٤ (١٧) حزيران ١٩١٣ ، القى بادايف خطابا فى هذه المسألة عند مناقشة تقرير لجنة الميزانية فيما يتعلق بتقدير نفقات وزارة التعليم لعام ١٩١٣ . وقد تلا بادايف مشروع لينين فى الدوما بنصه الحرفى كليا تقريبا ، ولكنه لم يستطع القاء الخطاب الى آخره . فبسبب قوله : «ألا تستحق هذه الحكومة ان يطردها الشعب ؟» ، منع من مواصلة الكلام . ــ ص ٣١

١٢ ــ **مجلس الدولة** ــ احدى الهيئات العليا للدولة فى روسيا القيصرية . انشىء فى عام ١٨١٠ بوصفه مؤسسة استشارية ، كان القيصر يعين اعضاءها . كان مجلس الدولة مؤسسة رجعية ، وكان يرفض حتى مشاريع القوانين المعتدلة التى يقرها دوما الدولة . ــ ص ٣٤

١٣ ــ **اوريادنيك** ــ ادنى رتبة فى البوليس فى روسيا ما قبل الثورة . ــ ص ٣٧

١٤ ــ **المئة السود** ، عصابات ملكية شكلها البوليس القيصرى لمكافحة الحركة الثورية . كان المائة السود يغتالون الثوريين ويهاجمون المثقفين التقدميين وينظمون مذابح اليهود . ــ ص ٣٧

١٥ ــ المقصود هنا انقلاب ٣ حزيران ١٩٠٧ ، واصدار الحكومة لقانون انتخابى جديد (راجعوا الملاحظة رقم ٥) . ــ ص ٣٧

١٦ ــ **«نيفسكايا زفيزدا»** («نجمة النيفا») ــ جريدة علنية (شرعية) بلشفية . صدرت فى بطرسبورغ من ٢٦ شباط ــ فبراير (١٠ آذار ــ مارس) حتى ٥ (١٨) تشرين الاول ــ اكتوبر ١٩١٢ . صدر منها ٢٧ عددا . كان لينين يشرف من الخارج على قيادة الجريدة الفكرية . تعرضت الجريدة على الدوام لملاحقات الحكومة . ــ ص ٤١

١٧ ــ المقصود هنا ثورة ١٩٠٥ــ١٩٠٧ فى روسيا . ــ ص ٤٣

١٨ ــ **استقلال الثقافة القومية الذاتى** هو برنامج انتهازى فى المسالة القومية تقدم به فى العقد العاشر من القرن الماضى الاشتراكيان-الديموقراطيان النمساويان باور ورينر . وهذا البرنامج يتلخص فى جوهره فيما يلى : ان ابناء القومية الواحدة الذين يعيشون فى بلاد معينة يؤلفون ، بصرف النظر عن الناحية التى يعيشون فيها ، اتحادا قوميا ذا استقلال ذاتى تضع الدولة بصورة تامة ضمن صلاحياته الشؤون المدرسية (مدارس على حدة لاولاد كل قومية من القوميات) وغيرها من فروع التعليم والثقافة . وكان من شان هذا البرنامج ان يؤدى ، فيما لو تحقق ، الى زيادة نفوذ رجال الدين والعقلية القومية الرجعية فى كل جماعة قومية ويقيم الصعوبات فى وجه قضية تنظيم الطبقة العاملة اذ يعمق انقسام العمال على الاساس القومى . ــ ص ٤٦

١٩ ــ **«كييفسكايا ميسل»** («فكر كييف») ، جريدة يومية ذات اتجاه برجوازى ديموقراطى ، صدرت فى كييف من ١٩٠٦ الى ١٩١٨ . ــ ص ٤٨

٢٠ ــ **سيتش زابوروجييه** ــ تشكيلة للقوزاق الاوكرانيين فى اسافل نهر الدنيبر (كلمة «زابوروجييه» تعنى : «ما وراء الجنادل») اسسها فى النصف الاول من القرن السادس عشر الفلاحون الاقنان الفارون وفقراء المدن .

ناضلت سيتش زابوروجييه ضد التتر والاتراك ، واشتركت فى حرب الشعب الاوكرانى التحررية (١٦٤٨-١٦٥٤) . بعد انضمام

اوكرانيا الى روسيا ، احتفظت سيتش زابوروجييه ببعض الاستقلال الذاتى (الادارة الذاتية القوزاقية) . ــ ص ٢٠

٢١ ــ **«البوند»** («الاتحاد العام للعمال اليهود فى ليتوانيا وبولونيا وروسيا») ، تشكل سنة ١٨٩٧ . كان الاتحاد يتالف فى معظمه من العناصر شبه البروليتارية من الحرفيين اليهود فى مناطق غرب روسيا . وفى المؤتمر الاول لحزب العمال الاشتراكى-الديموقراطى الروسى (١٨٩٨) انضم البوند الى حزب العمال الاشتراكى-الديموقراطى الروسى .

كان البوند حاملا للنزعة القومية والانفصالية فى حركة العمال فى روسيا .

وفى داخل حزب العمال الاشتراكى-الديموقراطى الروسى كان البونديون يؤيدون على الدوام الجناح الانتهازى فى الحزب ؛ وخاضوا النضال ضد البلاشفة . عارض البوند مطلب البلاشفة البرنامجى بحق الامم فى تقرير مصيرها بالاستقلال الذاتى «الثقافى القومى» . ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ــ١٩١٨) ، وقف البونديون مواقف الاشتراكية-الشوفينية . وفى سنة ١٩١٧ ايد البوند الحكومة الموقتة البرجوازية وناضل الى جانب اعداء ثورة اكتوبر الاشتراكية . وفى آذار (مارس) سنة ١٩٢١ حل البوند نفسه . ــ ص ٥١

٢٢ ــ المقصود هنا مداولة الاحزاب البرجوازية الصغيرة ، الشعبية اليسارية ، من مختلف الامم ، او مداولة الاحزاب الاشتراكية القومية فى روسيا ، التى انعقدت من ١٦ الى ٢٠ نيسان (ابريل) ١٩٠٧ فى فنلنده .

اتخذت المداولة بضعة قرارات ــ حول عقد مؤتمر الاحزاب الاشتراكية القومية كل سنة ، وحول تنظيم امانة خاصة لأجل تنفيذ قرارات المداولة ، وحول العلاقات المتبادلة بين الاحزاب الاشتراكية القومية واصدار نشرة دورية للامانة . ــ ص ٥٥

٢٣ ــ **التصفويون** (دعاة التصفية) ــ انصار تيار انتهازى انتشر بعد هزيمة ثورة ١٩٠٥ــ١٩٠٧ فى صفوف المناشفة الذين كانوا يؤلفون الجناح الانتهازى لحزب العمال الاشتراكى-الديموقراطى الروسى .

طالب التصفويون بتصفية حزب الطبقة العاملة السرى الثورى . وعوضا عن الحزب الكفاحى ، كانوا يعتزمون انشاء «حزب عمـــال واسع» انتهازى يتخلى عن الشعارات الثورية ، ويكتفى بالنشـــاط العلنى الذى تجيزه الحكومة القيصرية . لم تحظ التصفوية باى نجاح بين جماهير العمال . طرد مجلس براغ العام (كونفيرنس براغ) لحزب العمال الاشتراكى-الديموقراطى الروسى ، المنعقد فى كانـــون الثانى (يناير) ١٩١٢ التصفويين من الحزب . ــ ص٥٥

٢٤ ــ **«الشعبيون اليساريون»** ، المقصود هنا الاشتراكيون-الثوريون . حزب للبرجوازية الصغيرة فى روسيا ، تشكل فى روسيا فى اواخر سنـــة ١٩٠١ ــ اوائل سنة ١٩٠٢ . ــ ص ٥٥

٢٥ ــ **المدارس الكنسية الابرشية** . مدارس ابتدائية فى روسيا القيصرية ، ما قبل الثورة ، كانت تحت اشراف الكنائس والابرشيات . كانت هذه المدارس تخصص المكان الرئيسى فى عملهـــا التعليمى للتعاليم الدينية وقراءة النصوص الدينية المكتوبة باللغة والحروف السلافية القديمة ، والترتيل الكنسى ؛ وكانت تولى تدريس اللغة الروسيـــة والحساب من الاهتمام اقل بكثير مما كانت توليه النماذج الاخرى من المدارس الابتدائية . كانت مدة التعليم فيها سنتين (وفى بعض المدارس ٤ سنوات) ثم زيدت الى ٣ سنوات (وفى بعض المدارس الى ٥ سنوات) . ــ ص ٥٧

٢٦ ــ **ارشين** ــ مقياس روسى للطول كان يستعمل قبل تطبيق نظام المقاييس المترى . الارشين يوازى ٧١,١٢ سنتمترا . ــ ص ٥٨

٢٧ ــ **قضية بيليس** ، قضية قضائية استفزازية لفقتها الحكومة القيصرية فى كييف ، عام ١٩١٣ ، ضد اليهودى بيليس . فقد اتهمته زورا بقتل صبى صغير مسيحى لغاية دينية طقسية (والحقيقة ان رجال المائة السود هم الذين نظموا ارتكاب الجريمة) . وقد لفقت الحكومة القيصرية هذه القضية بغية بعث شعور العداء ضـــد اليهود واثارة المذابح ضدهم ، مما يصرف الجماهير عن الحركة الثورية المتنامية فى البلاد . الا ان المحاكمة استثارت حملة قويـــة من الاستنكار

الاجتماعى حتى ان العمـــــال تظاهروا فى بعض المدن . وقد برئ بيليس . ــ ص ٦١

٢٨ ــ لم تصدر دار «باروس» كتاب ناديجدا قسطنطينوفنا كروبسكايا ، عقيلة لينين ، «التعليم الشعبى والديموقراطية» ، كما كان متوقعا . لم يصدر الكتـــاب الا فى عام ١٩١٧ ، وذلك عن دار «جيزن اى زنانيه» («الحياة والمعرفة») . ــ ص ٦٥

٢٩ ــ **مؤتمر المعلمين الاميين الثانى لعامة روسيا** ــ انعقد من ١٢ الى ١٩ كانون الثانى (يناير) ١٩١٩ فى موسكو . نشأ اتحاد المعلمين الاميين فور تشكيل مفوضيـــة الشعب للتعليم وقدم لها مساعدة كبيرة فى عملها .

ضمّ اتحاد المعلمين الاميين ذلك الفريق من المعلمين الذى كان يروج بافكار الاشتراكية ويعمل بهمة ونشاط ضد القسم المتاخر من المعلمين الذى كان يعتبر انه يجب على المدرسة ان تبقى فى معزل عن السياسة وان تكون مفصولة عن الدولة .

طرح لينين فى تحيته مهمة تاسيس نقابة للمعلمين «اوســـع وشاملة قدر الامكان» . اعترف القرار الذى اتخذه المؤتمر بضرورة تنظيم «اتحاد شغيلة التعليم والثقافة الاشتراكية لعامة روسيا» . ــ ص ٧٣

٣٠ ــ **مؤتمر النقابات الثانى لعامة روسيا** انعقـــد من ١٥ الى ٢٥ كانون الثانى (يناير) ١٩١٩ فى موسكو . ــ ص ٧٥

٣١ ــ يقصد لينين النظرات الغريبة عن الماركسية ، التى جرى غرسها باسم «الثقافة البروليتارية» . كانت المنظمة الثقافية التعليمية «بروليت كولت» ــ اسم مختصر من كلمتى «بروليتارسكايا كولتورا» («الثقافة البروليتارية») ــ تابعة لمفوضية الشعب للتعليم بوصفهـا منظمـــة طوعية للمبـــادرة البروليتاريـــة فى مختلف ميادين الفن . تشكلت «بروليت كولت» رسميا كمنظمة فى ايلول (سبتمبر) ١٩١٧ . وبعد ثورة اكتوبر ايضـــا ، واصلت «بروليت كولت» الذود عـــن «استقلال»ها ، وبذلك اخذت جانب المعارضة ضد الحزب الشيوعى

والدولة البروليتارية . ومن جراء ذلك تسرب المثقفون البرجوازيون الى «بروليت كولت» واخذوا يؤثرون فيها التأثير الحاسم . انكر اعضاء «بروليت كولت» عمليا اهمية التراث الثقافي من الماضي وسعوا الى تجنب اداء مهام العمل الثقافي والتعليمي بين الجماهير والى انشاء «ثقافة بروليتارية» خاصة بمعزل عن الحياة و«بسبيل مختبرى» . لم تكن «بروليت كولت» منظمة متجانسة . فالى جانب المثقفين البرجوازيين الذين كانوا يضطلعون بالدور الاول فى كثير من فروع «بروليت كولت» ، كان هناك ايضا عمال شباب يرغبون بكل صدق فى ان يساعدوا الدولة السوفييتية فى البناء الثقافى . بلغت «بروليت كولت» اوج تطورها فى عام ١٩١٩ . فى بداية العشرينيات ، اخذت هذه المنظمة تنهار ، وفى عام ١٩٣٢ ، زالت من الوجود .ـ ص ٨٠ .

٣٢ ـ المقصود هنا المرسوم **«حول تعبئة المتعلمين وتنظيم الدعاية للنظام السوفييتى»** الذى اقره مجلس مفوضى الشعب فى ١٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٨ ونشرته جريدة «ازفستيا فتسيك» فى العدد ٢٧٢ بتاريخ ١٢ كانون الاول . اقترح المرسوم احصاء جميع السكان المتعلمين مع فرز الرواة الجيدين منهم بغية تنظيمهم فى فرق يتعين عليها «. . . اولا ، اطلاع السكان الاميين على جميع تدابير الحكومة ، وثانيا ، الاسهام فى تطوير جميع السكان على العموم سياسيا . . .» ـ ص ٨١

٣٣ ـ **مرسوم مجلس مفوضى الشعب «حول اللجنة العليا للتثقيف السياسى فى الجمهورية** (غلاف بوليت بروسفيت)» الذى تم وضعه بناء على توجيهات لينين ، وقعه لينين فى ١٢ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٢٠ ، ونشرته جريدة «ازفستيا فتسيك» فى العدد ٢٦٣ بتاريخ ٢٣ تشرين الثانى ١٩٢٠ . ـ ص ١١٩

٣٤ ـ **دول الوفاق** ، Entente ـ كتلة من الدول الامبريالية (بريطانيا وفرنسا وروسيا) تشكلت نهائيا فى عام ١٩٠٧ . وكانت موجهة ضد امبرياليى الحلف الثلاثى (المانيا ، النمسا ـ المجر ، ايطاليا) . وقد

اخذت اسمها من الاتفاقية الانجلو-فرنسيـــة المعقودة فى عـام ١٩٠٤ "Entente Cordiale" («الوفـاق القلبى») . وابان الحرب الامبريالية العالميـــة (١٩١٤-١٩١٨) ، انضمت الى دول الوفاق الولايات المتحدة الاميركية واليابان وغيرهمـــا . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى ، كان المشتركون الرئيسيون فى هذه الكتلة ، اى بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الاميركية واليابان ، هى التى كانت صاحبة المبادرة الى التدخل المسلح ضد البلاد السوفييتية والمشجعة عليه ، والمنظمة له ، ناهيك بانها شاركت فيه . ــ ص ١٣٢ .

٣٥ ــ **السياسة الاقتصادية الجديدة («النيب»)** ــ السياسة الاقتصادية للدولة البروليتارية فى مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية . وقد اسميت هذه السياسة «بالجديدة» خلافا للسياسة الاقتصادية التى كانت مطبقة فى روسيا السوفييتية فى مرحلة التدخل الحربى الاجنبى والحرب الاهلية والتى دخلت التاريخ تحت اسم سياسة «الشيوعية الحربية» (١٩١٨-١٩٢٠) . وقد اتصفت هذه السياســـة الاخيرة باقصى التمركز فى انتاج وتوزيع المنتوجات ، وبمنع التجارة الحرة ، وبالمصادرة العينية التى كان الفلاحون يسلمون الدولة بموجبها جميع فوائض المنتوجات الزراعية .

ومع الغاء المصادرة العينية ، والانتقال الى الضريبة العينيـــة ، توافرت للفلاحين امكانية التصرف الحر بفوائض منتوجاتهم وبيعها فى السوق وشراء البضائع الصناعية الضرورية فى السوق .

ان السياسة الاقتصاديـــة الجديدة التى اجازت وجود العنـاصر الرأسمالية لمدة معينة وفى نطاق محدود ، مع ابقـــاء المواقع الاقتصادية الاساسية فى يد الدولة البروليتاريـــة ، كانت تستهدف تطوير قوى البلد المنتجة ، وانهاض الزراعة ، وانشاء الاســـاس الاقتصادى من اجل الانتقال الى الاشتراكية . ــ ص ١٣٦

٣٦ ــ **المداولات الاقتصادية فى المحافظات** ــ هيئـــات محليـــة لمجلس العمل والدفاع ، انشئت على اساس قرار مؤتمر السوفييتات الثامن لعامـــة روسيا فى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠ لدى اللجـــان التنفيذيـــة للسوفييتات فى المحافظات . ــ ص ١٤٠

٣٧ ـ **التفتيش العمالى والفلاحى** (**«رابكرين»**) انشئ بمبـــادرة من لينين فى شباط (فبراير) ١٩٢٠ . ـ ص ١٤٠

٣٨ ـ يقصد لينين قرار الكهربة الذى اتخذه مؤتمر السوفييتات الثامن لعامة روسيا المنعقـــد من ٢٢ الى ٢٩ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠ . ـ ص ١٤٧

٣٩ ـ **صلح بريست** . عقد بين روسيا السوفييتية وبلدان الكتلة الالمانيـــة (المانيا والنمسا ـ المجر وبلغاريا وتركيا) فى بريست ـ ليتوفسك فى ٣ آذار (مارس) ١٩١٨ بشروط مرهقة للغايـــة على روسيـــا السوفييتية . ارتبط عقد صلح بريست بنضال عنيد ضد تروتسكى وفرقة «الشيوعيين اليساريين» المعاديـــة للحزب . ولم توقع معاهدة الصلح مع المانيا الا بفضل الجهود الهائلة التى بذلها لينين . بعد انتصار الثورة فى المانيا التى اسقطت النظـــام الملكى اعلنت اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا فى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩١٨ الغاء معاهدة النهب غير العادلة الموقعـــة فى بريست ـ ليتوفسك . ـ ص ١٦١

انجلس (Engels) **فريدريك** (١٨٢٠ـ١٨٩٥) ـ احد مؤسسي الشيوعية العلمية . زعيم ومعلم البروليتاريا العالمية . صديق كارل ماركس ورفيته في النضال . ـ ص ٢٠ .

اوين (Owen) **روبرت** (١٧٧١ـ١٨٥٨) ـ اشتراكي طوبوي انجليزي كبير . انتقد اسس النظام الرأسمالي انتقاداً حاداً ، ولكنه لم يستطع ان يكشف لجذور الحقيقية لتناقضات الرأسمالية . فقد كان يعتبر ان السبب الاساسي للامساواة الاجتماعية يكمن في نقص انتشار التعليم والمعارف ، وليس في اسلوب الانتاج الرأسمالي ذاته ، كما كان يعتبر انه يمكن القضاء على هذه اللامساواة بنشر المعارف وبالاصلاحات الاجتماعية ، وتقدم ببرنامج واسع في هذا الصدد . ـ ص ١٥٨ .

باور (Bauer) **اوتو** (١٨٨٢ـ١٩٣٨) ـ من زعماء الاشتراكية ـ الديموقراطية النمساوية والاممية الثانية ، ايديولوجي ما يسمى «الماركسية النمساوية» التي كانت ضرباً من الاصلاحية . كان باور احد واضعي نظرية «الاستقلال الذاتي الثقافي القومي» البرجوازية القومية . وقف موقفاً سلبياً من ثورة اكتوبر الاشتراكية . ـ ص ٥٦ .

بتلورا سيمون فاسيلييفيتش (١٨٧٧ـ١٩٢٦) ـ احد زعماء القوميين البرجوازيين الاوكرانيين . في ١٩١٧ ، الامين العام للشؤون العسكرية في الرادا (المجلس) المركزية الاوكرانية المعادية للثورة . في زمن التدخل الاجنبي المسلح والحرب الاهلية ، كان احد زعماء الثورة المضادة

في اوكرانيا . بعد بعث السلطة السوفييتية في اوكرانيا ، مهاجر مناهض للسلطة السوفييتية . ــ ص ١٢٣ .

بدني دميان (بريدفوروف) (١٨٨٣ ــ ١٩٤٥) ــ شاعر سوفييتي . عضو حزب البلاشفة . قصائده وخرافاته مفعمة بروح النضال الطبقي ضد النظام الرأسمالي وحماته . في زمن التدخل الاجنبي المسلح والحرب الاهلية ، عمل في جبهات القتال كمحرض . ــ ص ٤٠ .

بنتام (Bentham) **ارميا** (١٨٤٨ ــ ١٨٣٢) ــ حقوقي وفيلسوف انجليزي . ايديولوجي الليبيرالية البرجوازية . نظري مذهب المنفعة . ــ ص ص ٨٦ ، ٨٨ .

بوبيدونوستسيف قسطنطين بتروفيتش (١٨٢٧ــ١٩٠٧) ــ رجل دولة رجعي في روسيا القيصرية . الرئيس الفعلي للحكومة والملهم الرئيسي للرجعية الاقطاعية في عهد القيصر الكسندر الثالث . ظل يلعب دوراً بارزاً في عهد القيصر نيقولاي الثاني . طوال حياته كلها ، ناضل بعناد ضد الحركة الثورية . عدو حازم للاصلاحات البرجوازية المحققة في الستينيات . نصير الحكم المطلق . عدو العلم والتعليم . ــ ص ص ١٧ ، ٢١ .

بوريشكيفيتش فلاديمير ميتروفانوفيتش (١٨٧٠ــ١٩٢٠) ــ ملاك عقاري كبير . رجعي من المائة السود . ملكي . اكتسب شهرة واسعة بكلماته المعادية للسامية والداعية لذبح اليهود . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، ناضل بنشاط ضد السلطة السوفييتية . ــ ص ص ٢٣ ، ٤٨ .

بوغاتشوف اميليان ايفانوفيتش (حوالي ١٧٤٢ ــ ١٧٧٥) ــ زعيم الانتفاضة الكبرى التي قام بها الفلاحون والقوزاق ضد الاقطاعية في روسيا في القرن الثامن عشر . ــ ص ١٩ .

بوكروفسكي ميخائيل نيقولاييفيتش (١٨٦٨ــ١٩٣٢) ــ عضو الحزب البلشفي منذ ١٩٠٥ . رجل دولة سوفييتي بارز وشخصية اجتماعية بارزة . مؤرخ . في ١٩١٨ ، نائب مفوض الشعب للتعليم بجمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفييتية . ــ ص ١٣٥ .

بيروغوف نقولاي ايفانوفيتش (١٨١٠ــ١٨٨١) ــ عالم طب كبير وشخصية اجتماعية كبيرة . انتقد بشدة نظام التربية القائم وعارض

الحد من حق التعليم بموجب الانتساب الطبقي او القومي . في ١٨٦١ ، اقيل بسبب محاولته اجراء اصلاح في نظام التعليم . مؤلف بحوث علمية عديدة . ـ ص ٢٦ .

تشخينكيلي اكاكي ايفانوفيتش (١٨٧٤ ـ ١٩٥٩) ـ اشتراكي-ديموقراطي . منشفي . بعد ثورة شباط البرجوازية الديموقراطية في عام ١٩١٧ ، ممثل الحكومة الموقتة البرجوازية لعموم روسيا في منطقة ما وراء القفقاس . من ١٩١٨ الى ١٩٢١ وزير الخارجية في حكومة جورجيا المنشفية ، فيما بعد ، مهاجر مناهض للسلطة السوفييتية . ـ ص ٥٥ .

خودوروفسكي اي . اي . (١٨٨٥ـ١٩٤٠) ـ عضو الحزب البلشفي منذ عام ١٩٠٣ . ابان ثورة اكتوبر الاشتراكية ، اشترك في انتفاضة موسكو . بعد ثورة اكتوبر ، عمل في الميدان الحزبي والعسكري والسوفييتي . ـ ص ص ١٥٤ ، ١٥٥ .

دوبروسردوف ـ كاتب مقالة «دوما الدولة والتعليم الشعبي» المنشورة بتاريخ ٢٢ ايار (مايو) ١٩١٢ في العدد ٦ من الجريدة البلشفية «نيفسكايا زفيزدا» . ص ـ ٤١ .

دورنوفو اي . ن . (١٨٣٠ـ١٩٠٣) ـ رجل دولة رجعي روسي . ممثل البيروقراطية القيصرية . وزير الداخلية (١٨٨٩ـ١٨٩٥) ثم رئيس لجنة الوزراء (١٨٩٥ ـ ١٩٠٣) . طبق سياسة القيصر الكسندر الثالث الموالية للنبلاء وانشأ مؤسسة رؤساء الزيمستفوات ، وسنّ نظاماً جديداً للمؤسسات الزيمستفوية حرم الفلاحين من التمثيل الانتخابي ، وشدد ملاحقة الاقليات القومية في روسيا وصرامة المراقبة على المطبوعات ، وما الى ذلك . ـ ص ص ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ .

دينيكين انطون ايفانوفيتش (١٨٧٢ـ١٩٤٧) ـ جنرال في الجيش القيصري . في مرحلة التدخل المسلح الاجنبي والحرب الاهلية (١٩١٨ ـ ١٩٢٠) ، القائد الاعلى للقوات المسلحة من الحرس الابيض في روسيا الجنوبية . هاجر الى الخارج بعد ان هدم الجيش الاحمر قواته في آذار (مارس) ١٩٢٠ . ـ ص ص ٨٩ ، ١١٢ .

رازين ستيبان تيموفييفيتش (توفي في عام ١٦٧١) ـ قائد الحرب الفلاحية الكبرى التي شملت مناطق شاسعة من روسيا في اواخر الستينيات من القرن السابع عشر . ـ ص ١٩ .

ستوليبين بيوتر اركادييفيتش (١٨٦٢ـ١٩١١) ـ رجل دولة في روسيا القيصرية . من ١٩٠٦ الى ١٩١١ ، رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية في روسيا . باسم ستوليبين ترتبط مرحلة الردة الرجعية الداخلية في اعوام ١٩٠٧ـ ١٩١٠ التي بلغت اقصى درجات القساوة . ـ ص ٨٨ .

سكفورتسوف ـ ستيبانوف ايفان ايفانوفيتش (١٨٧٠ ـ ١٩٢٨) ـ واحد من اقدم المشتركين في الحركة الثورية الروسية . قائد بارز في الحزب والدولة السوفييتية . اديب ماركسي . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، شغل عدة مناصب مسؤولة . ـ ص ١٤٦ ، ١٤٧ .

سوخانوف نيقولاي (غيمّر نيقولاي نيقولاييفيتش) (ولد في عام ١٨٨٢) ـ اقتصادي وصحفي ذو نزعة بوجوازية صغيرة . منشفي . ابان الحرب الامبريالية العالمية (١٩١٤ـ١٩١٨) اممي . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، عمل في المؤسسات الاقتصادية السوفييتية . انتقد لينين في مؤلفاته آراء سوخانوف المنشفية انتقاداً حاداً . ـ ص ١٦١ .

غوركي الكسي مكسيموفيتش (بشكوف) (١٨٦٨ـ١٩٣٦) ـ كاتب بروليتاري عظيم . مؤسس الآداب السوفييتية . ـ ص ٦٥ .

فرانجل بيوتر نيقولاييفيتش (١٨٧٨ـ١٩٢٨) ـ جنرال في الجيش القيصري ، بارون ، ملكي . في مرحلة التدخل الحربي الاجنبي والحرب الاهلية (١٩١٨ـ١٩٢٠) ، صنيعة الامبرياليين الانجلو-فرنسيين والاميركيين . احد قادة الثورة المضادة في جنوب روسيا . فر الى الخارج بعد ما هزمها الجيش الاحمر . ـ ص ١٢٩ ، ١٣٠ .

كاسو (١٨٦٥ـ١٩١٤) ـ ملاك عقاري كبير . بروفسور في جامعة خاركوف ثم في جامعة موسكو . وزير التعليم الشعبي من ١٩١٠ الى ١٩١٤ . انتهج سياسة رجعية حيال المدرسة الابتدائية والثانوية والعليا ، ونكل بقساوة بالطلاب الثوريين والمعلمين التقدميين . ـ ص ٢٤ ، ٢٨ .

كاوتسكي (Kautsky) **كارل** (١٨٥٤ـ١٩٣٨) ـ احد زعماء الاشتراكية ـ الديموقراطية الالمانية والاممية الثانية . في البدء ماركسي . فيما بعد ، مرتد عن الماركسية . ايديولوجي اخطر واضرّ ضرب من الانتهازية ، وهو الوسطية (الكاوتسكية) . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، وقف ضد الثورة البروليتارية وديكتاتورية الطبقة العاملة ، ضد الحزب البلشفي والدولة السوفييتية . ـ ص ١٦٢ .

غر . ٣ تانيا

كلوجف (ولد في عام ١٨٥٦) ـ اكتوبري . عمل مفتشاً للمدارس الشعبية في قضاء سامارا ومدينة سامارا . نائب في دوما الدولة الثاني والثالث والرابع . ـ ص ٣٨ـ٤٢ .

كوكوفتسوف فلاديمير نيقولاييفيتش (١٨٥٣ـ١٩٤٣) ـ من رجالات الدولة البارزين في روسيا القيصرية . ابتداء من ١٩١١ شغل منصب رئيس مجلس الوزراء . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، مهاجر مناهض للسلطة السوفييتية . ـ ص ٣٣ ، ٣٥ .

كولتشاك الكسندر فاسيلييفيتش (١٨٧٣ ـ ١٩٢٠) ـ اميرال في الاسطول القيصري ، ملكي . وهو احد القادة الرئيسيين للثورة المضادة في روسيا في عامي ١٩١٨ ـ ١٩١٩ ، وصنيعة دول الوفاق . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، اعلن نفسه حاكماً اعلى لروسيا وذلك بتأييد من امبرياليي الولايات المتحدة الاميركية ودول الوفاق وترأس ديكتاتورية البرجوازيين والملاكين العقاريين العسكرية في الاورال وسيبيريا والشرق الاقصى . ـ ص ص ٨١ ، ٨٩ ، ١١٢ ، ١٢٣ .

كيرنسكي الكسندر فيودوروفيش (١٨٨١ ـ ١٩٧٠) ـ اشتراكي ـ ثوري . بعد ثورة شباط (فبراير) البرجوازية الديموقراطية في عام ١٩١٧ ، كان وزير العدية ووزير الحربية والبحرية ، ثم رئيس الحكومة الموقتة البرجوازية والقائد الاعلى للقوات المسلحة . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، ناضل ضد السلطة السوفييتية . ـ ص ٥٥ ، ٨٨ ، ١٢٣ .

لوناتشارسكي اناطولي فاسيلييفيتش (١٨٧٥ـ١٩٣٣) ـ ثوري محترف . رجل دولة سوفييتي بارز . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية وحتى

عام ١٩٢٩ مفوض الشعب للتعليم ، ثم رئيس الجنة العلمية لدى اللجنة التنفيذية المركزية للاتحاد السوفييتي . كاتب سياسي . مؤلف جملة من الابحاث في مسائل الفن والادب . ـ ص ص ٧٩ ، ١٣٥ .

ليبمن (غرش ب . م .) (ولد في عام ١٨٨٢) ـ بوندي . في ١٩١١ ، دخل في قوام لجنة البوند المركزية . ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ـ١٩١٨) دعم سياسة الالحاقات التي انتهجتها القيصرية . ـ ص ٦١ ، ٦٢ .

ليتكنس (١٨٨٨ ـ ١٩٢٢) ـ عضو الحزب البلشفي منذ عام ١٩١٩ . ابتداء من كانون الثاني (يناير) ١٩٢١ ، نائب مفوض الشعب للتعليم بجمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفييتية . ـ ص ١٣٥ .

ماخنو نستور ايفانوفيتش (١٨٨٤ ـ ١٩٣٤) ـ رئيس فصائل الكولاك والفوضويين المعادية للثورة في اوكرانيا والمحاربة ضد السلطة السوفييتية . في ربيع ١٩٢١ ، تم القضاء نهائياً على عصابات ماخنو . ـ ص ١٢٣ .

ماركس (Marx) **كارل** (١٨١٨ ـ ١٨٨٣) ـ مؤسس الشيوعية العلمية . زعيم ومعلم البروليتاريا العالمية . ـ ص ص ٢٠ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٩ ، ١٠٠ .

ماكلاكوف فاسيلي الكسييفيتش (١٨٧٠ـ١٩٥٩) ـ كاديتي يميني . ملاك عقاري . مهنته محام . اشترك في كثير من الدعاوى السياسية . بعد ثورة شباط (فبراير) البرجوازية الديموقراطية في عام ١٩١٧ ـ سفير الحكومة الموقتة البرجوازية في باريس . ـ ص ٣٥ .

نابليون الاول (بونابرت) (١٧٦٩ ـ ١٨٢١) ـ امبراطور فرنسا من ١٨٠٤ الى ١٨١٤ ، وفي ١٨١٥ . ـ ص ١٦١ .

نيقون (بيسونوف ن .) (١٨٦٩ـ١٩١٩) ـ من رجال المائة السود . نائب في دوما الدولة الرابع . في ١٩١٣ ، عُيّن اسقفاً على منطقة ينيسيي ونائباً اسقفياً على كراسنويارسك . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، ناضل ضد الدولة السوفييتية في صفوف الحرس الابيض . ـ ص ٤٨ ، ٤٩ .

يودينيتش نيقولاي نيقولاييفيتش (١٨٦٢ـ١٩٣٣) ـ جنرال في الجيش القيصري . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، القائد الاعلى لجيش الحرس الابيض في الشمال الغربي . حظى بمستاندة امبرياليي دول الوفاق . في ١٩١٩ ، حاول عبثاً مرتين الاستيلاء على بتروغراد . هدمه الجيش الاحمر فتراجع الى استونيا ، ثم هاجر الى بريطانيا . ـ ص ١٢٣ .

مقدمـــة ٥
بم يفكر وزراؤنا ؟ ١٧
الروس والزنوج ٢٢
عدم التطابق المتعاظم . ملاحظات صحفي (مقتطف) ٢٤
اضواء على مسألة سياسة وزارة التعليم الشعبي . (اضافة الى مسألة
التعليم الشعبـــي) ٣١
قومية المدرسة اليهودية ٤٥
كيف يدافع الاسقف نيقون عن الاوكرانيين ؟ ٤٨
حول استقلال «الثقافة القومية» الذاتي ٥١
حول مدارسنا ٥٧
ملاحظات انتقادية حول المسألة القومية (مقتطفـان) . . . ٥٩
الى ا . م . غوركي ٦٥
مواد لاعادة النظر في برنامج الحزب . (مقتطفات) ٦٦
نصدد مشروع تعديل البرنامج ٦٦
النص القديم والنص الجديد للبرنامـــج ٦٦
بصدد مهمات المكتبة العامة في بتروغراد ٦٨
كلمة في المؤتمر الاول لعامة روسيا في شؤون التعليـــم ٢٨ آب
(اغسطس) ١٩١٨ (مقتطف) ٧٠
خطاب في المؤتمر الثاني للمعلمين الاميين لعامة روسيا ١٨ كانون
الثاني (يناير) ١٩١٩ (٢٩) ٧٣
كلمة في المؤتمر الاول لعامة روسيا للطلبة الشيوعيين في ١٧ نيسان

(ابريل) ٧٨
كلمة تحية فى المؤتمر الاول فى مسألة التعليم غير المدرسى لعامة روسيا ٦ ايار (مايو) ١٩١٩ . . . . . ٧٩
خطاب فى المؤتمر الاول لشغيلة التعليم والثقافة الاشتراكية لعامة روسيا ٣١ تموز (يوليـــو) ١٩١٩ . . . . . ٨٤
كلمة فى الاجتماع الثالث لعامة روسيا لرؤساء اقسام التعليـم غير المدرسى لدى مصالح التعليم الشعبى فى المحافظات ٢٥ شباط (فبرايـــر) ١٩٢٠ (مقتطف) ٩٠
مهمات اتحادات الشباب . (خطاب القى فى المؤتمر الثالث لعامـة روسيا لاتحاد الشبيبة الشيوعـــى الروسى فى الثانى من اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢٠) ٩٥
عن الثقافة البروليتارية . (مقتطف) ١١٧
مشروع قرار: ١١٧
كلمة فى اجتماع عامة روسيا لهيئات التثقيف السياسى فى اقســام التعليم العام بالمحافظات والاقضيـــة ٣ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٢٠ . . . . . ١١٩
توجيهات اللجنة المركزية الى الشيوعيين العاملين فى مفوضيـــــة الشعب للتعليم ١٣٢
الى مفوضيـــة الشعب للتعليـــم ، الى ا . ف . لوناتشارسكى ، م . ن . بوكروفسكى ، ا . ا . ليتكنس ١٣٥
السياسة الاقتصادية الجديدة ومهام هيئات التثقيف السياسى . تقرير فى المؤتمر الثانى لهيئات التثقيف السياسى لعامة روسيا ١٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢١ . (مقتطف) ١٣٦
اساليب شائخة ١٣٦
المعجزة الكبرى ١٣٧
مهام العاملين فى هيئـات التثقيف السياسى ١٣٩
الاعداء الرئيسيون الثلاثة ١٤١
العدو الاول ــ الغطرسة الشيوعية ١٤٢
العدو الثانى ــ الاميـة ١٤٢

العدو الثالث ـ الرشوة ١٤٢
الفرق بين المهام الحربية والثقافية ١٤٣
توصية فى قضايا العمل الاقتصادى ، اقرها مؤتمر السوفييتات التاسع لعامة روسيا ٢٨ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢١ (مقتطف) ١٤٥
مقدمة لكتاب ستيبانوف «كهربة جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفييتية بالارتباط مع المرحلة الانتقالية فى الاقتصاد العالمى» ١٤٦
الى مؤتمر العاملين فى حقل التعليم ١٤٩
اوراق من دفتر مذكرات ١٥٠
حول التعاون (مقتطفان) ١٥٧
حول ثورتنا . (مقتطف) ١٦١
٢ . . . . . ١٦١
ملاحظات ١٦٣
دليل الاسماء ١٧٤

الى القراء

ان دار التقدم تكون شاكرة لكم اذا تفضلتم وابديتم لها ملاحظاتكم حول ترجمة الكتاب ، وشكل عرضه ، وطباعته ، واعربتم لها عن رغباتكم .

العنوان : زوبوفسكى بولفار ٢١ ،
موسكو ــ الاتحاد السوفييتى

В. И. Ленин

О НАРОДНОМ ОБРАЗОВАНИИ

На арабском языке